

مرشد
الدُّعَا إِلَى اللَّهِ
دراسة وتطبيق

تأليف
أحمد بن محمد طاهر

الناشر
مكتبة الإيمان
السعودية، بيروت



زاد الواعظ والخطيب

مرشد

الدَّعَاةُ إِلَى الْإِيمَانِ



دَوَامَةُ تَطْبِيقِ
General Organization Of the Alexan-
dria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

تأليف

احمد بن محمد طاهر

الهيئة العامة للقضية الأسكنية	
رقم النسخة	382
رقم التسجيل	1888

الناشر

مكتبة الإيمان

السعودية - بريدة

يسرني أن أقدم جزيل الشكر وصادق التقدير لوزارة
الإعلام بالملكة العربية السعودية (إدارة المطبوعات بمجدة)
على عنايتها بمراجعة هذا الكتاب والإذن بطبعه بالخطاب رقم
٢٤٠ / ٢ / ج المؤرخ في ١٤٠٢ / ٢ / ٩ هـ

للمؤلف

- * أخرج « كتاب الشكر » للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله (ابن أبي الدنيا) من علماء القرن الثالث من الهجرة ، مع زيادات وتعليقات . ومقدمة عن المؤلف وعصره .
- * مع القرآن الكريم .
- * في فجر الإسلام « عرض قصصى » .
- * يوم الفرقان .
- * أذكار ودعوات مباركات - وردى في اليوم واليلة .
- * رياض الفالحين ومنار السالكين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثُمَّ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ
صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿

[فصلت : ٣٣]

﴾ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ
الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿

[النحل : ١٢٥] .

تمهيد

الحمد لله ، نحمده . ونستعينه ونستهديه ، وأصلى وأسلم على خاتم أنبيائه ورسله ،
معلم الإنسانية ومرشدها وهاديها إلى الحق وإلى صراط مستقيم ، والصلاة والسلام على
أصحابه وأحبابه إلى يوم الدين ،

أما بعد . . .

فلئنني حين اشتغلت بالخطابة وأنا في مرحلة الشباب كنت أعد الخطبة في ذهني ،
وأرتب أفكارها في عقلي ، وأحياناً يفتح الله بما يشاء وأنا على المنبر .

الإعداد أفضل وأكثر نفعاً :

ولما تقدمت السن ، وجدت أن الخير في إعداد الخطبة ، وكتابتها . لأن لذلك فوائد
كثيرة للخطيب وللسامعين ، ومنها أن الخطيب ينمي القدرة على الكتابة ، ويجودها
بالتدريج ، كما أن الكتابة تعين بصفة أكبر على تحديد الفكرة ، وترتيب المعاني ، وإيراد
الأدلة والبراهين في مواضعها ، وتصبح الاستعانة بالكتب القيمة أمراً لا محيد عنه .

وما يكتب يعم الانتفاع به خصوصاً حين ينشر في مجلة أو صحيفة ويستمر حين يصدر
في كتاب ، إذ يصير النفع به عاماً ، ويبقى جيلاً بعد جيل .

والخطب التي يضمها هذا الكتاب مختارة من مجموع الخطب التي ألقيت في مسجد
الجمجموم بالبغدادية في جدة ، فقد كنت خطيبه نحو سنتين أو تزيد منذ افتتاحه للصلاة
فيه في الجمعة الأخيرة من شعبان عام ١٣٩٥ من الهجرة وفي مسجد المغربي بالرويس
في جدة الذي اشتغلت بالخطابة فيه منذ عام ١٣٩٩ من الهجرة .

وفي هذا الكتاب :

تجد بعض الخطب تامة (أي الخطبة بصدرها ، ومعها الخطبة الثانية) ، وبعضها تامة
مع الاكتفاء بالخطبة الأولى ، وحذفت صدور بقية الخطب ، ليمتاز لها الخطيب أو
المتحدث الصادر الذي يراه مناسباً :

أساس صالح لبحث طويل :

وكل خطبة تصلح أن تكون أساساً لبحث يتمه القارئ لغرض : أن يكون محاضرة ،

أو بحثاً عليها أو نحو ذلك . إذ إن كل خطبة محددة الفكرة . أما معانيها الجزئية فإنها تدور في فلكها ، وترتبط بها : وتزيدها وضوحاً وتأثيراً .

من طرق الانتفاع :

كما أن كل خطبة منها يمكن اختصارها أو الإضافة عليها ، أو دراستها ثم إلقاؤها ، حسبما يرى الخطيب أو المتحدث على ضوء تجربته وما يراه محققاً للإقناع والاستمالة معاً . والكتاب يضم خمساً وخمسين خطبة جمعة منها خطبة واحدة لعيد الفطر ، وخطبتان مختارتان من خطب الشيخ محمود على أحمد خطيب مسجد الرفاعي بالقاهرة في فترة من القرن الرابع عشر من الهجرة .

الفائدة عامة لكل قارئ :

والكتاب والحمد لله فائدته لكل قارئ . وطالب علم . وراغب في الاستزادة من المعرفة ، لأن معانيها كلها مستقاة من نبع الوحي الإلهي الفياض بالنفع الدائم الذي تصلح به أمور الناس في الدنيا . ويحقق للعاملين به الفوز والنجاة يوم الدين ، فغاية الدين لإصلاح النفوس ، واستقامتها على طريق الحق ، ومنهج الخير : فإذا صلحت النفوس ، وتهذبت بالدين الحق صلحت الحياة الدنيا ، وإن الدعوة إلى الله ، وبيان تعاليم الدين ومزاياه ، وحث الناس على البر والتقوى ، وعلى التحلى بالفضائل والتخلّى عن الرذائل ، سواء بالخطابة أو بالكتابة أمر واجب على الأمة ، إذ المؤمنون بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر : ويتعاونون على البر والتقوى ، ويتواصون بالحق بأن يدعو بعضهم بعضاً إليه ، ويذكروا أنفسهم به ، ويصبروا لذلك ويتواصوا بالصبر خصوصاً في مجال النهي عن الشرور والآثام ، والأمر بالخير والبر والصالح .

ولئنني لأرجو الله أن يتقبل هذا العمل ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم : وأن يتحقق من هذا الكتاب الثمرات المؤملة منه ، وأن يكون سبباً في الهداية إلى الدين الحق ، وفي استقامة المعوج والإصلاح والصالح :

وأترك الأخ القارئ يقلب صفحات الكتاب ، يقلب فيها الفكر والنظر راجياً من الله رحمته وعفوه ، وأن يجعل فيه ما ينفع المسلمين ، ويحقق الخير لهم .

إنه سميع مجيب الدعوات ، وصلى الله وسلم على النبي الهادي محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان ، وسار في طريقهم إلى يوم الدين .

القِسم الأول

(أ) « ادع إلى سبيل ربك » .

الداعى إلى الله - طريقته فى الدعوة - صفاته :

— الدعوة باللين والرفق .

— دعاة عصرنا أولى بذلك .

— الحكمة والسداد .

— آية محكمة والعمل بها إلى يوم القيامة .

— السب لغة العاجز المنفر من الحق .

— توضيح الحق وبيان الباطل غير السب .

— الصفات والأمور التى لا بد منها للداعى .

(ب) أول خطبة جمعة للنبي صلى الله عليه وسلم فى المدينة المنورة .

(ح) من صدور خطب النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

(د) نصيحة لأهل الدعوة .

قال الله عز وجل لموسى عليه السلام :

﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (١) .

الدعوة باللين والرفق :

أمر عز وجل رسوله موسى ونبيه هارون عليهما السلام بأن يذهبا إلى ملك مصر ، يأمرانه بالمعروف وينهيانه عن المنكر بقول حسن .
ودليل ينير للعقل طريقه ، وبإظهار محبة الخير له بالدلالة على الطريق الذى تزكو به النفس : ويكون سبباً فى السعادة الأخروية ، وقد أرشد الله عز وجل إلى ذلك بمثل قوله تعالى :

﴿ فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ ۖ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ (٢)

دعاة عصرنا أولى بذلك :

وإذا كان الله عز وجل أمر رسوله ونبيه بأن يكون المهج فى الدعوة إلى الله القول اللين الذى لا خشونة فيه فمن هم دون المرسلين والأنبياء أولى بأن يقتدى بذلك فى خطابه الناس ، وفى أمره بالمعروف فى كلامه ، كما قال تعالى : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (٣) .

وفى هذه الآية توجيه للداعى إلى الله ، الراغب فى الخير للناس ، المحب لهم أن يؤمنوا بالحق الذى آمن به ، وأن يستعملوا بالعمل الصالح لتخليصهم من عذاب جهنم ، فالآية تحض على مكارم الأخلاق ، وفيها توجيه للداعية أن يكون قوله للناس ليناً ، ووجهه منبسطاً ،

(٢) النازعات : ١٨ ، ١٩ .

(١) طه : ٤٣ ، ٤٤ .

(٣) البقرة : ٨٣ .

طَلَقًا . مع البرِّ والفاجرِ والسُّنَى والمبتدِعِ . من غيرِ مُدَاهَنَةٍ بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا يُقَرُّ الباطِلُ : بَلْ يُنْكِرُهُ : وَلَا يَتَكَلَّمُ مَعَ صَاحِبِ الباطِلِ بِكَلَامٍ يَظُنُّ أَنَّهُ يَرْضَى مَذْهَبَهُ ، والدَّاعِي إِلَى اللَّهِ مِنْ غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ لَنْ يَكُونَ بِأَفْضَلَ مِنْ مُوسَى وَهَارُونَ : والفاجرُ فِي كُلِّ زَمَانٍ لَيْسَ بِأَخْبَثَ مِنْ فِرْعَوْنَ مُوسَى ، وَمَعَ ذَلِكَ أَمَرَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى بِاللِّينِ مَعَهُ وَمِنَ اللَّيْنِ بَيَانُ الْحَقِّ بِالْإِدْلِيلِ . وَبَيَانُ الباطِلِ وَتَوْضِيحُهُ بِالْإِدْلِيلِ : وَإِظْهَارُ الْعُظْفِ عَلَى النَّاسِ وَالرَّغْبَةُ فِي أَنْ يَسْلُكُوا طَرِيقَ النِّجَاةِ : وَأَنْ يَشْعَرَ النَّاسُ أَنَّهُ يُحِبُّ الْخَيْرَ لَهُمْ ، وَأَنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا فِي الْبَعْدِ عَنِ الباطِلِ وَفِي اتِّبَاعِ الْحَقِّ .

الحكمة والسداد :

وفى توجيه الدعاة إلى الأسلوب الذى ينبغى لهم أن يتبعوه .

يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١) .

آية محكمة والعمل بها إلى يوم القيامة :

يقول القرطبي : هذه الآية نزلت بحكمة في وقت الأمر بمهادنة قريش ، وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطُّفٍ ولينٍ دون مُخَاشَنَةٍ وتعنيفٍ ، وهكذا ينبغى أن يُوعِظَ المسلمون إلى يومِ الْقِيَامَةِ فَهِيَ مُحْكَمَةٌ فِي جِهَةِ الْعَصَاةِ مِنَ الْمُوحِدِينَ « . .

فالخطيب الذى يوضح للناس الحرام والحلال ، ويبين لهم مِطَاعَةَ اللَّهِ مِنْ أَثَرِ الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَوْتِ ، وَمَا لِلْمَعْصِيَةِ مِنْ عَوَاقِبَ فِي

الدنيا وفي الآخرة . سالكا في الدعوة سبيل الصواب والصبر مع ترتيب الأفكار ، وتقديم الدليل من الكتاب والسنة . مخاطبا العقل والعاطفة معا . إن الخطيب أو الراعظ الذي يفعل ذلك يكون لكلامه أثر طيب في النفوس : وتجتمع القلوب حوله : ولا تنفر منه ، والحكمة تقتضي التلطف في توجيه النصيح . وتفهم نفسيات المستمعين ، واختيار الأسلوب المناسب لهم : ومراعاة أحوال زمانه ، فهذا كله يُعين على اختيار الموعظة الحسنة التي تنفذ إلى نفوسهم ، وتحرك عواطفهم وتشدهم إلى المتكلم : وتدفعهم إلى الثقة به ، خصوصا إذا كان حسن السيرة بينهم ، ومعروفا بالاستقامة والخلق الطيب ، والبعد عن الحرام .

السب لغة العاجز المنفر من الحق :

وإنه لمن المفيد أن يتدبر الراعظ والمعلم والخطيب قول الحق تبارك

وتعالى :

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ، كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون ﴿١﴾ .

نبى سبحانه المؤمنين أن يسبوا أصنام الوثنيين ، وفي هذا إرشاد وتعليم لنا إذ سب الباطل واللجوء إلى الخشونة في دعوة أصحابه إلى الحق ينفر أهلَه ، ويزيدهم - في كثير من الأحيان - انطواء على الكفر والفضلال ، ولذا قال العلماء - كما جاء في تفسير القرطبي :

حكمها باق في هذه الأمة على كل حال ، فمتى كان الكافر في منعة ، وخيف أن يسب الإسلام أو يسب النبي محمد ﷺ أو الله عز وجل ،

فلا يحلّ لمسلم أن يسبّ صُلبانَهُمْ ، ولا دينَهُمْ ولا كنائسَهُمْ
ولا يتعرض إلى ما يؤدّي إلى ذلك ، لأنّه بمنزلة البعث على المعصية -
أى إن الأسلوب الذى يُنفّر صاحبَ الباطل ويزيده تمسكاً بباطله
يمثلُ كما لو دعوته إلى الباطل : وَبَعَثْتُهُ عَلَيْهِ ، أى حضضته عليه وذلك
لأن الثمرة واحدة .

توضيح الحق وبيان الباطل غير السب :

إن من واجب الواعظ أن يبين للناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم ،
صالحهم وطالحهم ، أن يبين لهم حقيقة التوحيد توحيد الألوهية ، وتوحيد
الربوبية ، وأن يشرح لهم ما لله من حقوق على العباد وأن يقدم الأدلة
على بطلان الشرك بجميع صنوفه وضروبه ، وأن يقيم الدليل من
آيات الله فى كتابه وعلى لسان رسوله ، ومن آيات الله فى النفس
البشرية ، وفى الكون المحيط بالإنسان أن يقيم الدليل على قدرة الله
ووجوده ووحدانيته وسلطانه المطلق ، يفعل ذلك الواعظ والداعية
والخطيب والمتحدث على أساس علمى منظم مقتدياً فى ذلك بالنبي
المادى محمد ﷺ ، وبالسلف الصالح إذ إنهم - والحمد لله - بينوا
للناس أصول الدين وفروعه إذ بينوا ما حرم الله على عباده من الأفعال
والأقوال والمعتقدات ، كما بينوا المباح والمشروع عمله ، وفصلوا الحلال
من الأعمال والأقوال ، وبينوا الفضائل الطيبة والأخلاق الكريمة التى
يجب أن يتحلّى بها المؤمنون ، إلى جانب ما بينوه من مذام الأخلاق
والرذائل ليكف عن فعلها العقلاء .

بين السلف الصالح ، كما بين صلحاء الأمة فى كل وقت للناس
شريعة الله ، ولم نقرأ أو نسمع أن واحداً منهم سب ديناً من الأديان ،

ذلك أن بيانَ الفاسدِ بالحجة ، وتوضيحَ الباطلِ بالبرهان وتقديم الحقِّ للناسِ بالدليل أمرٌ يختلفُ عن السبِّ والشمِّ .

الصفات والأُمُور التي لا بد منها للداعى :

وهذه بعضُ الأُمُورِ والصفاتِ التي هى إلزَمُ للداعى لكي يُؤتَى عمله ثِمَارُهُ ، ويتوقفُ عليها نجاحُه ولا بدُّ له من تحقيقها : وأن يسعى إلى ذلك وأن يبذلَ الجهدَ دوماً لتكميلِ نفسه بها ما استطاع :

١ - قالوا فى الحكمة : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا بِغَيْرِ دَلِيلٍ ضَلَّ » ، ومن تمسَّكَ بِغَيْرِ أَصْلٍ زَلَّ » .

ودليلُ الداعية إلى الله . ومرشدُ الناسِ إلى الحقِّ . هو « كتابُ الله عز وجل وسنةُ نبيِّه الأَمِينِ ﷺ » لذا وجب على الداعى أن يحفظَ من القرآن ما استطاع ويُحسِّنَ تلاوتهُ ، وأن يواظبَ على قراءةِ القرآنِ ، مع تدبُّرِ معانيه ، والسعى لمعرفةِ أحكامِهِ ، والإلمامِ بعرفَةِ معاني الألفاظِ التي تكون غريبة عليه (١) .

وعلى الداعى أن يرجعَ إلى السنة الصحيحة دوماً . وبطيلَ النظرَ فيها لأنها مفسَّرةٌ للقرآن الكريم ومبينةٌ لأحكامِهِ ومفصلةٌ لمُجملاتِهِ (٢) .

(١) لذا ننصح بأن يكون لدى الداعى والخطيب وطالب العلم تفسير ابن كثير ، وتفسير القرطابى ، إلى جانب التفاسير الموجزة مثل « الجلالين » والمصحف المفسر « لفريد وجدى » كما ينبغي أن يكون فى حوزته كتب فى تفسير آيات الأحكام مثل كتاب « أحكام القرآن » لأبى محمد المعروف بابن العربى وغيرها من الكتب النافعة فى بابها .

(٢) ومن الكتب النافعة والمعيّنة لطالب العلم والباحث كتاب « جامع الأصول فى أحاديث الرسول - لابن الأثير الجزرى » ، ومختصره « تيسير الوصول إلى جامع الأصول - لابن الدبيع الشيبانى » ، وكذلك « رياض الصالحين » أو أحد شروحه - للتوئى . و « الترغيب والترهيب » للمنذرى ، و « التاج الجامع للأصول » . للشيخ منصور على ناصف

فهذه الكتب جامعة لما جاء فى الصحاح وكتب السنة إلى جانب نبويها الميسر للباحث عن جانب بعينه ، وهناك كتب الصحاح وكتب السنة ومختصراتها .

وعليه أن يدرس بقدرٍ كافٍ سيرة رسول الله ﷺ وسيرَ الخلفاء الراشدين وسيرَ السلفِ الصالحِ ما استطاع .

ولا غنى لطالب العلم ، وللداعى والخطيب : والمتحدث والواعظ عن معرفة قدرٍ كافٍ من الأحكام المتصلة بالعبادات والمعاملات وأسرارِ التشريع ، ولا شك أن الاتصال بكتب التفسير والحديث أساس في ذلك - ولكن الرجوع إلى كتب الفقه وحضور مجالس العلم وسؤال أهل العلم من الأمور التي لا يغفل عنها الحريص على معرفة أمور دينه ، خصوصاً لمن يشتغلون بالتبليغ . وقد جاء في الحديث قول النبي ﷺ : « مَنْ سِئِلَ فَأَفْتَى بِغَيْرِ عِلْمٍ فَقَدْ ضَلَّ وَأَضَلَّ » .

وأخرج البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه :

« مَنْ عِلِمَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِهِ وَهَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ » فلا ينبغي لطالب العلم أن يعطى الناس شيئاً هو يفقده . ذلك أن من أفتى بما لا يعلمه هلك .

٢ - ما تعطى به الناس احرض على تحقيقه في نفسك وفي بيتك ، فالإسلام علمٌ وعملٌ ، والداعى إلى الله لا ينبغي له أن يكون فعله مكذباً لقوله : « وَفَاقِدُ النُّورِ لَا يَسْتَنِيرُ بِهِ غَيْرُهُ » .

إن الدعوة إلى صالح الأعمال : ومكارم الأخلاق تربية . والتربية النافعة إنما تكون بالعمل لأنها مبنية على القدوة الصالحة لا بمجرد الأقوال .

وقد وبخ الله أحبارَ يهود على مخالفة أفعالهم أقوالهم فقال سبحانه : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَ لَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١) .

فالداعى إلى الله المخلص لدينه ، المؤمن بالحق . يرشد نفسه إلى الخير ، ويأخذها به ، ويحذرُها من الشر ، ويجتنبُها ، وكلما وجدَ قَدَمُهُ ثَبَتَ في جانبٍ دعا الناس إليه : فَمَنْ وَاظَبَ على أداءِ الصلواتِ الخمسِ في أوقاتها ، وحرص على الجماعاتِ ، فإن دعوته إلى ذلك تؤتى ثمارها بإذنِ الله تعالى، وهكذا في كلِّ الأمور يراقبُ الداعى نفسه ، ويحاسبُها . ويجتهدُ في أداءِ المأمورات واجتنابِ المنهيات .

ولنتدبر العبرة في دعاء إبراهيم الخليل عليه السلام : ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ (١) .

ولنتدبرُ ثناء الله على نبيه إسماعيل عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ (٢) .

وقد ذمَّ الله عز وجل من يدعو إلى الخير ولا يعملُ به ولنتدبر : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٣) .

٣ - والداعى إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة إذ يُحْسِنُ اختيارَ ألفاظه ، وانتقاء عباراته فينبغى له أن يكونَ متصفاً بالحلم ، وسعة الصدر ، واحتمال هفوات الناس ، والصبرِ على أسأئتهم ، وقد أثنى الله على نبيه محمد ﷺ لحلمه في الدعوة وصبره على جفاء الناس فقال تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (٤)

(٢) مريم : ٥٤ و ٥٥ .

(٤) آل عمران : ١٥٩ .

(١) إبراهيم : ٤٠ .

(٣) الصف : ٢ و ٣ .

٤ - قال عبادة بن الصامت رضى الله عنه : « بايعنا رسول الله ﷺ على أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم » .

فالداعي إلى الله مثل الطبيب الذي يراعى حالة المريض ، فيبين له ، وينصحه ، ويصف له الدواء المناسب ، والداعي لا يخشى الناس في الحق ، بل ينبغى له أن يوضح ، ويبين ، ويبلغ ليعرف الناس الشرور ويجتنبوها . والخير ويلزمه ، وإذا فشا أمر مما لا يرضى الله فإن الداعية عليه أن يرشد ، وأن يوجه ، ويبين ، ويختار من العظائم ما يكون أكثر نفاذاً إلى القلوب ، وأكثر إقناعاً لأصحاب العقول ، ولا يمالئ أصحاب البدع ، ولا يظهر الموافقة على ضلال ، وعلى الدعي أن يحرص دوماً على أن تكون حجته خالية من السب والشتم وأنواع الغلظة ، لأنه من الخير أن يظل الناس متعلقين به . وأن يستمعوا إليه ، ولا يتحقق ذلك إلا بالرفق ، وحسن القول ، ووضوح الدليل والبراهين ، وشعور الناس أن ما يدعوهم إليه إنما هو في صالحهم ديناً ودنياً .

ولنتدبر قول الله عز وجل لنبيه ﷺ :

(وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (١)

أى يقولوا عند محاورتهم أهل الضلال الكلمة التي هي أحسن ، ولا يخاشنهم ، كقوله تعالى :

(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (٢) .

٥ - الداعي إلى الله ينبغى له أن يخصص جانباً من يومه وليلته للقراءة في الكتب النافعة . وأن يطالع على أساليب من سبقوه إلى الميدان ،

إما بالسإخ منهم إذا عاصرهم . وإما بالاطلاع على ما تركوه مكتوباً . ولا بأس أن يبدأ في أول الأمر مقلداً . ولكنه بالمداومة . والمران . والصبر على مشاق الطريق تُصبح له شخصيةٌ تمتازُ بطريقتها في خطاب الناس : وتنظيم الأفكار : واختيار الألفاظ وترتيب العبارات حتى يستطيع أن يُظهر المقصود . ويُعبّر عما في نفسه بأبلغ لفظ : وتثبت قدمه في الميدان . بعد الصبر . والمداومة على القراءة . والإفادة من خبرات من سبقوه : وحفظ النصوص العالية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن كلام الحكماء وأهل البلاغة والفصاحة .

٦ - مما يعين على النجاح في مجال الدعوة معرفة حال من توجه إليهم الدعوة من حيث نفسياتهم وأخلاقهم : وعوائدهم . وكل الأمور المعنية على أن يتفهم المتكلم نفسياتهم : فيخاطبهم بما يحقق الغرض : ويصل به إلى المطلوب من أيسر طريق .

٧ - والإخلاص أساس لنجاح الداعي ، الإخلاص للحق ، الإخلاص للدين . الإخلاص لمن يدعوهم ويعظهم ويعلمهم ، فالعمل بلا إخلاص كجسم لا روح فيه ، أما ما كان من القلب فإنه ينفذ إلى القلوب بإذن الله تعالى . ومع الإخلاص ينبغي أن تكون للداعي الصفات الآتية أيضاً :

- التواضع . والشعور بالتقصير وعدم العجب : فالعجب يأكل الحسنات فيعمل النار في الحطب ، وإذا شعر به الناس نفروا من الداعي .

- ألا يبخل بتعليم ما يحسنه ، فكاتم العلم هالك والعباد بالله ،

(٢م - مرشد الدعاة .)

والرسول ﷺ يقول : « مَنْ عَلِمَ عَلِمًا فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنَ النَّارِ » . وفي تعليمه ما أحسنه تثبيتاً له في صدره وزيادة في وضوحه في نفسه .

- الوقارُ والرزانة وألا يخوضَ مع الناس في أحوال الدنيا وفضول الكلام ولغوهِ .

- أن يظهرَ أمام الناس في نظيف الثياب : وحُسْنِ الهندام .
- ألا يخالطَ أهلَ السفاهة والطيش .

- أن يتحرزَ من الحرام ، ويبتعدَ عن الشبهات .

- والدأى إلى الله من أعظم لوازمه تقوى الله عز وجل والخشية منه في السر والعلن ، وأن يكونَ ظاهره وباطنه سواءً في الصفاء والإخلاص والخوف من الله .

- والصبرُ من الصفات التي تلازمه في حياته كلها الخاصة والعامة .
والله عز وجل يقول لنبيه ﷺ : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعِزْمِ مِنْ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ... ﴾ (١) .

٨ - وعلى الدأى أن يلزمَ طريقَ أهلِ السُّنَّةِ والجماعة وأن يكونَ إمامه في كلِّ أموره كتابَ الله وسنة نبيه ﷺ .
والله الهادى إلى سواء السبيل .

أول خطبة جمعة للنبي محمد ﷺ بالمدينة المنورة

خطب النبي ﷺ فقال :

« الحمد لله أحمدته : وأستعينه : وأستغفره . وأشهد به وأؤمن به ، ولا أكفره . وأُعادي مَنْ يكفر به . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى (١) ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل . وقلة من العلم : وضلالة من الناس : وانقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة : وقرب من الأجل .

مَنْ يُطع الله ورسوله فقد رُشد : وَمَنْ يعص الله ورسوله فقد غوى . وفُرطَ : وضلَّ ضالالاً بعيداً .

وأوصيكم بتقوى الله ، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله ، واحذروا ما حذرکم الله من

(هـ) هذه أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة في أول جمعة جمعها بأصحابه : وكان ذلك حين قدم صلى الله عليه وسلم مهاجراً حتى نزل بقاء على بني عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، فأقام صلى الله عليه وسلم بقاء إلى يوم الخميس ، وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة إلى المدينة ، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد ثم قد اتخذ القوم في ذلك الموضع مسجداً ، فجمع بهم وخطب خطبته السابقة ، صلى الله عليه وسلم .

— راجع تفسير القرطبي — الجامع لأحكام القرآن — تفسير الآية (٩) من سورة الجمعة .

(١) بالهدى : أي بالرشاد والدلالة بالطلب إلى ما يوصل إلى المطلوب .

نفسه ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ لِمَنْ عَمِلَ بِهِ (١) على وجلٍ ومخافةٍ من ربه عون (٢) صدقٍ على ما تبغون من أمر الآخرة .

* * *

وَمَنْ يُضْلِحِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ مِنْ أَمْرِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ لَا يَنْوِي إِلَّا وَجَهَ اللَّهِ يَكُنْ لَهُ ذِكْرًا فِي عَاجِلِ أَمْرِهِ . وَذُخْرًا فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ حِينَ يَفْتَقَرُ الْمَرْءُ إِلَى مَا قَدَّمَ ، وَمَا كَانَ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ (٣) يَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٤) . هُوَ الَّذِي صَدَقَ قَوْلُهُ ، وَأُنْجِزَ وَعْدُهُ : لَا خُلْفَ لَذَلِكَ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ :

﴿ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (٥) . فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي عَاجِلِ أَمْرِكُمْ وَآجِلِهِ ، فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ . فَإِنَّهُ يَقُولُ : ﴿ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ (٦) . ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ . وَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تُوقِي مَقْتَهُ ، وَتُوقِي عِقُوبَتَهُ . وَتُوقِي سَخَطَهُ . وَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تُبَيِّضُ الْوُجُوهَ ، وَتُرْضِي الرَّبَّ ، وَتَرْفَعُ الدَّرَجَةَ ، فَخُذُوا بِحِظِّكُمْ ، وَلَا تُفَرِّطُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ ، فَقَدْ عَلَّمَكُمْ كِتَابَهُ ، وَنَهَجَ لَكُمْ سَبِيلَهُ ، لِيَعْلَمَ الَّذِينَ صَدَقُوا ، وَيَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ . فَأَحْسِنُوا كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ، وَعَادُوا أَعْدَاءَهُ ، وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ

(١) لمن عمل به : أى لمن استجاب للأمر بالتقوى وعمل بمقتضاه .

(٢) عون صدق : خبر إن ، واسمها « تقوى » .

(٣) أى وما يجده العبد يوم القيامة من عمله غير الصالح .

(٤) آل عمران : ٣٠ .

(٥) ق : ٢٩ .

(٦) الطلاق : ٥ .

حَقَّ جِهَادِهِ . هُوَ اجْتَبَاكُمْ . وَسَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ . لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ
بَيِّنَةٍ ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

فَأَكْثَرُوا ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَاعْمَلُوا لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، فَإِنَّهُ مِنْ يُصْلِحُ
مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ يَكْفِهِ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ يَقْضِي
عَلَى النَّاسِ وَلَا يَقْضُونَ عَلَيْهِ ، وَيَمْلِكُ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ .
اللَّهُ أَكْبَرُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ » .

من صدور خطب النبي ﷺ

في مراسيل أبي داود عن الزهري قال : كَانَ صدر خطبة النبي ﷺ :
الحمد لله ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، ونعوذُ بِهِ من شُرورِ أَنْفُسِنَا
- ومن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا - مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلِّ
فَلَا هَادِيَ لَهُ ، ونَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ،
أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ . مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ رَشَدَ ، وَمَنْ يَعْصِمْهَا فَقَدْ غَوَى . نَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّنَا أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ
يُطِيعُهُ وَيُطِيعُ رَسُولَهُ . وَيَتَّبِعُ رِضْوَانَهُ وَيَجْتَنِبُ سَخَطَهُ ، فَإِنَّمَا نَحْنُ
بِهِ وَلَهُ .

* * *

وفي خطبة الحاجة * :

الحمد لله ، نَحْمَدُهُ ، ونَسْتَعِينُهُ ، ونَسْتَغْفِرُهُ ، ونعوذ بالله من
شُرورِ أَنْفُسِنَا ، ومن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ،
وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ تسليماً كثيراً .

* هذه الخطبة تعرف بخطبة الحاجة ، وكان الصحابة يقولونها في صدر كلامهم وخطبهم
- كما علمهم النبي صلى الله عليه وسلم - يستعينون بها على قضاء حاجتهم ، وتستحب في بداية
دروس العلم والمواعظ والخطب وفعل الشهادتين فيها جاء بصيغة الإفراد : « أشهد » بخلاف
الأفعال التي قبلها فهي بصيغة الجمع - كما قال بعض المحققين - لذا أثبت الفعل هنا « أشهد »
وهو في النص المنقول منه « نشهد » - راجع مقدمة كتاب ابن تيمية في الصوم .

نصيحة لأهل الدعوة

العلم والعمل :

في الموطأ عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال لإنسان :
 « إنك في زمانٍ كثيرٍ فقهاؤه ، قليلٍ قُرَّاءُه ، تُحَفِّظُ فيه حدودُ
 القرآن ، وتُضَيِّعُ حروفُه ، قليلٍ مَنْ يَسْأَلُ ، كثيرٍ مَنْ يُعْطَى . يُطِيلُونَ
 فيه الصلاةَ وَيَقْصُرُونَ الخطبةَ ، يُبَدِّلُونَ فيه أعمالهم قبلَ أهوائهم .
 وسيأتى على الناس زمانٌ قليلٌ فقهاؤه ، كثيرٌ قُرَّاءُه ، تُحَفِّظُ فيه
 حروفُ القرآن ، وتُضَيِّعُ حدودُه : كثيرٌ مَنْ يَسْأَلُ ، قليلٌ مَنْ يُعْطَى ،
 يُطِيلُونَ فيه الخطبةَ ، وَيَقْصُرُونَ الصلاةَ يُبَدِّلُونَ فيه أهواءهم قبلَ
 أعمالهم » أى يتبعون أهواءهم ، ويتركون العملَ بالذى افترض عليهم .

* * *

في الحث على العمل :

عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
 « إن من شرِّ الناس رجلاً فاسقاً يَقْرَأُ القرآنَ لا يَرْعَى إلى شئٍ منه » .
 أى أن المقصودَ هو العملُ بمقتضى الكتابِ لا مجرد التلاوةِ باللسان
 والترتيل .

* * *

الإخلاص يا أهل الدعوة :

روى الترمذى عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ :
 « أنزلَ الله في بعض الكتب ، أو أوحى إلى بعض الأنبياء : قل للذين
 يتفقهون في الدين لغير الدين : ويتعلمون لغير العمل ، ويطلبون

الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ مُسْوَكًا (١) الْكِبَاشِ وَقُلُوبُهُمْ كَقُلُوبِ
الذُّنَابِ : أَلَسْتُمْ أَهْلًا مِنَ الْعَسَلِ . وَقُلُوبُهُمْ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ : إِيَّائِي
يُخَادِعُونَ وَيَسْتَهْزِئُونَ لِأَتِيْعَنَ لَهُمْ فِتْنَةٌ تَذَرُ الْحَلِيمَ فِيهِمْ حَيْرَانٌ .

فِيَجِبُ عَلَى حَامِلِ الْقُرْآنِ وَطَالِبِ الْعِلْمِ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ
فِي نَفْسِهِ ، وَيُخْلِصَ الْعَمَلَ لِلَّهِ ، فَإِنْ كَانَ تَقَدَّمَ لَهُ شَيْءٌ مِمَّا يَكْرَهُ
فَلْيَبَادِرْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْإِتَابَةِ ، وَلْيَبْتَدِئِ الْإِخْلَاصَ فِي التَّوْبَةِ وَفِي عَمَلِهِ ،
فَإِنَّ الَّذِي يَلْزَمُ الدَّاعِيَ إِلَى اللَّهِ مِنَ التَّحَفُّظِ أَكْثَرُ مِمَّا يَلْزَمُ غَيْرَهُ ،
كَمَا أَنَّ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مَا لَيْسَ لغيرِهِ : فَهُوَ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
وَالْمَسْلُوكِ :

(١) الْمُسْوَكُ مَفْرُودٌ الْمَسْكُ - بِفَتْحِ الْمِيمِ وَسُكُونِ النِّينِ - وَهُوَ الْجِلْدُ وَالْقَفْلَةُ مِنْهُ : مَسْكَةٌ
قَالَ : هُمْ فِي مَسْوَكِ الثَّعَالِبِ ، وَالْمَسْكُ - بِكسرِ الْمِيمِ وَسُكُونِ النِّينِ : الْكِسَاءُ مِنَ الشَّعْرِ ، وَثَوْبُ
الرَّاهِبِ « مَوَادَّ » وَالْجَمْعُ أَسْمَاحٌ وَمَسْوُوحٌ .

القِسم الثاني

- ١ - الدين وأثره في تزكية النفس .
- ٢ - وصية نبوية (أكثر ما يدخل الناس الجنة)
للخطبة الثانية
- ٣ - النفس المطمئنة واللوامة والأماراة .
- ٤ - البعث حق والجزاء حق .
« من عظام النبي صلى الله عليه وسلم » للخطبة الثانية
- ٥ - وفي أنفسكم أفلا تبصرون .
« عظة بليغة للخطبة الثانية »
- ٦ - لا يعلم الغيب إلا الله .
- ٧ - الإسلام هو صراط الله المستقيم
للخطبة الثانية
- ٨ - آية الكرسي تضمنت التوحيد النقي الخالص .
- ٩ - احفظوا أيمانكم ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون
- ١٠ - من أولياء الله ؟
- ١١ - منزلة السنة النبوية من القرآن الكريم .
للخطبة الثانية
- ١٢ - الحياء لا يأتي إلا بخير .

الدين وأثره في تزكية النفس

الحمد لله شرع الدين هدايةً للمؤمنين . ووفق من شاء للتمسك به والتحلل بآدابه فضلاً من الله ونعمة . والله عليم حكيم .

وأشهد أن لا إله إلا الله كتب رحمته للمتقين ، وأنعم علينا بنعمة الإسلام ، وأرسل نبيه محمداً هدى ورحمة ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه ربه بدين الحق ليظهره على الدين كله ، ولينقذ به البشر من الضلالة والفوضى ، ويهديهم إلى الخير ، والبر وكل ما يحقق لهم السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة .

اللهم صل وسلم وبارك على نبي الهدى والرحمة وعلى آله وأصحابه والعاملين بشريعته إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (١)

أيها المؤمنون :

الإسلام أعظم نعم الله على عباده ، تضمنت تعاليمه كل ما فيه صلاح النفس ، ونور العقل ، وسعادة الفرد ، وخير الجماعة .

أمرنا الإسلام بتوحيد الله تعالى ، وإخلاص العبادة والخضوع له سبحانه ، واعتقاد أنه عز وجل إله واحد قادر مريد عليم حكيم سميع بصير : متصف بكل كمال ، منزه عن كل نقص . . أبدع الكائنات بقدرته : ودبرها بحكمته وعلمه . . فهو وحده الذي يحيي ويميت ،

وهو سبحانه الَّذِي يُعْطِي وَيُمْنَعُ . وبيده الضَّرُّ والنَّفْعُ . ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ... ﴾ (١) .

طَهَرَ الإسلامُ النَّفْسَ ، وجاءَ بعقيدة التَّوْحِيدِ النقيَّةِ الصَّافِيَةِ ، وحاربَ الأَبَاطِيلَ والأَوْهَامَ حتى لَا تَنحَطُّ النَّفُوسُ إِلَى عِبَادَةِ جِمَادٍ أَوْ إِنْسَانٍ أَوْ حَيَوَانٍ ، وحتى لَا تَخْضَعِ الْقُلُوبُ إِلَّا لِمَنْ لَهُ الْمُلْكُ وَحْدَهُ ، وَلَهُ الْأَمْرُ وَحْدَهُ ، وَلَهُ غَايَةُ الْعِظَمَةِ وَنَهَايَةُ الْإِنْعَامِ :

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا ، وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

جاءَ الإسلامُ بعقيدة التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ ، لِيُخْرِجَ النَّفُوسَ مِنْ ظُلْمَةِ الضَّلَالَةِ وَالْجَهْلِ ، ويرفعَهَا مِنْ وَهْدَةِ الشُّرْكِ ، وَيُطَهِّرَهَا مِنْ دَنَسِ الْفَسَادِ والأَوْهَامِ ، وفَرَضَ عَلَى النَّاسِ عِبَادَاتٍ كُلُّهَا ذُو أَثَرٍ حَسَنٍ فِي إِصْلَاحِ الْقُلُوبِ ، وَتَهْذِيبِ النَّفُوسِ ، فَرَضَ الصَّلَاةَ خَمْسًا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ، وجعلَ مِفْتَاحَهَا طَهَارَةَ الْبَدَنِ ، وَالثَّوْبِ ، وَالمَكَانِ ، فيقفُ الْعَبْدُ بَيْنَ يَدَيِ مَوْلَاهُ خَاشِعًا ، فَارِعًا مِنَ الشَّوَاغِلِ ، مُوجِّهًا قَلْبَهُ إِلَى مَوْلَاهُ ، نَظِيفَ الظَّاهِرِ ، طَاهِرَ الْبَاطِنِ ، يَنَاجِي رَبَّهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ خَائِفًا مِنْ عَذَابِهِ ، طَامِعًا فِي رَحْمَتِهِ ، طَالِبًا مِنْهُ الْعَوْنَ وَالْهِدَايَةَ . فيؤثِّرُ ذَلِكَ فِي نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ، وَيَعُوِّدُهُ مِرَاقِبَةَ اللَّهِ وَخَشْيَتَهُ ، فيجتنبُ مَا يُغْضِبُ خَالِقَهُ وَيُمْتَنِعُ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ .

(١) الأنعام : ١٠٢ .

(٢) غافر : ٦٤ .

﴿ ... إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ .
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (١).

وَفَرَضَ اللَّهُ الزَّكَاةَ فِي الْأَمْوَالِ تَطْهِيراً لَهَا ، وَشُكْراً لِلنِّعْمَةِ وَتَفْرِيجاً
لِلْكَرْبَاتِ ، وَالزَّكَاةُ تَغْرِسُ فِي نَفْسِ الْمُؤْمِنِ فَضِيلَةَ السَّخَاءِ وَتَمَلُّ الْقُلُوبَ
بِمَحَبَّتِهِ ، وَبِذَلِكَ تَتَحَقَّقُ الْأَلْفَةُ وَالْمُودَةُ بَيْنَ النَّاسِ ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ
صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢) .

وَفَرَضَ الْإِسْلَامُ الصِّيَامَ لِيَرْبِّيَ فِي الْإِنْسَانِ فَضِيلَةَ الصَّدَقِ وَالْوَفَاءِ :
وَالصَّبْرَ عَلَى الشَّدَائِدِ ، وَلِيَرْبِّيَ فِيهِ قُوَّةَ الْإِرَادَةِ وَضَبْطَ النَّفْسِ ، فَلَا يَغْلِبُهُ
الْهَوَى . وَالصِّيَامُ - كَذَلِكَ - يَرْبِّي فِي نَفْسِ الْمُؤْمِنِ الْعِفَّةَ وَالْقَنَاعَةَ
وَالْأَمَانَةَ وَالرَّحْمَةَ ، وَيَعْرِفُهُ مِقْدَارَ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ ، لِيَشْكُرَ لِلخَالِقِ الرَّازِقِ
الْمُنْعَمِ : ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ : وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴾ (٣) .

وَفَرَضَ اللَّهُ الْحَجَّ عَلَى الْمُسْتَطِيعِ ، حَيْثُ يَنْتَقِلُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ دِيَارِهِمْ
وَيَتَجَرَّدُونَ عَنْ زِينَةِ الدُّنْيَا لَيْسَ عَلَى الْوَاحِدِ مِنْهُمْ إِلَّا إِزَارٌ وَرِدَاءٌ وَالْكُلُّ
خَاضِعٌ لِعِظْمَةِ اللَّهِ ، خَاشِعٌ لَجَلَالِهِ ، وَهَنَالِكُ تَتَوَاضَعُ النَّفُوسُ ، وَتَعْلَمُ
أَنَّهُ لَا يَلِيقُ بِالْعَبْدِ أَنْ يَسْتَكْبِرَ ، وَأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ لَأَدَمَ وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ .
﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٤) .

(١) النكبات : ٤٥ .

(٢) التوبة : ١٠٣ .

(٣) البقرة : ١٨٥ .

(٤) الحجرات : ١٣ .

أيها المسلمون :

فرض الله علينا من العبادات ما يقربنا إلى رضوان الله ، وما يحقق لنا الخير في الدنيا ، والفوز في الآخرة ويسمو بالنفيس الإنسانية ، ويطهرها من الأدران ، فإذا أراد العبد لنفسه سعادة الدارين ، والفوز بالحسينين ، وجب عليه أن يُطِيعَ رَبَّهُ : وذلك بالقيام بفروض الله تعالى ، وباجتناب محارمه ، والوقوف عند حدوده . ولْيَعْلَمْ المؤمن أن أصل الطاعة العلم بالله : والخوف من الله : والرجاء في الله : والمراقبة لله ، والعبد الذي يتجرّد عن هذه الخصال لم يدرك حقيقة الإيمان ، لأنه لا تصحّ الطاعة لله إلا بعد العلم به والإيمان بوجوده خالقاً عالماً قادراً لا يحيط به علم . ولا يتصوره وهم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (١) . سبحانه وتعالى جلّ شأنه ولا إله إلا هو ربّ السموات والأرض .

فإذا صحت العقيدة ، وسلمت ، وعرف المؤمن أن له رباً خالقاً رازقاً ، يدبر الأمر وحده : وأنه الإله المعبود ولا إله معبود بحق سواه ، إذا تقرر هذا الإيمان في القلب ، وجبت الطاعة للرب ، والطاعة إنما تكون مقبولة إذا صدرت عن إخلاص ومحبة ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٢) . وهذا هو معنى النية في العبادات من دعاء وصلاة وصوم وزكاة وصدقة وحج وعمرة وغير ذلك من العبادات أن تصدّر الطاعة والعبادة عن نية صادقة خالصة لوجه الله تعالى وتقرباً إليه : على سبيل الشكر له على ما أنعم به علينا من نعمة الخلق والتكوين والاستواء ، وكل ما يُحيط بنا من نعم ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٣) . ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ (٤) .

(٢) البينة : ٥

(١) الشورى : ١١ .

(٤) سبأ : ١٣ .

(٣) الصفات : ٩٦ .

فَلْيَحْذَرِ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْإِعْجَابِ بِالْعَمَلِ ، فَإِنَّهُ مِنْ أَكْثَرِ الْآفَاتِ وَمَحْطٍ
لِلْأَعْمَالِ : فَإِنَّ الْمَعْجَبَ بِعَمَلِهِ مُمْتَنٌ عَلَى رَبِّهِ . وَمَا يَذَرِيهِ أَقْبَلُ مِنْهُ أَمْ
رُدُّ عَلَيْهِ ؟ وَلِيَحْذَرِ أَيْضاً مِنَ الرِّيَاءِ فَإِنَّهُ يُخْبِطُ الْعَمَلَ وَيَعْظُمُ فِيهِ
الْوِزْرُ : وَلَأنَّهُ مِنْ خِصَالِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يُخْلِصُونَ
لِلَّهِ ، أَلَا إِنَّ الرِّيَاءَ مِنَ الشَّرِكِ الْخَفِيِّ الَّذِي حَذَرْنَا مِنْهُ الْحَبِيبُ الْمِصْطَفَى
ﷺ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَرَاقِبُوهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ :

إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا كَانَ مَتَمَسِّكًا بِدِينِهِ فَإِنَّهُ يَقُومُ بِحَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ ثُمَّ بِحَقِّ
وَالِدَيْهِ ، وَأَقَارِبِهِ ، وَيُوَاسِي أَهْلَهُ : وَلَا يُؤْذِي جَاراً ، وَلَا أَحَدًا ، إِنَّ
الْمَتَمَسِّكَ بِدِينِهِ ، لَا يَكُونُ لَعَانًا ، وَلَا سَبَابًا . وَلَا نَمَامًا ، وَلَا مُغْتَابًا .
وَلَا حَقُودًا ، وَلَا حَسُودًا .

الْمُسْلِمُ الْمُتَدِينُ يَكُونُ صَادِقًا فِي قَوْلِهِ ، أَمِينًا فِي مَعَامَلَتِهِ : لَا يَغُشُّ
إِذَا بَاعَ ، أَوْ اشْتَرَى : وَلَا يَنْقِصُ مَكِيلًا : وَلَا مِيزَانًا ، وَلَا يُخْلِفُ
وَعْدًا ، وَلَا يَكُونُ مُخْتَلًا ، وَلَا فَخُورًا ، وَلَا يِمَاطِلُ فِي حَقُوقِ النَّاسِ .
الْمُسْلِمُ الْمُتَدِينُ يُتَقَرَّنُ عَمَلُهُ ، وَيُؤَدِّيهِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ مِنْ غَيْرِ
تَسْوِيفٍ ، وَلَا تَأْخِيرٍ .

إِنَّ الْإِسْلَامَ - عِبَادَ اللَّهِ - هُوَ الدِّينُ الْعَامُّ الْخَالِدُ وَتَعَالِيْمُهُ صَالِحَةٌ
لِكُلِّ زَمَانٍ ، وَلِكُلِّ مَكَانٍ .. وَهُوَ عَقِيدَةٌ وَعَمَلٌ ، وَعِبَادَةٌ وَبِالْعَمَلِ بِهَا يَسْعَدُ
الْفَرْدُ ، وَيَتَحَقَّقُ الْخَيْرُ لِلْجَمَاعَةِ .

إِنَّ مَبَادِيءَ الْإِسْلَامِ هِيَ سَبِيلُ الْحَيَاةِ الْكَرِيمَةِ ، وَلَا فَلَاحَ إِلَّا بِهَذَا

الدين الذي أكرمنا الله به ، ولا خلاص للناس من مخاطر الشقاء في الدنيا والآخرة إلا به .

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١) .

قال رسول الله ﷺ : « لَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا مِنْ بَعْدِي . . كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي » .

فاتَّقُوا اللَّهَ - عبادَ اللَّهِ - واسألوه سبحانه العونَ على طاعته وشكره وتوبوا إليه لعله يرحمكم .

وصلِّ اللهم على نبينا الهادي الحبيب وعلى آله وصحبه .

وصية نبوية أكثر ما يدخل الناس الجنة

عن أبي ذر ، جندب بن جنادة ، وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل رضى الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ قال : « اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ » .
هذه الوصية وصية عظيمة جامعة لحقوق الله وحقوق عباده ، فإنَّ حقَّ الله على عباده أن يتقوه حقَّ تقاته ، فالتقوى وصية الله للأولين والآخرين ، قال الله تعالى : ﴿ ... وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (١) .

وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه ، فتقوى العبد لربه : أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك ، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) . أى اتقوا سخط الله وغضبه وهو أعظم ما يتقى ، قال تعالى : ﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ (٣) . أى هو أهل أن يخشى ويهاب ويُجَلَّ ويعظم فى صدور

(٢) الحشر : ١٨ .

(١) النساء : ١٣١ .

(٣) المدثر : ٥٦ .

عباده حتى يعبدوه ويطيعوه ، لما يستحقه من الإجلال والإكرام وصفات الكبرياء والعظمة وقوة البطش وشدة البأس .

ويدخل في التقوى الكاملة فعل الواجبات وترك المحرمات والشبهات ، وربما دخل فيها بعد ذلك فعل المندوبات وترك المكروهات ، وهى أعلى درجات التقوى .

قال طلق بن حبيب : التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ، وترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله وتخاف عقاب الله .

يقول ابن المعتز :

نَحَلُّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا فَهُوَ التَّقَى
وَاصْنَعْ كَمَا شِئْتَ فَوْقَ أَرْضِ الشُّوكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

وقوله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** : « اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ » أى فى السرِّ والعلانية ، حيث يراه الناس ، وحيث لا يرونه ، كما قال عليه السلام لأبى ذر : « أوصيك بتقوى الله فى سرِّ أمرِك وعلانيته » .

فالمؤمن من يستحضر عظمة الله فى نفسه فى كل وقت ، وهذا هو السبب الموجب لخشية الله فى السر كما يخشاه فى العلانية فإن من علم أن الله يراه حيث كان وأنه سبحانه يطلع على باطنه وظاهره ، وسره وعلانيته ، واستحضر ذلك دائماً فإنه يجتهد لتكميل نفسه بالطاعات ولزوم الفضائل ، والابتعاد عن كل ما يغضب الجبار .

يقول الله عز وجل : ﴿ ... وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١) .

وتقوى الله في السر هو علامة كمال الإيمان ، وله تأثير عظيم في إلقاء الله لصاحبه الثناء في قلوب المؤمنين وَمَنْ صار له هذا الحال دائماً أو غالباً فهو من المحسنين الذين يعبدون الله كأنهم يرونه فهم على حذر دائم من معاصيه وعلى رجاء قوى في رحمته ومثوبته .

ولما كان العبد مأموراً بالتقوى في السر والعلانية مع أنه قد يقع منه أحياناً تفريط في التقوى إما بترك بعض المأمورات أو بارتكاب بعض المحظورات ، لهذا فإن الرسول ﷺ قال لمعاذ : « وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا » . أى افعل من الصالحات ما تمحو به السيئات .

قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ (١) .

وعن أبي ذر قال : قلت يا رسول الله : علّمني عملاً يقربني من الجنة ويباعدني عن النار . قال : « إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فاعْمَلْ حَسَنَةً ، فَإِنِهَا عَشْرُ أَمْثَالِهَا » . قال : قلت يا رسول الله : أَمِنْ الْحَسَنَاتِ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » ؟ قال : « هِيَ أَحْسَنُ الْحَسَنَاتِ » .

وقد يُراد بالحسنة في قوله عليه السلام : « وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ » التوبة من تلك السيئة ، وقد جاء ذلك صريحاً من وصية الرسول لمعاذ ، ومنها : « واذكر الله عز وجل عند كلِّ شَجَرٍ وَحَجَرٍ ، وَإِنْ أَحْدَثْتَ ذَنْبًا فَأَحْدِثْ عِنْدَهُ تَوْبَةً وَإِنْ سَرًّا فَسِرُّهُ وَإِنْ عَلَانِيَةً فَعَلَانِيَةً » .

قال تعالى : ﴿ ... وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ (٢) .

(١) هود : ١١٤ .

(٢) طه : ٨٢ .

وقد يراد بالحسنة ما هو أعم من التوبة ، أى أن التقرب إلى الله بعمل صالح مع إخلاص النية يكفر الله به الخطايا ، وقد جاء من حديث أبي بكر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ ثُمَّ يُصَلِّي ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ » ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وفي صحيح مسلم عن عثمان رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ » .

وقد ورد أن صيام رمضان مع إخلاص النية يكفر الذنوب ، وكذلك أداء فريضة الحج مع الصدق ومراعاة آدابه .

وفي المسند عن أم هانئ عن النبي ﷺ قال : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا تَتْرُكُ ذَنْبًا ، وَلَا يَسْقُيْهَا عَمَلٌ » . والأحاديث في هذا كثيرة وهي تلفت المؤمنين إلى الإكثار من ذكر الله وتوحيده والتقرب إليه بصنوف الطاعات ليكسب العبد ثوابها ، ورجاء أن تكون سبباً في غفران ذنوبه . هذا مع اتفاق الأمة على أن التوبة فرض لأن الله أمر العباد بالتوبة والغزم على الطاعة ، وعدم الرجوع إلى المعصية ، وجعل مَنْ لم يَتُبْ ظالماً ﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢) .

وعن عثمان رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَا مِنْ أَمْرٍ

(١) آل عمران : ١٣٥ .

(٢) الحجرات : ١١ .

مُسْلِمٌ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وَضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةٌ وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ .
ذلك أَنَّ الْكِبَائِرَ تَكْفِرُهَا التَّوْبَةُ أَوْ عَفْوُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « إِنْ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، تَنَفَّضُ الْخَطَايَا كَمَا تَنَفَّضُ الشَّجَرَةُ وَرَقُهَا » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ عَبْدٍ يُصَلِّي الصَّلَاةَ الْخَمْسَ ، وَيَصُومُ رَمَضَانَ وَيُخْرِجُ الزَّكَاةَ وَيَجْتَنِبُ الْكِبَائِرَ السَّبْعَ ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ثُمَّ قِيلَ لَهُ ادْخُلْ بِسَلَامٍ » .

وهذا يدل على أَنَّ آدَاءَ الْفَرَائِضِ وَاجْتِنَابَ الْكِبَائِرِ دَلِيلٌ عَلَى التَّقْوَى وَسَبِيلٌ إِلَى نَيْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ .

ومن خصال التقوى : أَنْ يَخَالَقَ الْمُؤْمِنُ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ ، فَعَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَحْسِنَ الْعِشْرَةَ لِلنَّاسِ ، وَقَدْ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ حَسْنَ الْخُلُقِ أَكْمَلَ خِصَالِ الْإِيمَانِ فِي قَوْلِهِ : « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا » .

وقال ﷺ : « إِنْ حُسِّنَ الْخُلُقُ أَثْقَلُ مَا يَوْضَعُ فِي الْمِيزَانِ وَإِنْ صَاحَبَهُ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ وَأَقْرَبُهُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مَجْلَسًا » .

فَطُوبَى لِمَنْ اتَّقَى رَبَّهُ وَنَدِمَ عَلَى ذَنْبِهِ وَرَاقَبَ اللَّهَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَخَالَقَ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ :
مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ . قَالَ : « تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ » .

فاتقوا الله عباد الله ، وراقبوه في كل قول وعمل ، وسلوه محاسن الأخلاق واستغفروه يغفر لكم .

للخطبة الثانية :

من عضات الرسول ﷺ للخطبة الثانية

قضاء الله نافذ في وقته

عن الزهري قال : بَلَّغْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا خَطَبَ : « كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ ، وَلَا بُعْدَ لِمَا هُوَ آتٍ . لَا يُعَجَّلُ (١) اللَّهُ لِعَجَلَةٍ أَحَدٍ ، وَلَا يَخْفُ (٢) لِأَمْرِ النَّاسِ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا مَا شَاءَ النَّاسُ . يُرِيدُ اللَّهُ أَمْرًا وَيُرِيدُ النَّاسُ أَمْرًا ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَلَوْ كَرِهَ النَّاسُ ؛ وَلَا مُبْعَدَ لِمَا قَرَّبَ اللَّهُ ، وَلَا مُقَرَّبَ لِمَا بَعَدَ اللَّهُ ؛ لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ » .

(١) لا يعجل : بمعنى أن قضاءه سبحانه وتعالى لعبده نافذ في وقته ولا تعجله رغبة العبد في تعجيله .

(٢) ولا يخف : بمعنى أنه سبحانه لا يعجل بالأمر لكون الناس يتعجلونه ويتلهفون عليه . والمقصود : أن كل شيء عند الله بمقدار ، وأن قضاءه واقع لا محالة ، ولكن في وقته الذي أراده الله عز وجل ، وقد فسرت الخطبة المراد بقوله صلى الله عليه وسلم : لا يعجل الله لعجلة أحد ، ولا يخف لأمر الناس « بقوله « ما شاء الله لا ما شاء الناس » . فكل الأمور بيد الله وحده ، وهو سبحانه يختبر عباده بالخير والشر وما أراده كان وما لم يرد لا يقع سبحانه وتعالى .

النفس المطمئنة واللّوامة والأمانة

أما بعد :

فقد قال الله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً *
فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (١) .

يا أهل الإيمان :

هذه الآيات تُشَوِّقُ النفوسَ المخلصة الصافية إلى التَّخَلِّي بالكمالاتِ
الإنسانية وإلى لزوم طاعة الله بالإتيان بما به أمر ، واجتناب ما عنه نهى
وزجر . . . كما أنها تشوِّقها إلى التَّخَلِّي عن كل معصية وخلق لا يَرْضَى
عنه الله ، إذ دَنَسُ المعاصي مجلبةً لَغَضَبِ الرَّبِّ .

إِنَّ الْآيَاتِ تُشَوِّقُنَا إِلَى النَّفْسِ الَّتِي أَطْمَأْنَنْتْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاثْقَةً
بِمَا عِنْدَهُ ، رَاضِيَةً بِقَضَائِهِ ، قَانِعَةً بِعَطَائِهِ ، مُوقِنَةً بِلِقَائِهِ ، مُسَلِّمَةً
لَأَمْرِهِ ، مُتَوَكِّلَةً عَلَيْهِ فِي كُلِّ شَأْنِهَا .

إِنَّهَا النَّفْسُ الْمُؤْمِنَةُ الْمُخْلَصَةُ ، نَفْسُ الشَّاكِرِ فِي الرِّخَاءِ ، الصَّابِرِ فِي
الْبُؤْسِ وَالضَّرَاءِ الْحَامِدِ رَبَّهُ فِي كُلِّ حَالٍ لَا يُضْعَفُ إِيمَانُهُ تَغْيِيرُ الزَّمَانِ ،
وَلَا يَزْعَزِعُهُ مَا يَفُوتُهُ مِنَ الدُّنْيَا ، فَهُوَ مُطْمَئِنٌّ إِلَى أَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ
يَكُنْ لِيُصِيبِهِ ، وَأَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ .

إِنَّهَا النَّفْسُ الَّتِي آمَنْتْ بِأَنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ آتٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ، يَوْمَ
يَفْصِلُ اللَّهُ بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَقْتَضِ لِلْمَظْلُومِ مِمَّنْ ظَلَمَهُ ، وَيَأْخُذُ لِلْمَحْرُومِ
حَقَّهُ مِمَّنْ حَرَمَهُ ، وَيَحَاسِبُ سَبْحَانَهُ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، فَيَجْزِيهَا
بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا ، وَبِالسُّوءِ سُوءًا ، لَذَا فَإِنَّ صَاحِبَ النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ

يفرُّ من الحرام ، ولا يَأْتِي الدَّنيَّةَ ، ولا يطلبُ لغيره السوءَ والرَّيَّةَ ،
لإيمانه بأن التفاضلَ في الأرزاقِ والمِياتِ إنما يتمُّ على مُقتضى عدلٍ أحكمِ
الحاكمين وحِكْمَتِهِ ، وأنه سبحانه إذا قَضَى أمراً فلا رادَّ لِقَضَائِهِ ،
وأن المُتَسَخِّطَ إنما يُتَعَبُ نفسه ، ويُغْضَبُ ربه ، أما الراضى القانعُ
فيعيشُ قَرِيرَ العينِ ، مجتهداً في الاستعدادِ للقاءِ الله في يومٍ لا ينفع
فيه الندم .

إنها النفسُ المتعظَّةُ الذاكرةُ لا تُلهيها الفانيةُ عن الباقيةِ ، ولا يَشْغُلُهَا
العَرَضُ القريبُ عن الباقي الدائم . . . إنها النفسُ التي كان يطلبها
الرسولُ الهادي عليه السلام في دعائه وسؤاله ربه فيقول : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ
نَفْسًا بِكَ مُطْمَئِنَّةٌ ، تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ ، وَتَقْنَعُ بِعَطَائِكَ » .
إنَّ صاحبَ النفسِ المخلصةِ الموقنةِ المطمئنةِ يُبَشِّرُ عند موته بالخلودِ
في دارِ النعيمِ ، ويرى عند خروج رُوحه ما يُثْلِجُ صدره ، ويُرْزِلُ هَمَّهُ ،
ويُدْخِلُ السرورَ على قلبه ، فلا هو يحزنُ على ما خَلَفَ في دنياه ، ولا
هو يخافُ ممَّا هو مُقْبِلٌ عليه لأنَّه وَالى طاعةَ الله وأدام الخوفَ منه
فوالاه الله بالمحبةِ والنصرةِ والتأييدِ وشِملَهُ بعفوهِ ورحمتهِ : ولنتدبر
قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ
أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (١).

قال عمرو بن العاص : إذا تَوَفَّى المؤمنُ أَرْسَلَ اللهُ إِلَيْهِ ملكين
وأرسلَ معهما تُحَفَّةً من الجنة فيقولان لها : اخرجي أيتها النفسُ
المطمئنةُ راضيةً مرضيةً ومرضياً عنكِ ، اخرجي إلى رُوحِ وَرِيحَانٍ

وربٌ غيرُ غضبان . يقولُ : فتخرجُ كأطيبِ ریحِ المسكِ وجَدَّ
أَحَدُ منْ أَنْفِهِ على ظهِرِ الأَرْضِ .
أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ :

إنْ هذهِ الخاتمةُ الكريمةُ لحياةِ المؤمنِ الصالحِ بعدِ عمرٍ قضاهُ في
دنيا لا تسرُّ حتى تُحزِنَ ، ولا تكادُ تصفو لأنَّ ما يُعَكِّرُ الصَّفوَ فيها
كثيرٌ إنْ هذهِ الخاتمةُ لسلامٍ وبردٍ على القلوبِ التي حرَّقها الشَّوقُ
إلى مرضاةِ الربِّ ، فصَبَرَتْ على مُنْغَصَّاتِ الحياةِ الدنيا حامدةً شاكِرةً .
إنْها تحيةُ الربِّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لعبادِ عَرَفُوا حَقَّهُ فماتوا طيِّبينَ
طاهرينَ من الشُّركِ زاكِيةً أَفْعَالُهُمْ وَأَقْوَالُهُمْ ولنتدبرِ قولَ الحقِّ
تبارك وتعالى :

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا
الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ : إنْ مَلَكَ المَوْتِ يَجِيءُ للمؤمنِ عند
موته فيقولُ له : السَّلامُ عليك ولِي اللهُ ، اللهُ يُعْزِّيكُ السَّلامَ . . . ثم
قرأ : ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ..﴾ ويقالُ لهم :
أُبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ في الدُّنْيَا مِنَ الصَّالِحَاتِ .
يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ :

إنْ خاتمةُ صاحِبِ النَفْسِ المَطمَئِنَّةِ كُلُّهَا مَبَاهِجٌ وَسُرُورٌ خَالِيَةٌ من
المَكْدَرَاتِ والآلَامِ والأَحْزَانِ مَبْشَرَةٌ بِحَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ وَرَاحَةٌ
لا تُمَلُّ ، نَهَى تُبَشِّرُ عندَ المَوْتِ بِمَا يَسْكُنُ لَهُ القَلْبُ ، وَيَقَالُ لها عند
الْبَعْثِ ارجعي إلى محلِّ عنايةِ ربِّك وموقفِ كرامتِهِ لك حيثُ للسَّعْداءِ
قَبْلَ الحِسابِ مَوْقِفٌ مَخْصُوصٌ في المَحْشَرِ يُكْرِمُهُمُ اللهُ تَعَالَى بِهِ ،

لا يَجِدُونَ فيه ما يَجِدُهُ غَيْرُهُمْ في مَوَاقِفِهِمْ مِنَ النَّصَبِ ، ومنها يُنَادَى الواحدُ بعد الواحدِ للحساب :

﴿ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴾ رَحِمَ اللَّهُ النَّفْسَ الْمُؤْمِنَةَ الصَّالِحَةَ فَجَعَلَهَا مَوْضِعَ كَرَامَتِهِ وَفِي ظِلِّ رَحْمَتِهِ ، في يومِ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ ، وَهِيَ لِذَلِكَ رَاضِيَةٌ بِعَمَلِهَا فِي الدُّنْيَا وَبِمَرْجِعِهَا فِي الْآخِرَةِ وَهِيَ مَرْضِيَّةٌ ، لِأَنَّ مِنْ كَانُوا مَعَهَا فِي الدُّنْيَا رَاضُونَ عَنْهَا لِحَسَنِ صَنِيعِهَا ، وَاللَّهُ رَاضٍ عَنْهَا لِصَلَاحِ عَمَلِهَا .

وزيادة في تكريمها يقال لها : ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ والعبادُ هم العبادُ الْمُكْرَمُونَ ، حِزْبُ اللَّهِ الْمُفْلِحُونَ أَيْ ادْخُلِي فِي زَمْرَةِ عِبَادِي الصَّالِحِينَ الْمُخْلِصِينَ وَانْتَظِمِي فِي سَلَكِهِمْ ، فَكُونِي فِي جُمْلَتِهِمْ ، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى سَعَادَتِهَا لِكَمَالِ اسْتِثْنَائِهَا النَّفْسَ بِالْجَلِيسِ الصَّالِحِ ، ثُمَّ تُفْتَحُ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ أَبْوَابُ النِّعَمِ ، وَيُؤْذَنُ لَهُمْ بِدُخُولِهَا حَيْثُ يَجِدُونَ رَاحَةً الْبَالِ وَسَعَادَةَ الْبَدَنِ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ (١) .

هَذِهِ النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ الرَّاضِيَةُ الْمَرْضِيَّةُ تَقَابِلُهَا النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ الْمُشْتَهِيَةُ الشَّرَّ وَيَصُدُّهَا تَتَمَيَّزُ الْأَشْيَاءُ ، وَفِي هَذِهِ النَّفْسِ يَقُولُ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ :

﴿ وَمَا أَكْبَرُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ (٢) أَيْ إِلَّا مِنْ عَصَمَهُ اللَّهُ مِنْ شَرِّهَا وَمِنْ نَزْوِعِهَا إِلَى السُّوءِ .

وَالنَّفْسُ الْأَمَّارَةُ تَمِيلُ إِلَى الطَّبِيعَةِ الْبَدَنِيَّةِ وَتُغْوَى بِاللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ الْحَسِيَّةِ ، وَتَجْذِبُ الْقَلْبَ إِلَى مَا فِيهِ فَسَادُهُ فَهِيَ مَأْوَى الشَّرِّ ، وَمَنْبَعُ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ ، وَمِنْ سُوءِ حِظِّ الْمَرْءِ أَنْ يُتَابَعَ هَوَاهَا ، وَأَنْ يَنْقَادَ لَهَا غَافِلًا عَنِ الْمَصِيرِ الْمُحْتَمِمْ حَتَّى يُوَافِيَهُ الْأَجَلُ ، أَمَّا الْعَاقِلُ حَسَنُ الْحِظِّ

فهو الذى يقيمها عن غيها ، ويردّها إلى الصراطِ السوى مهتدياً بنور الدين ، مسترشداً بأحكامه وعظاته ، وفى التحذير من الانقياد لهوى النفس الأمارّة يعظنا الرسول ﷺ فيقول : « ما تقولون فى صاحب لكم إن أنتم أكرمتموه وأطعتموه وكسوتموه أفضى بكم إلى شر غاية ، وإن أهنتموه وأعريتموه وأجعتموه أفضى بكم إلى خير غاية ، قالوا يارسول الله ، هذا شرُّ صاحب فى الأرض ، قال فوالذى نفسى بيده : إنها لنفوسكم التى بين جنوبكم » .

وصاحبُ النفسِ الأمارّة يقولُ يوم لا ينفعُ الندم ولا يُقبلُ عُذرُ : ﴿ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ . ويقول : ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً ﴾ . وشأن ما بين النفسِ المطمئنة والنفسِ الأمارّة . . وهناك النفسُ اللّوامةُ التى نوه الله بشأنها بالإقسامِ بها فقال : ﴿ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ﴾ . وهى التى تلوم نفسها على ما فرطَ منها ، وتندمُ على الشرِّ لِمَ فعلته ، وتندمُ على الخير لِمَ لم تستكثر منه ، فهى لم تزلْ لائمةً ، وإن اجتهدت فى الطاعات ، وهكذا شأنُ البارِّ لا تراه إلا لائماً نفسه ، أما المطموسُ على بصيرته فهو الفاجرُ الذى يَمْضِى إلى الأمام لا يعاتبُ نفسه ، فالنفسُ اللّوامةُ تستديمُ الخوفَ أن تكونَ قصّرت فيما يجبُ عليها لله .

فانظرْ أخى المؤمن فى حالِ نفسك وراقبِ الله فى سرِّك وعلانيتك ، واستعنْ به على صلاحِ أمرِك ، وتأمّلْ قولَ الرسول الحبيب ﷺ : « لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ بَرَّةٍ وَلَا فَاجِرَةٍ إِلَّا وَتَلَوُا نَفْسَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ عَمِلَتْ خَيْرًا قَالَتْ : كَيْفَ لَمْ أَزِدْ مِنْهُ وَإِنْ عَمِلَتْ شَرًّا قَالَتْ : لَيْتَنِي قَصَّرتُ » . فطوبى لمن اجتهد فى طاعة الله ، وأخلص العبادة لله ليكون من أصحابِ النفوسِ المطمئنة .

واتقوا الله عباد الله واطلبوا مرضاته بأداء فرائضه ، والوقوف عند حدوده ، وتوبوا إلى الله توبة نصوحاً إنه غفور رحيم .

البعث حق والجزاء حق

الحمد لله الذى خلق آدم من ترابٍ ، وخلق أبنائه من نُطفة من ماءٍ مَّهين ثم هو سبحانه يُمَيِّتُهُمْ ثُمَّ يُخْيِيهِمْ للحساب والجزاء سبحانه يقولُ للشيءِ كُنْ فيكون .

أَحْمَدُهُ سبحانه هو القوىُّ القادرُ لم يَخْلُقْنَا عَبْدًا بَلْ لِحِكْمَةٍ وَغَايَةٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ القائمُ على كُلِّ نَفْسٍ بما كَسَبَتْ فَيُجَازِي المحسنَ بإحسانِهِ والمسيءَ بِإِسَاءَتِهِ ، وهو اللطيفُ الخبيرُ الذى لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ نَبِيَّنَا وَهَادِيَنَا وَحَبِيبَنَا مُحَمَّدًا دَعَا إِلَى الْحَقِّ وَخَالَصَ الْإِيمَانَ وَبَشَّرَ وَأَنْذَرَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالمُهْتَدِينَ بِهِدْيِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .
أما بعد فيأعباد الله :

خطب النبي ﷺ فقال في خطبته : « . . . إن الرائد لا يكذبُ أَهْلَهُ وَاللَّهِ لَتَمُوتَنَّ كَمَا تَنَامُونَ وَلَتَبْعُنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ ، وَلَتَجْزُونَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا وَبِالسُّوءِ سُوءًا وَإِنَّمَا لَجَنَّةٌ أَبَدًا ، أَوْ لَنَارٌ أَبَدًا . . »
أيها المؤمنون :

إنها حقائق أنصعُ من بَيَاضِ النهار .
كلُّ ابنِ أنثى سيموت ، وينتقلُ من هذه الحياة المحدودة الفانية إلى حياةٍ أُخرى مملودة باقية .
والبعثُ حقٌّ كما يستيقظ الإنسانُ بعد النوم . والجزاءُ حقٌّ ﴿ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ؟ ﴾ (١) .

والاعتقادُ باليوم الآخر والإيمانُ بما يكون فيه من البعث والحساب والجزاء
على الأعمال رُكنٌ من أركان الدين ، ولا يكون المرءُ مؤمناً إلا إذا آمنَ
بالبعث والجزاء .

وضلَّ قومٌ اعتقدوا أنه لا بعثَ بعدَ الموتِ . ضلُّوا واحتقروا عقولَهم
فساءتُ عاقبتُهم ، ولنتدبَّر قولَ الحقِّ تبارك وتعالى :

﴿ وَقَالُوا : أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ
رَبِّهِمْ كَافِرُونَ * قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ
تُرْجَعُونَ ﴾ (١) .

هذه طائفةٌ وُجدت وتوجد في كلِّ زمان تُنكر الحياةَ بعد الموت
وتقول : ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ (٢)

وهؤلاء في موقف الحساب يوم القيامة يغشى وجوههم الذل والصغار
ويندمون أشد الندم . ولنتأمل موقفهم في قول الحق تبارك وتعالى :
﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا
وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ (٣) .

إن إنكار البعث والجزاء يستلزم الكفر بحكمة الخالق وعدله سبحانه
وتعالى في خلقه .

ويستلزم كُفْرَ المنكرِ بنعمة الخالقِ بخلقه في أحسن تقويم وبتفضيل
الإنسانِ على الكائناتِ المحيطةِ به ، وبتكريمه .

كما أن هذا الإنكار يستلزم جهلَ المنكر بما وهبهُ الله من المشاعر
والقوى والعقل .

(٢) الجاثية : ٢٤ .

(١) السجدة : ١١ ، ١٠ .

(٣) السجدة : ١٢ .

ومن لوازم هذا الجهل والكفر احتقار المنكر لنفسه باعتقاده أنه خلق عبثاً لا لحكمة بالغة ، واعتقاده أن وجوده في الأرض موقوت محدود بهذا العمر القصير المنغص بالهموم والآلام ، واعتقاده أن الإنسان يترك سدى فلا يثاب المحسن على إحسانه ولا يؤاخذ المسيء بإساءته .

ولنتدبر قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ * أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ (١) .

إنه الدليل الذي ينير الطريق أمام العقل يُرشده إلى أن الأمر لا ينتهى بالمساواة بين من أحسنوا في دنياهم وبين من أساءوا وأفسدوا في الأرض بغيهم وضلالهم .

ولنتدبر قول الحكيم الخبير :

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ (٢) .

نعم . . لم يخلق الله الإنسان عبثاً . . ولم يخلق هذا الكون لعباً . . سبحانه وتعالى .

عباد الله :

إن الله خلق الإنسان وهياً له الأسباب التي تمكنه من الاستقرار في الأرض وعمارتها والانتفاع بخيراتها لغاية جديرة بحكمته ورحمته .

وجعل الله الدنيا للإنسان مرحلة اختبار وابتلاء ، ولم يتركه سدى مُهملًا بلا مرشد يُنير له الطريق ، ويزجره عما يضره ، ويبين له

ما ينفعه . بل أرسلَ إليه الرسلَ مبشرين ومنذرين ، وأنزلَ عليهم الكتبَ السماوية ، وأيدهم بالمعجزاتِ ليدَّكروا الإنسانَ بنعمةِ الله عليه ، ويدفعوه على شكرها ، ويُبينوا له ما يجبُ عليه نحوَ ربِّه من توحيده وطاعته وعبادته ويرسموا له طريقَ النجاةِ والفوزِ والسعادة ... حتى يستعدَّ الإنسانُ للقاءِ ربِّه .

يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِاعْبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ * يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (١) .

أيها المؤمنون :

إن الاعتقاد باليوم الآخر والإيمان بما يكونُ فيه من البعث والحساب والجزاء على الأعمالِ يبعثُ المؤمنَ على العملِ الصالح ويوقِّفه عندَ حدودِ العدلِ ويردُّه لطريقِ الحق ويُطهرُ قلبه من الآفاتِ فنجدُه صبوراً عفيفاً مُحِبّاً للخير ، عَظُوفاً بَرّاً رَحِيماً ، لَا يَخْفُدُ وَلَا يَحْسُدُ وَلَا يَطْمَعُ وَلَا يَغُشُّ .

الاعتقادُ بالبعث والجزاء يبعثُ في النفسِ روحَ العملِ الطيب ويدفعُ بالإنسانِ إلى مدارجِ الكمالِ الإنساني . فنجدُ المؤمنَ يتحلى بالفضائل ويستزِيدُ من العبادات ، ويَطهرُ نفسه ويَهذبُها حتى تصلحَ لملاقاةِ ربِّها .

إن هذا الإيمانَ يدفعُ صاحبه إلى الاجتهادِ في ملءِ صحيفته بخيرٍ ينفعُ وتسطيرِ كتابه بعملٍ يُرضى ربُّه ، واغتنامِ حياته قبل انصرامِ الأجلِ وانقطاعِ العملِ فيقضيها صالحاً مصلحاً مجتهداً في الخيراتِ

ليفوز بالرضوان : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (١) .

إن البعث حقُّ والحساب حقُّ والجزاء حقُّ . وليتدبر العقلاء قول الرب القادر :

﴿ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنًى يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخَيِّبَ الْمَوْتَى ؟ ﴾ (٢) .

وليتدبروا قول الحكيم الخبير :

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ، قَالَ : مَنْ يُخَيِّبِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُخَيِّبُهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣) .

وسبحان القوى القادر الذي يقول :

﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْى بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخَيِّبَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤) .

ولنسمع قوله سبحانه وتعالى :

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لِقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ (٥) .

أوجد الله الإنسان من العدم وحياته لا تنتهى بانتهاء هذه الحياة المحدودة الفانية . بل هناك الحياة الأبدية . . هناك الثواب الأخرى والعقاب الأخرى ليجد كل إنسان جزاءه بما قدمت يده .

(٢) القيامة : ٣٦ - ٤٠ .

(٤) الأحقاف : ٣٣ .

(١) الشعراء : ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) يس : ٧٨ ، ٧٩ .

(٥) الطارق : ٥ - ٩ .

وقدرة الله مُطلقة وأمره نافذ ، فويل لكل مُنكرٍ وجاحدٍ ومُلحدٍ إذا مات ولم يتبَ ويَرْجعَ إلى ربِّه ، وطوبى للمؤمنين الصالحين .

(فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ * فَتُزَلُّ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٌ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) (١) .

(اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين واكتب لنا الفوز برضاك يوم الدين)

عن أبي يعلى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :
« الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي » .

وَالْكَيْسُ هُوَ الْعَاقِلُ الَّذِي يَفْكُرُ فِي الْعَاقِبَةِ ، وَيَحَاسِبُ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يُحَاسِبَ لِيَمْنَعَهَا مَا فِيهِ هَلَاكُهَا ، وَآمِنَ بِأَنَّ الْبَعْثَ لَا رَيْبَ فِيهِ فَاعَدَّ لِهَذَا الْيَوْمِ الْعَمَلَ الصَّالِحَ الَّذِي يَرْجُو بِهِ رَحْمَةَ رَبِّهِ .

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرِغْ » .

أَي قَبْلَ أَنْ تَصِلَ الرُّوحُ حُلُقُومَهُ .

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَتَوَبُوا إِلَيْهِ تَوْبَةً نَصُوحًا وَأَعِدُّوا أَنْفُسَكُمْ لِيَوْمٍ لَا يَنْفَعُ فِيهِ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَبِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ .

للخطبة الثانية :

من عضلات الرسول ﷺ للخطبة الثانية

اجتهدوا في الطاعة قبل العجز والتقصير :

قال جابر : كان النبي ﷺ يوم الجمعة يخطب فيقول بعد أن يحمد الله ويصلي على أنبيائه : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لَكُمْ مَعَالِمَ فَانْتَهُوا إِلَى مَعَالِمِكُمْ ، وَإِنَّ لَكُمْ نِهَآيَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَآيَتِكُمْ . إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ : بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ قَاضٍ فِيهِ ، وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ فِيهِ . فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ ، وَمِنْ الشُّبُهَةِ قَبْلَ الْكِبَرِ ، وَمِنْ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ . وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ ، وَمَا بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ . أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ » .

وفى أنفسكم أفلا تبصرون

أما بعد :

فقد قال الله تعالى : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ؟ ﴾ (١) .
 دعانا الله عز وجل إلى إجمالة الفكر فيما حولنا من بديع صنعه ،
 وفى أنفسنا ؛ لأن طالب الحق إذا تأمل كتاب الكون وتدبر فى خلق
 الإنسان استقر يقينه بالإيمان بوجود الخالق وبوحدانيته وعموم قدرته
 وكمال حكمته واطمأنت نفسه يقيناً بعظمة الخالق معتزلاً ومقرراً
 بوسع رحمته بعباده وعظيم لطفه وعدله .

وفى كل شئ له آية تدل على أنه الواحد

تدبنا الله إلى التفكير فى خلق الإنسان ، وفى أطواره ، وكيفية
 تركيبه : فقال : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ؟ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ *
 يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ (٢) .

فالإنسان الذى يضرب فى الأرض معتدلاً الخلق ، تام الأعضاء ،
 أصله نطفة كانت مغيبة فى صلب الرجل وترائب المرأة ، لا يعلم
 مكانها إلا خالقها ومدبر أمرها ، وإلى ذلك يلفت الحق تبارك وتعالى عباده :
 ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنْ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً *
 إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ (٣) .

وأصل البشر أبوهم آدم ، وآدم خلق من طين :
 ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً

(١) الذاريات : ٢١ .

(٢) الطارق : ٥ - ٧ .

(٣) الإنسان : ١ ، ٢ .

فِي قَرَارِ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ
أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١﴾ .

فابنُ آدَمَ خُلِقَ مِنْ نُطْفَةٍ ، وَهِيَ قَطْرَةٌ مِنْ مَاءٍ مِهِينٍ ضَعِيفٍ
مُسْتَقْدِرٍ ، سَاقَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقُدْرَتِهِ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا فِي رَحِمِ الْمَرْأَةِ ، حَيْثُ
الْقَرَارُ الْمَكِينُ الَّذِي لَا يَنَالُهُ هَوَاءٌ يُفْسِدُهُ ، وَلَا بَرْدٌ يُجَمِّدُهُ ، وَلَا آفَةٌ
تَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ بِقُدْرَتِهِ قَلَبَ تِلْكَ النُّطْفَةَ عَلَقَةً حَمْرَاءَ ، ثُمَّ مُضْغَةً
لَحْمٍ مُخَالَفَةً لِلْعَلَقَةِ فِي لَوْنِهَا ، وَحَقِيقَتِهَا ، وَشَكْلِهَا ، ثُمَّ جَعَلَ الْمُضْغَةَ
عِظَامًا مُجَرَّدَةً لَا كِسُوةَ عَلَيْهَا ، وَهِيَ مَغَايِرَةٌ لِلْمُضْغَةِ فِي شَكْلِهَا ، وَهِيَائَتِهَا ،
وَقَدَرِهَا ، وَلَوْنِهَا ، ثُمَّ كَسَا سَبْحَانَهُ الْعِظَامَ لَحْمًا ، ثُمَّ تَأَمَّلْ كَيْفَ صَارَ
الْإِنْسَانُ بَعْدَ ذَلِكَ مُرَكَّبًا مِنْ أَجْزَاءٍ مُتَنَاسِقَةٍ ، وَمِنْ أَجْزَاءٍ مُتَعَاوِنَةٍ
وَمَاذَا نَقُولُ : عَنِ الْأَعْصَابِ وَالْعُرُوقِ وَالْعِظَامِ وَالْمَفَاصِلِ وَأَجْزَاءِ التَّنَفُّسِ
وَالْهَضْمِ وَدَوْرَةِ الدَّمِ ، وَكَيْفَ شَقَّ لِهَذَا الْجِسْمِ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَقَمَهُ وَأَنْفَهُ ؟
ثُمَّ مَاذَا نَقُولُ عَنِ مَدِّ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ وَالْأَصَابِعِ ، وَعَنِ الْأَنْوَامِلِ ،
وَالْأَسْنَانِ ، وَالْأَضْرَاسِ ، وَاللِّسَانِ ، وَالْحَنَاجِرَةِ ، وَالْأَحْبَالِ الصَّوْتِيَةِ ،
وَالْكِرَاتِ الْحَمْرَاءِ وَالْكِرَاتِ الْبَيْضَاءِ ، وَالْعَقْلِ ، وَالْقَلْبِ ، وَالْمَخِّ ؟ وَمَاذَا
نَقُولُ عَنِ الْمَعِدَةِ وَالْكَبِدِ وَالطَّحَالِ وَالرِّثَةِ ، وَعَنِ رَحِمِ الْمَرْأَةِ وَالْمَثَانَةِ ؟ كَيْفَ
تَمَّ كُلُّ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ ؟ وَهَيْئَتُهُ فِي قَرَارِهِ الْمَكِينِ فِي ظِلْمَاتِ الرَّحِمِ ؟ حَتَّى
خَرَجَ الْإِنْسَانُ لِيَسْتَقْبَلَ الضُّوْءَ ، وَيَبْدَأَ الْجَوْلَةَ إِلَى أَنْ يَنْتَفِخَ الْعُمُرُ وَفِي
خِلَالِ ذَلِكَ عِبَرٌ وَعِظَاتٌ .

أَلَا يَدُلُّ كُلُّ ذَلِكَ عَلَى وَجُودِ الْخَالِقِ الْحَكِيمِ الْإِلَهِ الْقَادِرِ الْعَظِيمِ ؟
(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) .

ولنتدبر قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ (١) .
فالإنسان يخرج من بطن أمه ضعيفاً نحيفاً واهن القوى ثم يشب قليلاً قليلاً حتى يكون صغيراً ثم حدثاً ثم مُراهقاً ثم شاباً ، وهو القوة بعد الضعف ثم يبدأ الإنسان في النقص فيكتهل ، ثم يشيخ ، ثم يهرم ، وهو الضعف بعد القوة فتضعف تبعاً لذلك الهمة والحركة ، وتشيب الرأس ، وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة ولهذا قال :
﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ أى يفعل ما يشاء ويتصرف في عبيده بما يريد ﴿ وهو العليم القدير ﴾ .

إن الإنسان لا ينبغي له أن يغفل عن النظر إلى نفسه ، وتأمل ذاته فلم يخلق الإنسان عبثاً ؟ وإنما خلق لغاية ؟ فإذا لم تتحقق فيه الغاية ضيع نفسه وأهلكها . يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴾ (٢)
هل فكر الإنسان في قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (٣) .

هلا نظر كيف حسن الله شكل عينيه ومقدارهما ، ثم جمعهما بالأجفان غطاءً لهما وسيراً وحفظاً وزينة ، فهما يتلقيان عن العين الأذى والقذى والغبار ويقيانها من البارد المؤذى والحر المؤذى ، ثم كيف غرس في أطراف تلك الأجفان الأهداب جمالاً وزينةً ولمنافع كثيرة ، ثم جعل في العينين خاصية النور الباصر الذي يخرق ما بين السماء

(٢) الذاريات : ٥٦ ، ٥٧ .

(١) الروم : ٥٤ .

(٣) البقرة : ٨ - ١٠ .

والأرض ، وكل ذلك وغيره في تلك الحديقة الصغيرة التي تُمثِّل جزءاً ضئيلاً من جسم الإنسان . . ثم هلا تأمل الإنسان لسانه وما فيه من صنوف النعم والرحمة ، ثم هلا تأمل الإنسان رحمة ربه في شفتيه وأذنيه ورأسه . . وكيف يدخل طعامه وشرابه من مكان واحد ، ثم يخرج كل منهما من مكان خاص به . .

من المدبِّر لكل هذا ؟

أليس المدبِّر هو الله الخالق الرازق المنعم الربُّ المدبِّر الحكيم عظيم القدرة والسلطان الذي لا شريك له في ملكه ، ولا مُعين له ، ولا زوج ولا ولد ؟

﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانَّى تُؤْفَكُونَ * كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

سبحانه وتعالى صور الإنسان فأحسن صورته ، خلقه في أحسن تقويم ، وجعل بين أعضائه من التناسق والانتظام والتعاون ما فيه عبرة لمن اعتبر ؛ فيهتف من أعماق قلبه ومن كل عقله وشعوره :

﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) .

قال قتادة : من تفكَّر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق وليئت مفاصله لعبادة الله .

دعا الله عباده إلى النظر والفكر في مبدأ خلق الإنسان ، ووسطه

وآخِرِهِ إِذْ نَفْسُ الْإِنْسَانِ وَخَلَقَهُ مِنْ أَعْظَمِ الدَّلَائِلِ عَلَى قُدْرَةِ خَالِقِهِ
وَفَاطِرِهِ وَوُجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ :

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ؟ ﴾ (١) .

أَيُمْكِنُ أَنْ يُخْلَقَ الْإِنْسَانُ وَيُوجَدَ مِنْ غَيْرِ خَالِقٍ حَيٍّ قَادِرٍ وَاحِدٍ ، أَمْ أَنَّ
الْإِنْسَانَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ نَفْسَهُ وَأَوْجَدَهَا ؟

أَيُّ لَاحِظٍ لَا هَذَا وَلَا ذَاكَ ، بَلِ اللَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَأَنْشَأَهُمْ بَعْدَ أَنْ لَمْ
يَكُونُوا شَيْئاً مَذْكُوراً .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ :

إِنْ أَقْرَبَ شَيْءٌ إِلَى الْإِنْسَانِ نَفْسُهُ ، وَفِيهِ مِنَ الْعَجَائِبِ الدَّالَّةِ عَلَى
عِظَمَةِ اللَّهِ مَا تَقْتَضِي الْأَعْمَارُ فِي الْوُقُوفِ عَلَى بَعْضِهِ ، وَالْإِنْسَانُ غَافِلٌ عَنْ
الْفِكْرِ ، مُعْرِضٌ عَنِ التَّفَكُّرِ وَالتَّأَمُّلِ ، وَلَوْ فَكَّرَ فِي نَفْسِهِ لَزَجَرَهُ مَا يَعْلَمُ
مِنْ عَجَائِبِ النَّفْسِ ، وَبِدَائِعِ صُنْعِهَا ، وَإِحْكَامِ تَرْكِيبِهَا عَنِ الْكُفْرِ
وَالْمَعْصِيَةِ :

﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ؟ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ
فَقَدَرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ .. ﴾ (٢) .

لَقَدْ كَرَّرَ اللَّهُ عَلَى أَسْمَاعِنَا وَأَفْهَامِنَا وَعُقُولِنَا لَفْظَ النُّطْفَةِ وَالْعَلَقَةِ وَالْمُضْغَةِ
وَالْتَرَابِ ، لِنَتَدَبَّرَ وَنَتَأَمَّلَ وَنَعْبِي فَيَزِدَادَ الْمُؤْمِنُ يَقِينًا وَإِيمَانًا ، وَبِرَعْوَى
الْجَاهِدِ ، وَبِرَجْعِ إِلَى عَقْلِهِ ، وَبِتَوْبِ إِلَى رَبِّهِ نَادِمًا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ
غَفْلَةٍ .

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٣) .

(٢) عبس : ١٧ — ٢٢ .

(١) الطور : ٣٥ .

(٣) الزخرف : ٨٧ .

ولنتدبر قوله تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * الَّذِي أَحْسَنُ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ * وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾ (١) .

جحد الجاحدون لقاء ربهم فلم يتدبروا في النشأة الأولى ، وخالقهم الرحيم بهم يدعوهم إلى التأمل والتدبر .

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ * أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ * نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ أَعَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

وما خلق جميع الناس وبعثهم يوم المعاد بالنسبة إلى قدرة الله إلا كنسبة خلق نفس واحدة ، الجميع حين عليه : ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (٣) ... ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٤) .

عن بسير بن جحاش أن رسول الله ﷺ بصق يوماً في كفه ، فوضع عليها إصبعه ثم قال : قال الله تعالى : « ابن آدم أنى تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى سويتك وعدلتك مشيت بين برديك وللأرض منك ويكد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت : (أتصدق) وأنى أوأن الصدقة ؟ » .

فاتقوا الله عباد الله وتوبوا إليه فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

(٢) الواقعة : ٥٧ - ٦٢ .

(٤) يس : ٨٢ .

(١) السجدة : ٦ - ١٠ .

(٣) لقمان : ٢٨ .

الخطبة الثانية :

عظة بليغة

قال ﷺ : قال الله تعالى : « يا ابن آدم قد أنعمتُ عليك
تِعَمًا عَظَمًا لَا تُحْصِي عَدَدَهَا وَلَا تُطِيقُ شُكْرَهَا ، وَإِنَّ مِمَّا أَنْعَمْتُ عَلَيْكَ :
أَنْ جَعَلْتُ لَكَ عَيْنَيْنِ تَنْظُرُ بِهِمَا ، وَجَعَلْتُ لِهَما غِطَاءً فَانْظُرْ بِعَيْنَيْكَ
إِلَى مَا أَحَلَلْتُ لَكَ ، وَإِنْ رَأَيْتَ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْكَ فَاطْبِقْ عَلَيْهِمَا غِطَاءَهُمَا ،
وَجَعَلْتُ لَكَ لِسَانًا ، وَجَعَلْتُ لَهُ غَلَاظًا فَانْطِقْ بِمَا أَمَرْتُكَ وَأَحَلَلْتُ لَكَ ،
فَإِنْ عَرَّضَ لَكَ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْكَ فَأَغْلِقْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَجَعَلْتُ لَكَ
فَرْجًا وَجَعَلْتُ لَكَ سِتْرًا ، فَأَصِيبْ بِفَرْجِكَ مَا أَحَلَلْتُ لَكَ فَإِنْ عَرَّضَ
لَكَ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْكَ فَأَخْرِجْ عَلَيْكَ سِتْرَكَ .

يا ابن آدم إنك لا تحمِلُ سُخْطِي وَلَا تُطِيقُ انْتِقَامِي .

لا يعلم الغيب إلا الله

أما بعد :

فقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) .

عباد الله :

نزلت الآية الكريمة في الحارث بن عمر بن حارثة أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، أخبرني عن الساعة ، متى قيامها ؟ وإني قد ألقيتُ حَبَاتِي فِي الْأَرْضِ ، وقد أَبْطَأْتُ عَنَا السَّمَاءُ فَمَتَى تُمَطَّرُ ؟ وأخبرني عن امرأتِي فقد أَشْتَمَلْتُ مَا فِي بَطْنِهَا أَذْكَرُ أَمْ أُنْثَى ؟ وإني علمتُ ما عَمَلْتُ أَسْ فَمَاذَا أَعْمَلُ غَدًا ؟ وهذا مولدى قد عرفته فَأَيْنَ أَمُوتُ ؟

وعن ابن عباس رضى الله عنه : « مَنْ ادَّعَى عِلْمَ هَذِهِ الْخَمْسَةِ فَقَدْ كَذَبَ ، إِيَّاكُمْ وَالْكَهَانَةَ فَإِنَّ الْكَهَانَةَ تَدْعُو إِلَى الشُّرْكِ ، وَالشُّرْكَ وَأَهْلُهُ فِي النَّارِ » .

أيها المؤمنون :

إن مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله ، ومن ادعى علم شيء منها فهو كاذب أثيم مغضوب عليه .

إن الله عنده علم الساعة : ﴿ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ فالله عز وجل وحده يعلم متى تقوم الساعة ولم يؤت علم ذلك أحداً من خلقه ، إذ لا فائدة للعباد في معرفة وقتها ، وإنما عليهم أن يستعدوا لها بالخوف من الله وخشيته

وبالعمل الصالح ومداومة الطاعة . قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا * إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا * إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ يَخْشَاهَا ﴾ (١) . أى أنت يا محمد لم تُبْعَثْ لتعلمهم بوقت الساعة الذى لا فائدة لهم فى علمه ، وإنما بُعِثْتَ لتنذر من أهوالها من يكون إنذارك لطفاً له فى الخشية منها .

وقال الحق تبارك وتعالى : ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَخِيلُ مِنْ أَنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾ (٢) ويقول سبحانه : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُخْشَرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٣) .

فمتى تقوم الساعة ؟ ومتى ينتهى العالم ؟ عِلْمُ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ وحده لا يعلمه نبيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُّقَرَّبٌ . والله يقول لنبيه : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ * يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ * أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ (٤) .

والله عز وجل هو الذى ينزل الغيث فى إبانة ووقته من غير تقديم ولا تأخير وفى بلد لا يتجاوزه به ، وهذا من الغيب الذى لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَنْزِلُ الْغَيْثُ ﴾ .

وهو عز وجل يعلم ما فى الأرحام . . أذكر أم أنثى ؟ أنثى أم ناقص ؟ أبيض أم أحمر ؟ . وكذلك ما سوى ذلك من الأحوال : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ

(٢) فصلت : ٤٧ .

(٤) الشورى : ١٧ ، ١٨ .

(١) النازعات : ٤٢ - ٤٥ .

(٣) الملك : ٢٤ - ٢٦ .

مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ ، وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ * عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿١﴾ .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) .

ثم إن المستقبل بيد الخالق العليم الخبير وحده ، وعلى العبد أن يأخذ بالأسباب مع التوكل على الله وحده ، أما ماذا يحدث غدا فهذا غيب لا يعلمه إلا القادر الحكيم الذي يقول للشيء كن فيكون ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِرَّةٍ أَوْ فَاجِرَةٍ ، مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا ، وعازمة على شر فعملت خيرا ..
وقديماً قال الشاعر الحكيم :

وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدٍ عَمِي
أجل إن الغد غيب ، والغيب مفاتيحه بيد علام الغيوب سبحانه وتعالى جل شأنه : ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ، وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّا تَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ، أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣) .

ويقول سبحانه : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٤) .

ويقول عز وجل : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ

(٢) آل عمران : ٥ ، ٦ .

(١) الرعد : ٨ ، ٩ .

(٤) الأنعام : ٥٩ .

(٣) الأنعام : ٥٠ .

وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مُعِينٍ ﴿١﴾ .

لهذا فقد اشتد غضبُ الله على السحرة والكهان والعرافين وغيرهم من لدجالين الذين يؤهّمون الناس أنهم يعرفون الغيبَ ويشاركونَ علّامَ الغيوبِ في معرفة المستقبل ألا ساء ما يدعون .

وقد تبرأَ النبي ﷺ من كلِّ من يتعلّقُ بغير الله ويَجْرى وراءَ الوهم والباطل ، فعن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطْيَرُ أَوْ تُطْيِرُ لَهُ أَوْ تَكْهَنُ أَوْ تُكْهَنُ لَهُ أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ » .

فَلْيَحْذَرِ الْمُؤْمِنُ الْجَرَى وَرَاءَ الْأَوْهَامِ ، وَلْيَحْذَرِ الدَّجَالِينَ وَالْعَرَّافِينَ لِأَنَّهُمْ كَذَّابُونَ أَفَّاَقُونَ وَلِيَعْتَصِمَ الْمُؤْمِنُ بِإِيمَانِهِ بِرَبِّهِ وَحُسْنِ تَوَكُّلِهِ عَلَيْهِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ، مع الأخذ بالأسبابِ التي أمر الله بها .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ بَرِيَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَمَنْ أَتَاهُ غَيْرَ مُصَدِّقٍ لَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً » .
ومن سأل كاهِنًا طُرِدَ من رحمة الله ولا يُقبلُ له عمل .

فعن وائلة بن الأسقع رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ حُجِبَتْ عَنْهُ التَّوْبَةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَإِنْ صَدَّقَهُ بِمَا قَالَ كَفَرَ » .

وأمر الإسلامُ بالأخذِ بالأسبابِ مع حسن التوكلِ على الله وحده وبالإيمانِ بأنّه لا نافع ولا ضار إلا هو ، وأن الأمر بيده وحده سبحانه .

وتعالى . فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
 « ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً... » ومن حديث آخر : « تَدَاوَوْا يَا عِبَادَ
 اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً إِلَّا السَّامَ » [أى الموت] .
 وهكذا يحثنا ديننا الحنيف على الأخذ بالأسباب ، وينهانا عن
 الجرى وراء الأوهام والخرافات ، ويحذرننا من الدجالين والسحرة والكهّان
 وغيرهم من غضب الله عليهم .

والموت حق وعلى المؤمن أن يضع أمام عينيه الموت ، لا يغفل عن
 تذكره ليستعد دائماً للقاء ربه ولكن ﴿ وما تدرى نفس بأى أرض
 تموت ﴾ . فربما أقام المرء بأرض وضرب أوتادها بها ، وقال لا أبرحها
 حتى أقبر فيها فترمى به مرأى الأقدار حتى يموت فى مكان لم يخطر بباله
 ولا حدثته به نفسه ، ذلك لأن هذا غيب علمه بيد صاحب الأمر ،
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ . وفى الحديث : « إذا أراد الله قبض عبد
 بأرض جعل له إليها حاجة » .

فسبحان الواحد الأحد ، سبحان علام الغيوب ، القائم على كل
 نفس بما كسبت لا يغرب عن علمه شئ فى الأرض ولا فى السماء .

وطوبى للعبد المؤمن الصالح المتوكل على ربه . . . طوبى للعبد المؤمن
 المقر بعجز نفسه أمام كمال القدرة الإلهية ، وكمال العلم الإلهي ، طوبى
 لمن يستعد للقاء العزيز الجبار بالعمل الصالح واليقين الصادق .

قال رسول الله ﷺ : « مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمهم إلا الله
 تعالى : لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله ، ولا يعلم ما تغيض به الأرحام
 إلا الله ، ولا يعلم ما فى غد إلا الله ، ولا يعلم بأى أرض تموت إلا الله ،
 ولا يعلم متى ينزل الغيث إلا الله » .

فاتقوا الله فى دينكم ، صونوه عن شوائب الشرك ، وأخلصوا التوحيد
 لله ، وتوبوا إليه لعله يرحمكم .

الإسلام هو صراط الله المستقيم

الحمد لله ، إذا أراد بأمة خيراً وفقها للتمسك بدينها ، والمحافظة على كيانها . . . والصلاة والسلام على نبينا وهادينا محمد جاء بعقيدة التوحيد والتنزيه ، وأمر بالطاعة وحث على التحلي بأخلاق الإسلام العلية .
أحمد الله وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، خلق الأمم مختلفة ، ولو شاء لجعلهم أمة واحدة ، وأشهد أن الهادي الحبيب محمد بن عبد الله هو رسول رب العالمين إلى الناس كافة ، وهو الإمام والقدوة . . اللهم صل على هادينا محمد وعلى آله وأصحابه الذين اقتدوا به ، فأحيوا دينه ، ونشروا شريعته الغراء .

أما بعد فيا أيها المسلمون :

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ، وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ، وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (١)
وقال عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢) .

أيها المسلمون :

قبل أن تُشرق على الدنيا أنوار الدعوة المحمدية ، كان البشر يعيشون في حيرة وعمى . . . كانت العقائد زائغة باطلة ، والأخلاق كانت فاسدة . . . وأفكار البشر متضاربة متخالفة . . . فتنافرت القبائل . . .

(١) النساء : ١٢٥ .

(٢) آل عمران : ٨٥ .

وتناوبت الأمم . . يأكلُ قويُّها ضعيفُها . . وفشا الإثم والعُدوان ، واضطربَ جبلُ الأمنِ ، وحُرمَ الناسُ من نعمةِ الاستقرار والطمأنينة . . وضلَّ سعيُّهم في الحياة الدنيا .

وأراد الله عز وجل أن يهدي عباده إلى صراطه المستقيم ، وأن يُنقِذَهم من الكفر والضلال والعمى والجهل .

أراد الله عز وجل للناس أن يعيشوا في محبة ، وكرامة ، فأرسلَ نبيَّه محمداً ﷺ برسالة الإسلام بعث الله عز وجل نبيَّه محمداً عليه السلام داعياً إلى دين الفطرة . . وهادياً إلى الحق ، ومرشداً إلى كل خير . . فنادى محمد ﷺ في الناس قائلاً عن ربه عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١) .

نادى محمد عليه السلام في الناس داعياً إلى الحق والخير والهدى . . والناس في لهفٍ شديد ، إلى نورٍ جديد . . يُبَدِّدُ ظِلْمَاتِ المعتقداتِ الباطلة ، والأفكارِ البشريةِ المُضِلَّةِ ، فأقبلَ الناسُ على صوت الحق ، يدخلون في دين الله أفواجا .

أقبلَ الناس على دين الإسلام ، لأنه الدينُ الذي يحقق لهم الخير في الدنيا . . والفوز في الآخرة .

فتعاليمُ الإسلام ونظمه هي صراط الله المستقيم الذي لا عِوَجَ فيه ، ولا انحراف .

الإسلام صراط مستقيم في العقيدة إذ دعا إلى التوحيد الخالص . .
دعا إلى الإيمان بأن الله واحد ، ولا معبود بحق سواه

﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) .

والإسلام صراط مستقيم في الأخلاق حث على التحلى بالفضائل
بلا إفراط ولا تفريط .. فلا جبن ، ولا تهور ، ولا استكبار ولا استخذاء :
﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ
مَلُومًا مَّخْسُورًا ﴾ (٢) .

والإسلام صراط مستقيم في صلة الإنسان بالحياة ونيوحيها ﴿ وَابْتَغِ
فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ (٣) .

والإسلام صراط مستقيم في طريقة التشريع ، ووضع القوانين التي
تهدف إلى خير الفرد والجماعة .. فالقرآن الكريم . . كتاب الله عز
وجل ، دستور خالد ، ومبادئه صالحة لكل زمان ولكل مكان . . وقد
أمرنا الله عز وجل وهو خالق البشر ، والعليم بما تصلح به حياتهم ،
وتستقيم عليه أمورهم ، أمرنا سبحانه باتباع كتابه والعمل بسنة نبيه
ﷺ والامتثال لما جاء به الوحي واتخاذ «سبيل الحياة ودستورها :
﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ (٤) .

ويقول عز وجل : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (٥) .

(١) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٢) الإسراء : ٢٩ .

(٣) القصص : ٧٧ .

(٤) الأنعام : ١٥٣ .

(٥) الأعراف : ٣ .

أما المسلمون :

الإسلام - يا عباد الله - هو دين الله الذى رضىه لعباده ، وتعاليم القرآن ، ومبادئه هى صراط الله المستقيم الذى لا يضل سالكه ، ولا يهتدى تاركة . . ورسول الإسلام محمد بن عبد الله ﷺ هو رسول رب العالمين إلى الناس كافة . . أنقذ البشر برسالة الإسلام من الضلال .. ودعاهم إلى ما يحقق لهم السعادة الكاملة فى كل جوانب حياتهم . والمسلمون - يا عباد الله - بخير ما استمسكوا بكتاب ربهم وسنة نبيهم ، ورجعوا إليها فى كل أمورهم ، وجعلوا مبادئ الإسلام أساس حياتهم .

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا * وَإِذْآ لَاتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ (١) .

وقال الهادي الحبيب ﷺ : « لقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك » .

اللهم اهدنا صراطك المستقيم ، واتقوا الله ، وتوبوا إليه ، وسلوا الله العافية والمعافاة ، واطلبوا منه المغفرة يغفر لكم .
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

للخطبة الثانية :

قال عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول
 « أَمَّا إِنهَا سَتَكُونُ فِتْنَةً . قلتُ : فما المُخْرَجُ منها يا رسولَ الله ؟ قال :
 كتابُ الله تعالى ، فيه نبأُ ما قبلكُم وخبرُ ما بعدكم ، وحُكْمُ ما بينكم ،
 هو الفضلُ ليس بالهزل ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ تعالى ، ومن
 ابتغى الهدى في غيره أضلَّهُ اللهُ تعالى ، وهو حَبْلُ اللهِ المتينُ ، وهو
 الذِّكْرُ الحكيمُ ، وهو الصراطُ المستقيمُ ، وهو الذي لا تَزِيغُ به الأهواءُ ،
 ولا تَلْتَبِيسُ به الألسنةُ ، ولا تَشْبَعُ منه العلماءُ ، ولا يَخْلُقُ على كثرةِ
 الردِّ ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم تنتهِ الجنُ إذ سمِعتهُ حتى قالوا :
 ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾ (١) . مَنْ قَالَ بِهِ
 صَدَقَ ، وَمَنْ عَمَلَ بِهِ أُجِرَ ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ ، وَمَنْ دُعِيَ إِلَيْهِ
 هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢) .

آية الكرسي تضمنت التوحيد النقي الخالص

الحمد لله ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا . مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَنَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ بَشِيرًا
وَنَذِيرًا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ . مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ ، وَمَنْ
يَعْصِيهِمَا فَقَدْ غَوَى . نَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّنَا أَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ يُطِيعُهُ وَيُطِيعِ
رَسُولَهُ ، وَيَتَّبِعْ رِضْوَانَهُ وَيَجْتَنِبْ سَخَطَهُ ، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِهِ وَاهٍ .

نحمده سبحانه أن هدانا للإسلام، وجعلنا من أهل التوحيد الخالص
ومن أتباع نبيه الهادي محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن
اقتدى به ، وعمل بسنته وسلم تسليمًا كثيرًا .

يا عباد الله :

« كُلُّ مَا دُبَّ آتٍ قَرِيبٌ ، وَلَا بُعْدَ لِمَا هُوَ آتٍ . لَا يُعَجِّلُ اللَّهُ لِعَجَلَةٍ
أَحَدٌ ، وَلَا يَخْفُفُ لِأَمْرِ النَّاسِ ، مَا شَاءَ اللَّهُ لَا مَا شَاءَ النَّاسُ ، يُرِيدُ اللَّهُ
أَمْرًا وَيُرِيدُ النَّاسُ أَمْرًا ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَلَوْ كَرِهَ النَّاسُ ، وَلَا مُبْعَدَ
لِمَا قَرَّبَ اللَّهُ وَلَا مُقَرَّبَ لِمَا بَعَدَ اللَّهُ ، لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ . »

أما بعد : ... فيا أيها الموحدون .

قال الله تعالى :

« اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا
بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ

كُرْسِيهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿١﴾
أفضل آية :

هذه آية الكرسي ، وهى ذات شأن عظيم ، إذ تَصَمَّنَت التوحيد ،
وَنَفَتْ عن الذات العلية ما لا يليق بها ، وأثبتت لها صفات الكمال
ونعوت الجلال ، وبَيَّنَت عظمة المُلْك ، ودَلَّائِل القدرة ، وبراهين
الوَحْدَانِيَّة .

وعن أبى بن كعب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
« يا أبا المنذر ، أتدرى أى آية من كتاب الله أعظم ؟ قلت :
﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم ﴾ فضرب فى صدرى وقال : لِيَهْنِكَ
العلم أبا المنذر » وقال : « والذى نفسى بيده إن لها لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ
تُقَدِّسُ الْمَلَكُ عند سَاقِ الْعَرْشِ » .

وكان عبد الرحمن بن عوف إذا دخل بيته قرأ آية الكرسي فى
زوايا بيته الأربع ، كأنه يَلْتَمِسُ بذلك أن تكون له حارساً ، من
جوانبه الأربعة ، وأن تَنْفِي عنه الشيطان من زوايا بيته .

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه صارع جَنِيًّا ، فصرعه
عمر ، فقال له الجنى : خل غنى ، حتى أُعَلِّمَكَ ما تَمْتَنِعُونَ به منا .
فخلى عنه ، وسأله ، فقال : إنكم تَمْتَنِعُونَ منا بآية الكرسي .

واشتملت آية الكرسي على اسم « الله » والله اسم مختص بالمعبود
بالحق ، لم يُطلق على غيره سبحانه وتعالى ، وهو علم على الذات
الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد ، وهو أعظم أسمائه تعالى

لدلالته على الذاتِ العليةِ الجامعةِ لكلِ صفاتِ الألوهيةِ ، المنعوتةِ بنعوتِ الربوبيةِ ، المنفردةِ بالوحدةِ في الذاتِ والصفاتِ والأفعالِ .

﴿ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾

إنها كلمةُ الإخلاصِ تدلُّ على نَفْيِ الإلهيةِ عن كلِّ ما سِوَى اللهِ تعالى كائنًا مَنْ كان وإثباتِ الإلهيةِ لله وحده دون ما سِواه ، فهو سبحانه المنفرد بالإلهيةِ لجميعِ الخلائقِ ، وهذا هو التوحيدُ الذي دَعَتِ إليه رسلُ اللهِ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهم أجمعين ، ودلَّ عليه القرآنُ الكريمُ .
و « لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ » أَصْدَقُ الكلامِ ، وأهلُها العالمون بها ، العاملون بمقتضاها هم أهلُ اللهِ وحِزْبُهُ ، والمنكرون لها هم أعداءُ اللهِ ، وأهلُ لغضبه ونقمتهِ لأنهم شِراؤُ الناسِ .

﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ : ﴿ الْحَيُّ ﴾ : أى المتصفُ بالحياةِ الأبديةِ التي لا بدايةَ لها ولا نهايةَ ، فهو سبحانه الباقي الذى لا سبيلَ عليه للفناء ، قال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ ، و ﴿ الْقَيُّومُ ﴾ : الدائمُ القيام بتدبير الخلق وحفظه ، فهو سبحانه القائم على كلِّ نفسٍ بما كسبتُ حتى يجازيها بعملها من حيثُ هو عالمٌ بها لا يخفى عليه شَيْءٌ من أمورِها ، وهو سبحانه القائم الحفيظُ لكلِّ شَيْءٍ ، والمعطى له ما به قوامه ، كما قال تعالى : ﴿ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ .
ومن تمامِ القيوميةِ أَنَّهُ سبحانه ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ والسَّنةُ ما يَتَقَدَّمُ النَّعَاسُ فإذا صار فى القلبِ سُمَّى نوما ، فهو سبحانه له الكمال المطلقُ لا يعتريه نقصٌ ولا غفلةٌ ولا دُھولٌ عن خلقه ، وهو تأكيدٌ للقيومِ القائم على كلِّ نفسٍ بما كسبت ، الحفيظُ لكلِّ شَيْءٍ لا يغيب عنه سبحانه شَيْءٌ ، ولا تخفى عليه خافيةٌ .

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾

وكلُّ ما في السموات والأرض خاضعٌ لحكمه ، واقعٌ تحت سلطانه وقهره ، لا يشاركه أحدٌ في هذا الملك ، وليس لأحدٍ معه أمرٌ ولا نهى ، ولنتدبر قوله تعالى :

﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ .

ولتأكيد بيان هذا الملكوت العظيم تُقرر الآية أن أحدًا لا يملك أن يشفع لأحد يوم القيامة إلا إذا أذن له الرحمن ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ .

كما قال تعالى : ﴿ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ﴾ ثم إنهم - أيضًا - لا يشفعون إلا لمن ارتضى ، وهذا دليل عظمته سبحانه وجلاله وكبريائه ، ومن حديث الشفاعة يقول الهادي الحبيب عليه السلام : « . . . أتى تحت العرش فأخبر ساجدا ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال : ارفع رأسك واشفع تُشفع ، - قال - فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة » .

وهو سبحانه ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ :

وَعَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَحِيطٌ بِجَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ ماضيا ، وحاضرا ، ومستقبلا ، يعلم ما كان منهم وما سيكون ، ويعلم دنياهم وأخراهم .

أما علم البشر فقاصرٌ مهما ارتقت علومهم ومعارفهم ، فهم لا يعلمون إلا ما شاء الله أن يعلمهم ، وما علمه لعباده أشبه بما يأخذ منقارُ العصفور من ماء البحر إذا قيس بعلم الله تعالى ، وما أراد الله أن يُمدَّ به عباده من المعلومات علمهم إياه ، ويسر لهم سبل التحصيل ، فالأمر بيده وحده ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا نَاءَ ﴾ ولذا أدر

الله نبيه بقوله : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١).

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾ :

وتلك آية من آياته الدالة على عظيم قدرته عز وجل ، ومما يجب علينا أن نؤمن به من عالم الغيب الذي أخبر الله به في كتابه وعلى ألسنة رُسُلِهِ وفي الكرسي يقول الرسول الحبيب ﷺ : « يا أبا ذر ، ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقمة مُلقاة في أرض فلاة - صحراء - وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة » .

وهذا يُنبئ عن عظم مخلوقات الله عز وجل ، فكيف يُعجزه حفظ السموات والأرض ومن فيهما ، وما فيهما ، وما بينهما ، بل حفظهما سهل يسير لديه سبحانه وتعالى ، لا يثوده ذلك ، ولا يشق عليه ، ولا يثقله .

والكون البديع الجميل المحيط بنا بما فيه من تناسق ونظام ، وما تنافر فيه من كواكب ونجوم ، وما جرى على يابسته من بحار وأنهار كل هذا وغيره مضت عليه ألوف السنين وهو مُسَخَّر لما خُلِقَ له ، لم يختل نظامه ، ولا تصادمت أجرامه . . ألا يدل ذلك كله على وجود الخالق المدبر الحكيم القادر العالم ﴿ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ (٢) .

﴿ وهو العليُّ العظيم ﴾

حقاً . . . إنه العليُّ الشأن الذي علا بذاته وبصفاته عن مدارك الخلق بالكُنْه والحقيقة ، وتاهت الأبواب في جلاله ، فهو عز وجل

الأعلى من كل شيء ولذا أمرنا بقوله : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ (١). وهو سبحانه « العظيم » القدرة الذى لا تصل العقول إلى كُنْهِ ذاته ، ولا تُدركه الأبصار ، فهو سبحانه أعظم من كل عظيم فى ذاته ، ووجوده وعِلْمه ، وقدرته ، وسلطانه ، وحِكْمته ، ونفاذِ حكمه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (٢) فسبحان ربِّ العظيم الأمر بقوله : ﴿ فسبِّحْ باسمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ (٣) .

فاتقوا الله - عباد الله - وأخلصوا التوحيد ، واجعلوا عبادتكم خالصة لله وتوبوا إليه يتب عليكم ، واستغفروه يغفر لكم .

عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : يقول الله عز وجل فى الحديث القدسى : « إِنِّى أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، مَنْ أقرَّ لى بالتوحيد دَخَلَ حِصْنِى ، وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِى آمِنَ عَذْبِى » .

وعن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : يقولُ ربُّ العزة فى الحديث القدسى :

« مَنْ عَلِمَ أَنِّى ذُو قُدْرَةٍ عَلَى مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ ، غَفَرْتُ لَهُ وَلَا أُبَالِى مَا لَمْ يُشْرِكْ بى شَيْئًا » .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

احفظوا أيمانكم ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون

قال الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (١) .

شُرعت اليمين في الشريعة المطهرة صيانةً للحقوق من الضياع عند عدم القدرة على إقامة البينات ، وعند إنكار الخصم على ذى الحق حقه ، ذلك أن الذى عليه الحق ولا بينة عليه إذا طُلب باليمين ليكف يد خصمه ربما أدركته الخشية من الله فيتصور عظمة شأن الله القاهر فوق عباده ، فتحصل عنده الإنابة وترده إلى الحق الرهبة من عقابه البارى عزت قدرته فيعطى الحق لمستحقه وتنحسر المنازعات .

هذه هي الحكمة التي لأجلها شرعت الأيمان ، ولكن كثيراً من الناس ذهبوا بها في غير مذهبها ، وتعجاوزوا الحدَّ بها في موضعها وفي غير موضعها ، وجرت الأيمان على ألسنتهم عن قصد وعن غير قصد ، وبمناسبة وفي غير مناسبة مع أن المؤمن مأمور أن يحفظ أيمانه ، وبأن يصون اسم الله عن كثرة الترداد ، وبأن يجعله مضغة في فمه .

ونحن حين نتدبر قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾ نجد الآية الكريمة ترشدنا إلى ترك الحلف بالله تعالى إلا عند الحاجة إلى ذلك إذ معنى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾ أى لا تكثروا الحلف باسمه تعالى ، ولهذا أمر الله المؤمنين بحفظ أيمانهم فقال

﴿واخْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ (١) وذمَّ سبحانه الشخص كثير الحلف فقال :
﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَالِفٍ مَّهِينٍ﴾ (٢) .

والإنسان إذا أكثر الحلف قلَّت مهابته وكثُر حِنثُهُ واتَّهم بالكذب وانعدمت ثقة الناس به ، وفاته ما يريد من قبول قوله وتصديقه ، قال بعضُ المفسرين : من مذامُّ كثرة الحلف أنه يقلل ثقة الإنسان بنفسه وثقة الناس به ، فهو يشعر بأنه لا يصدق فيحلف ، ولهذا وصفه الله تعالى بالمهين ، وكثيراً ما يُعرض الحلاف نفسه للخطأ إذا حلف على المستقبل ، ثم إنه لا يكون إلا قليل الخشية والتعظيم لله تعالى ، لا يُهمُّه إلا أن يُرضى الناس ويكون موثقاً به عندهم ، فتعريض اسم الله تعالى للحلف بدون سبب قوى ولا حاجة داعية إليه ، ينشأ عنه فقد هيبة الله وإجلاله في نفس الحلاف ، وعلى هذا فيكون قوله تعالى : ﴿أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ علةً للنهي ، أي لا تجعلوا الله معرضاً لأيمانكم إرادة أن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا لَأَنْ مِنْ يُكْثِرُ الحلف بالله يجترئ على الحنث إذ قد يعجز عن الوفاء بيمينه .

﴿والله سميعٌ﴾ أي لأقوال العباد ولما يلفظون به من الحلف وغيره .
﴿عليمٌ﴾ بنياتهم وبما يصدر عنهم فعلى العبد أن يراقب ربه ، وأن يحاسب نفسه عند كل قول أو عمل ليكون من المفلحين .

إذا كان الله عز وجل قد نهانا عن أن نجعل اسمه الكريم عرضة لأيماننا ولو حقاً فكيف يستبيح إنسان الحلف بالله كذباً ، لقد عظم الله سبحانه وتعالى جزاء الذين يشترون بأيمانهم ثمناً قليلاً ، وأوعدهم بحلول نعمته عليهم جزاء اجترأهم على الإقدام على الأيمان مع الإصرار

على الكذب فقال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١) .

إن الكذب في نفسه جريمة ، لأنه قلبٌ للحائق ، وتعميةٌ على الناس وفيه ضلالٌ وإضلالٌ كما أن الكذب داعية إلى فقدِ الثقة في المعاملة وفي المحادثة فإن انضمَّ إليه تأكيدُهُ بالآيمانِ الكاذبةِ كانت الجريمةُ أكبر ، ولنتدبر - أيها المؤمنون - الوعيدَ الذي جاء في الحديث الشريف .

يقول الصادقُ الأمينُ عليه السلام : « من حلف على يمينٍ صبر (٢) وفي رواية : يمينٍ كاذبةٍ ليفتطعَ بها مالَ امرئٍ مسلمٍ لقيَ اللهَ وهو عليه غضبان . وفي رواية فليتبوأ مقعده من النار » .

فالحبيبُ الهادي عليه السلام يُبينُ لنا أنَّ من أقدمَ على حلفِ اليمينِ الكاذبةِ ليهتضمَ بها حقوقَ الناس ، غضبَ اللهُ عليه يومَ لقائه ، ومن يخلِّلُ عليه غضبُ الله عز وجل فقد خسر الدنيا والآخرة .

والذي يحلفُ بالله كذباً متعمداً سميت يمينُهُ غموساً ، لأنها تغمِسُ صاحبها في الإثم الذي يستحق به النار ، واليمينُ الغموسُ من الكبائر ولا يكفرُها عتقٌ ولا صدقةٌ ولا صيامٌ ، بل لابد من التوبة الصادقة وأداء الحقوق والاستقامة ، وقد جاء في الحديث الذي رواه عبدُ الله ابنُ عمر رضي الله عنهما أن رسولَ الله عليه السلام قال : « الكبائرُ الإشرارُ بالله ، وعقوقُ الوالدين ، وقتلُ النفس ، واليمينُ الغموس » .

فليحذر المؤمنُ من غضبِ ربِّه ، وليحفظُ لسانه عن الحليف ،

(١) آل عمران : ٧٧ .

(٢) يمين صبر ، وفي رواية « يمين مصبورة » وهي اللازمة لصاحبها من جهة الحكم ، فإذا كذب الحالف اشتد إثمهُ .

وليحذر الكذب فيه وبخاصة إذا كان القصد من الحلف أكل حقوق الناس بالباطل ، أو الخيانة والغش .

لقد كان من فضل الله علينا ورحمته بنا أن رفع عنا سبحانه وتعالى إثم الأيمان التي تجرى على اللسان من غير قصد لليمين ، ولا لإرادة للحلف ، يقول سبحانه وتعالى :

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (١) .

واللغو هو الساقط الذي لا يُعتدُّ به من كلامٍ وغيره ، واللغو من اليمين هو الساقط الذي لا يُعتدُّ به في الأيمان وهو الذي لا عقْدَ معه .

وفي اليمين التي هي لغو يقول ابن عباس رضي الله عنهما : هو قول الرجل في درَج كلامه واستعماله في المحاورة « لا والله وبلى والله » دون قصد لليمين . وقال المروزي : لغو اليمين التي اتفق العلماء على أنها لغو هو قول الرجل : « لا والله وبلى والله » في كلامه وحياته غير معتقد لليمين ولا مريد لها .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه إذا حلف الرجل على الشيء يظنه على ما حلف عليه ثم يَظْهَرُ خلافه ، أى فإذا ليس هو فهو اللغو ، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه ، وقال به مالك ، ومثاله كما إذا حلف شخص بالله أنه لا نقودَ معه الآن ظاناً أنها ليست معه ، وهي معه ، أو حلف أنه ما ذهب إلى السوق أمس معتقداً صدقَ نفسه مع أنه ذهب إليها .

قال مالك : أحسن ما سمعتُ في هذا أن اللغو حلف الإنسان على الشيء يستيقن أنه كذلك ثم يوجد الأمر بخلافه فلا كفارة فيه ،

والذى يحلفُ على الشئ وهو يعلمُ أنه فيه آثمٌ كاذبٌ ليرضى به أحداً ، أو يعتذرَ لمخلوق ، أو يقتطعَ به مالا فهذا أعظمُ من أن يكونَ فيه كفارةٌ ، وإنما الكفارة على مَنْ حلفَ ألا يفعلَ الشئ المباحَ له فعله ثم بفعله ، أو حلفَ أن يفعله ثم لا يفعله مثل أن يحلفَ ألا يبيعَ ثوبه عشرة دراهمَ ثم يبيعه بمثل ذلك ، أو حلفَ ليسافرَ غداً ثم لا يسافر .

والمعنى لا يؤاخذكم الله أى لا يعاقبكم بلغو اليمين الذى يحلف أحذكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم أى اقترفته من إثم . القصدي إلى الكذب فى اليمين وهو أن يحلفَ على ما يعلمُ أنه خلافُ ما يقوله ، وهى اليمينُ الغموس . . . والمعنى لا يؤاخذكم أى لا يُلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذى لا قصدَ معه ، ولكن يُلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم ، أى بما نوت قلوبكم وقصدت من الأيمان ، ولم يكن كسب اللسان وحده ، وتلك هى اليمينُ المنعقدة «(والله غفورٌ حلِيمٌ)» حيث لم يؤاخذكم باللغو فى أيمانكم فضلا منه سبحانه وإحسانا ورحمة بعباده .

أيها المؤمنون :

إن المسلم إذا حلفَ فلا يحلفُ إلا باسمِ من أسماءِ الله تعالى أو بصفةٍ من صفاته ، ولا يحلفُ إلا وهو صادقٌ ، ولا يحلفُ إلا عند الحاجةِ الملجئةِ للحلفِ لإظهار حقٍّ ، أو دفعِ تهمةٍ وظلمٍ وإبطال باطلٍ ، وليحذرَ التاجرُ المسلمُ الحلفَ فى البيعِ والشراءِ لأن كثرةَ الحلفِ تفقدُ الثقةَ ، واللهُ أمرنا بأن نحفظَ أيماننا .

إن الحلفَ تعظيمٌ وتقديسٌ ، والتعظيمُ والتقديسُ لله وحده ، وإن الحلفَ مع تعمُدِ الحالفِ الكذبَ إثمُهُ عظيمٌ ، وعلى صاحبه أن يتوبَ إلى الله توبةً نصوحاً نادماً على ما كان منه وهذه هى اليمينُ الغموس ، أما إذا حلفَ المسلمُ على أمرٍ مباحٍ يريدُ عمله فى المستقبلِ العاجلِ أو الآجلِ

ثم لم يعمله أو على شيء أنه لا يفعله ، ثم فعله فهذه هي اليمين المنعقدة وفيها الكفارة عند عدم الوفاء بما حلف عليه بإطعام عشرة مساكين أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد صام ثلاثة أيام . قال الله تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١).

ومن فضل الله علينا أن تجاوز لنا عن الأيمان التي تجرى على اللسان بدون قصد ، ولا نية ، ولا يراد منها عزم الشخص على فعل شيء أو تركه ، كما رحمنا بعدم المؤاخذه على اليمين يحلفها المسلم معتقداً صادق نفسه ثم يتبين له أنه كان ناسياً وهذه هي اليمين اللغو . عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمع رسول الله ﷺ عُمَرَ رضي الله عنه يحلف بأبيه ، فقال : « إِنْ اللَّهُ يَنْهَاكُمُ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، فَمَنْ كَانَ حَالِفاً فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيُصِمْتْ » . وأمر رسول الله ﷺ المسلمين أَنْ يَقُولُوا : « رَبُّ الْكَعْبَةِ » إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا وَلَا يَقُولُوا « وَالْكَعْبَةِ » .

وعن إياس بن ثعلبة الحارثي رضي الله عنه : قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بيمينه فَقَدْ أَوجِبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ » قالوا ولو شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟ قال : « وَلَوْ كَانَ قُضِيْبًا مِنْ أَرَاكَ » .

فاتقوا الله في الأيمان ، وراقبوه في أقوالكم واخشوه في كل شؤونكم وتوبوا إليه لعله يرحمكم .

مَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ؟

أما بعد : فقد قال الله تعالى :

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (١) .
أيها المؤمنون :

يُخْبِرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ أَوْلِيَاءَهُ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، فكل من كان تقياً كان لله ولياً .

كلُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَأَطَاعَهُ وَوَالَاهُ فَأَحَبَّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ ، وَأَبْغَضَ مَا يُبْغِضُهُ اللَّهُ ، وَاتَّعَمَرَ لِمَا أَمَرَ بِهِ ، وَانْتَهَى عَمَّا نَهَى عَنْهُ ، وَرَضِيَ بِمَا يَرْضَى ، وَأَعْطَى مَنْ يُحِبُّ أَنْ يُعْطَى ، وَمَنْعَ مَنْ يَحِبُّ أَنْ يُمْنَعَ ، فَهُوَ وَلِيُّ اللَّهِ ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتَوَلَّى حَفْظَهُ وَرِعَايَتَهُ وَيُؤَالِيهِ بِإِحْسَانِهِ فَهُوَ سَبْحَانَهُ : ﴿ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ .

والله عز وجل يقول : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢) .

فالناس إما أَوْلِيَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُوَالِيهِمْ بِإِحْسَانِهِ وَيُنِيرُ بِصَانِهِمُ بِالْحَقِّ ، وإما أَوْلِيَاءُ لِلطَّاغُوتِ [الشيطان] يَصُدُّهُمْ عَنِ الْهُدَى ، وَيُورِدُهُمْ مَّوَارِدَ الرَّذَى ، وإذا كان أَوْلِيَاءُ اللَّهِ هُمُ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ الْآتِقِيَاءَ فَإِنَّهُ تَبَعًا لِذَلِكَ تَتَفَاوَتُ دَرَجَاتُهُمْ ، فَمَنْ كَانَ أَكْمَلَ إِيمَانًا وَأَشَدَّ تَقْوًى كَانَ أَكْمَلَ

وَلَايَةِ وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ يَتَفَاضِلُونَ فِي وَلَايَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِحَسَبِ تَفَاضُلِهِمْ فِي التَّقْوَى وَالْإِيمَانِ ، وَلِذَا فَإِنَّ أَفْضَلَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ هُمُ أَنْبِيَآؤُهُ وَأَفْضَلُ أَنْبِيَآئِهِ الْمُرْسَلُونَ مِنْهُمْ ، وَأَفْضَلُ الْمُرْسَلِينَ أَوَّلُو الْعِزِّ : نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ عَلَيْهِمُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ ، وَإِنَّ أَفْضَلَ أَوَّلِي الْعِزِّ مُحَمَّدٌ ﷺ فَهُوَ سَيِّدُ الْأَوْلِيَاءِ ، وَإِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَفِي الْحَدِيثِ : «... وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ» ، وَقَالَ : «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» . وَفَضَائِلُهُ وَفَضَائِلُ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَةٌ . وَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ يُوجَدُونَ فِي جَمِيعِ مَنْ آمَنَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَطَاعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ الظَّاهِرَةِ وَالْفَجْوَرِ : فَالْأَوْلِيَاءُ يُوجَدُونَ بَيْنَ أَهْلِ الْقُرْآنِ ، وَأَهْلِ الْعِلْمِ ، وَفِي أَهْلِ الْجِهَادِ ، كَمَا يُوجَدُونَ فِي التِّجَارِ وَالصُّنَاعِ وَالزَّرْعِ وَغَيْرِ هَؤُلَاءِ مِنْ كُلِّ مَنْ اسْتَقَامَ وَاعْتَدَلَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَقْدًا وَقَوْلًا وَفِعْلًا وَدَاوَمَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ ، قَالَ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ * نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ (١)

فَالْأَتَقِيَاءُ الصَّالِحُونَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَّفُوا وَرَاءَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا يَخَافُونَ مِمَّا يَسْتَقْبِلُونَ مِنْ أَهْوَالِ الْآخِرَةِ إِذْ : ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى

في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴿فَالْوَلِيُّ عِنْدَ مَوْتِهِ يَقُولُ لَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ :
« السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللَّهِ ، اللَّهُ يَقْرُتُكَ السَّلَام » إِنَّهَا تَحِيَّةٌ مُبَارَكَةٌ أ
تَمَلُّ الْقَلْبَ أَمْنًا وَسُرُورًا ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ اذْخُلُوا الْجَنَّةَ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١) .

وفي حديث البراء : إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَ الْمَوْتَ ، جَاءَهُ مَلَائِكَةُ
بَيَضُ الْوُجُوهِ وَالثِّيَابِ ، فَقَالُوا : اخْرُجِي أَيْتِهَا الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ إِلَى رَوْحِ
وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرٍ غَضَبَانَ ، فَتَخْرُجُ مِنْ فِيهِ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ
قَمِ السَّقَاءِ » .

ومن بشرهم في الآخرة كما قال تعالى :

﴿لَا يَخْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي
كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٢) .

يَا أَهْلَ الْإِيمَانِ :

ومن أمارات أولياء الله أَنَّهُمْ يَسْتَدْعُونَ الْخَوْفَ مِنَ اللَّهِ وَالْخَشْيَةَ مِنْ
غَضَبِهِ وَانْتِقَامِهِ إِلَى أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ لَتُبَشِّرَهُمْ ، وَتُلْقَى عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ .

وإنَّ الَّذِينَ بُشِّرُوا بِالْجَنَّةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَزَلْ
خَوْفُهُمْ بِسَبَبِ هَذِهِ الْبَشْرَى بَلْ كَانُوا أَكْثَرَ تَعْظِيمًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
وَأَشَدَّ خَوْفًا وَهَيْبَةً .

والوليُّ - أَيضًا - تُذَكَّرُ بِاللَّهِ رُؤْيَاهُ ، فعن ابن عباس قال : قال رجل :

يا رسول الله ، من أولياء الله ؟ قال : «الذين إذا رءوا ذكرك الله» وفي رواية عن عمر رضى الله عنه : «الذين يُذَكِّر الله برؤيتهم» .
والولى يُؤدَّى فرائض الله لَأَنَّهَا أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ ، ويدخل فيها الفرائض الظاهرة والفرائض الباطنة ، أما الظاهرة فهي ما أمر العبد بفعله كأداء الصلوات ، وإخراج الزكاة ، وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، وكذلك ما أمر العبد بتركه كترك السرقة والزنى وشرب الخمر والنميمة والغيبة وكل ما حرَّمه الله على عباده ، ونهى عنه . . أما الفرائض الباطنة فهي المتصلة بالعقيدة كالعلم بالله والتوكل عليه وتوحيده والإيمان بكل ما أخبر به في كتبه وعلى ألسنة رسله . . فكل من صحَّت عقيدته وطهر باطنه وظاهره واستقام على أمر الله ، فهو ولى الله على تفاوتٍ في درجات الأولياء تبعاً لتفاوت درجاتهم في التقوى ومنازلهم في الإيمان .
يا أيها المؤمنون :

قال رسول الله ﷺ : «يقول الله عز وجل : من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشئ أحبَّ إليَّ مما افترضت عليه» .
فإذا أراد العبد أن يترقى في منازل الصالحين ، ويصعد في مدارج الأولياء فعليه أن يداوم على أداء الفرائض أولاً ، وأن يكثر من النوافل ثانياً فإذا فعل مع الإخلاص والرغبة فيما عند الله تولى الله أمره ظاهره وباطنه وكفَّ حواسه عن الشرور والمعاصي وفي الحديث القدسي :
« وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى عليها ، ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيننه » .

أى تصير حواسه منقاداً لأمر الله ، خيرة دائماً بتوفيق من الله وفَضْل .
 فإذا وصل العبد إلى هذه المنزلة كان المعادى له معادياً لله عز وجل ،
 ومن عاداه فقد حاربَه وفي الحديث : « فَبِى يَسْمَعُ وَبِى يَبْصِرُ وَبِى يَبْطِشُ
 وَبِى يَمْشِى » وفي حديث قدسى : « إِنِّى لَأَثَرُ لَأَوْلِيَّائِى كَمَا يَثَرُ اللَّيْثُ الْحَرْبِ »
 والمؤمن التَّقَى يُحِبُّ أَهْلَ التَّقْوَى وَالصَّلَاحِ ، وَيُؤَاخِيهُمُ اللَّهُ ،
 وفي هؤلاء يقول النَّبِيُّ ﷺ « إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ عِبَاداً مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا
 شُهَدَاءَ تَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمَكَانِهِمْ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ، قِيلَ :
 يَا رَسُولَ اللَّهِ ، خَبِّرْنَا مَنْ هُمْ ؟ وَمَا أَعْمَالُهُمْ فَلَعَلَّنَا نُحِبَّهُمْ ؟ قَالَ : هُمْ
 قَوْمٌ تَحَابُّوا فِي اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا ، فَوَاللَّهِ
 إِنْ وَجَّهَهُمْ لِنُورٍ ، وَإِنَّهُمْ عَلَى مَنْابِرٍ مِنْ نُورٍ ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ
 النَّاسُ ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ
 لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ :

إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ هُمُ الْمُقْتَدِلُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَيَفْعَلُونَ مَا أَمَرَ بِهِ ،
 وَيَنْتَهُونَ عَمَّا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ ، وَيَتَّبِعُونَ سُنَّتَهُ ، وَلَا يَخْرُجُونَ عَلَى شَرِيعَتِهِ ،
 فَيُؤَيِّدُهُمُ اللَّهُ بِمَلَائِكَتِهِ وَرُوحٍ مِنْهُ ، وَيُنِيرُ قُلُوبَهُمْ بِهَدَايَتِهِ ، وَلَهُمُ الْكَرَامَاتُ
 الَّتِي يَكْرِمُ اللَّهُ بِهَا أَوْلِيَاءَهُ الْمُتَّقِينَ وَخِيَارَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، وَهَذِهِ الْكَرَامَاتُ إِنَّمَا
 تَحْصُلُ بِبَرَكَاتِهِ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ﷺ ، وَبِهَذَا يَكُونُونَ مِنْ أَهْلِ النِّعَمِ .
 عَنْ تَقِيمِ الدَّارِى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :

« يَقُولُ اللَّهُ لِلْمَلَكِ الْمَوْتِ : انْطَلِقْ إِلَى وَلِيِّى فُلَانٍ فَاتْنِ بِهِ فَإِنَّهُ
 قَدْ جَرَّبْتُهُ بِالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ فَوَجَدْتُهُ حَيْثُ أُحِبُّ اتْنِ بِهِ فَلَارِيحَنَّهُ . »

فَطُوبَى لِمَنْ سَلَكَ طَرِيقَ التَّقَى وَالْهُدَى ، وَأَقَامَ الْفَرَائِضَ وَاجْتَهَدَ فِي سَائِرِ
 الطَّاعَاتِ ، وَدَافِعَ عَلَى الْإِخْلَاصِ لِيَكُونَ ذَا مَنْزِلَةٍ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ .
 وَاتَّقُوا اللَّهَ وَتَوْبُوا إِلَيْهِ — عِبَادَ اللَّهِ — فَالْتَّائِبُ النَّادِمُ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ .

منزلة السنة النبوية من القرآن الكريم *

أما بعد .. فيا أيها المؤمنون :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (١) .

وقال جل شأنه : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٢)
وقال سبحانه : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣) .

أيها المؤمنون :

إن هذه الآيات دلت على وجوب اتباع أمر النبي ﷺ والأخذ عنه ، ولزوم طاعته ، والانقياد لكل ما جاء به فلا يسع أحداً رد أمره لفرض الله طاعته .

وقد قرن الله طاعته بطاعة نبيه في آيات كثيرة وجعل طاعتها سبباً للنجاة والفوز برضوان الله ، والإعراض عنهما سبباً للعذاب والهلاك .
قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعْذِبْهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤) .

ذكر ابن عبد البر في كتاب له عن عبد الرحمن بن زيد : أنه رأى معزماً عليه ثيابه ، فنهى المحرم . فقال : اثنى بآية من كتاب الله تنزع ثيابي - أي تأمر بأن ينزع الرجل المحرم المخيط - قال : فقرأ عليه : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ .

* مختار من كتاب « مع القرآن الكريم » للمؤلف بشيء من التصرف .

(١) الحشر : ٧ . (٢) النحل : ٤٤ .

(٣) النور : ٦٣ . (٤) الفتحة : ١٧ .

أيها المؤمنون :

إن تشريع الرسول ﷺ يُوخِي وإن لم ينزل قرآن . . فقد روى أبو داود عن المقدم بن معديكرب عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أَلَا وَإِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ، أَلَا يَوْشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ : عَلَيْكُمْ هَذَا الْقُرْآنُ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ الْحِمَارُ الْأَهْلِيُّ وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ وَلَا لُقْطَةٌ مَعَاهِدٌ ، إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنَى عَنْهَا صَاحِبُهَا وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يُقْرَؤَهُ فَإِنْ لَمْ يُقْرَؤْهُ فَلَهُ أَنْ يُعْتَبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهِ » .

فَقَوْلُهُ ﷺ : أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ مَعْنَاهُ أَنَّهُ أُوتِيَ مِنَ الْوَحْيِ الْبَاطِنِ غَيْرِ الْمَتْلُوِّ مِثْلَ مَا أُعْطِيَ مِنَ الظَّاهِرِ الْمَتْلُوِّ .

وَأَنَّهُ أُوتِيَ الْكِتَابَ وَحْيًا يُتْلَى ، وَأُوتِيَ مِنَ الْبَيَانِ مِثْلَهُ ، أَيْ أُذِنَ لَهُ أَنْ يَبِينَ مَا فِي الْكِتَابِ فَيَعْمَ وَيَخْصَّ وَيَزِيدَ عَلَيْهِ ، وَيُشْرَعَ مَا فِي الْكِتَابِ ، فَيَكُونُ فِي وَجوبِ الْعَمَلِ بِهِ وَلِزُومِ قَبُولِهِ كَالظَّاهِرِ الْمَتْلُوِّ مِنَ الْقُرْآنِ .

وَقَوْلُهُ : « يَوْشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانٌ » الْحَدِيثُ ، يَحْذَرُ هَذَا الْقَوْلَ مِنْ مَخَالِفَةِ السُّنَنِ الَّتِي سَنَّهَا مِمَّا لَيْسَ لَهُ فِي الْقُرْآنِ ذِكْرٌ .

[وَالْأَرِيكََةُ : السَّرِيرُ] وَأَرَادَ أَصْحَابُ التَّرْفَةِ وَالِدَّةَ الَّذِينَ لَزِمُوا الْبُيُوتَ ، وَلَمْ يَطْلُبُوا الْعِلْمَ مِنْ مَظَانِّهِ . وَقَوْلُهُ : « فَلَهُ أَنْ يُعْتَبَهُمْ (٢) بِمِثْلِ قِرَآءَتِهِ (٢) » : هَذَا فِي حَالِ الْمُضْطَرِّ الَّذِي لَا يَجِدُ طَعَامًا وَيَخَافُ التَّلَفَ عَلَى نَفْسِهِ فَلَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ مَا هُمْ بِقَدْرِ قِرَآءَتِهِ - أَيْ مَا يَكْفِي طَعَامَهُ وَسَدَّ جُوعَهُ - عَوَضًا مَا حَرَّمُوهُ مِنْ قِرَآءَتِهِ ، أَيْ مِنَ الطَّعَامِ يَقْدَمُونَهُ لَهُ .

(١) يَعْتَبَهُمْ : مِنَ الْمَعَايَةِ وَيُرَوِّى مُخَفَّفًا وَمَشْدَدًا .

(٢) الْفَرَى : بِكَسْرِ الْقَافِ مَا يَقْدَمُ لِلضَّيْفِ .

وفي هذا الحديث دلالة على أنه لا حاجة بالحديث إلى أن يُعرض على الكتاب ، فإنه مهما ثبت عن رسول الله ﷺ كان حجةً بنفسه .
وفي الحديث أيضاً حرم النبي ﷺ الحمار الأهلئ وكل ذى ناب من السباع ولقطة المعاهد إذا لم يستغن عنها ، ولم يرد لذلك نص صريح في القرآن ، وقال رسول الله ﷺ يحذر المعرضين عن سنته : « يوشك أن يقعد الرجل على أريكته يُحدث بحديثي فيقول : بيني وبينكم كتابُ الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه ، وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه ألا وإن ما حرم رسولُ الله ﷺ مثلُ ما حرم الله » .

قال البيهقي : وهذا خبرٌ من رسولِ الله ﷺ عما يكون بعده من ردّ المبتدعة حديثه فوجد تصديقه فيما بعده .

ومن الآيات السابقة وغيرها ومن الحديثين السابقين يتضح لنا :
أن المسلم لا يستطيع أن يعبد الله حقَّ عبادته ، وأن يؤدي فرائضه على الوجه الذي طلبه الله من عباده إلا إذا عمل بالسنة النبوية .

أن الذين تعلّقوا بظاهر القرآن الكريم — قديماً وحديثاً — وتركوا السنة التي قد ضُمّنت بيان الكتاب ضالّون مُضِلُّون وليسوا على طريق الإسلام ، وإن ماتوا على إنكارهم السنة الصحيحة ماتوا على الكفر والعياذُ بالله .

أخرج البيهقي بسنده عن شبيب بن أبي فضالة المكي ، أن عمران ابنَ حُصَيْن رضى الله عنه ذكر الشفاعة ، فقال رجلٌ من القوم : يا أبا جنيد إنكم تُحدّثوننا بأحاديث لم نجد لها أصلاً في القرآن ، فغضب عمران وقال للرجل : قرأت القرآن ؟ قال : نعم . قال : فهل وجدت فيه صلاةَ العشاء أربعاً ، ووجدت المغرب ثلاثاً ، والغداة ركعتين والظهر أربعاً ، والعصر أربعاً ؟ قال الرجل : لا .

قال عمران : فعن من أخذتم ذلك ؟ أَلستمَ عَنَّا أَخَذْتُمُوهُ (١) وَأَخَذْنَاهُ
عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ . أَوَجَدْتُمْ فِي الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ شَاةً شَاةً ،
وَفِي كُلِّ كُذَّابٍ بَعِيرًا كُذَّابًا ، وَفِي كُلِّ كُذَّابٍ رَهْمًا كُذَّابًا ؟
قال الرجل : لا . قال : فعن من أخذتم ذلك ؟ أَلستمَ عَنَّا أَخَذْتُمُوهُ ،
وَأَخَذْنَاهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ؟

وقال : وَجَدْتُمْ فِي الْقُرْآنِ ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (٢) . أَوَجَدْتُمْ
فِيهِ : « فَطُوفُوا سَبْعًا وَارْكَعُوا رَكْعَتَيْنِ خَلْفَ الْمَقَامِ » . ثُمَّ قَالَ عِمْرَانُ :
أَمَّا سَمِعْتُمُ اللَّهَ قَالَ فِي كِتَابِهِ : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ
عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ :

إِنَّ الْبَيَانَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَقَعُ عَلَى
ضَرْبَيْنِ وَهُمَا :

بَيَانٌ لِمَجْمَلٍ فِي الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ، كَبَيَانِهِ لِلصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي
مَوَاقِيتِهَا وَسُجُودِهَا وَرُكُوعِهَا وَسَائِرِ أَحْكَامِهَا .

عَنْ حَسَّانِ بْنِ عَطِيَّةٍ قَالَ : كَانَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْزِلُ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالسَّنَةِ كَمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ يَعْلَمُهُ إِيَّاهَا كَمَا يَعْلَمُهُ
الْقُرْآنُ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : إِنَّ السَّنَةَ تَفْسِرُ الْكِتَابَ وَتُبَيِّنُهُ .

وَبَيَانٌ آخَرٌ وَهُوَ زِيَادَةٌ عَلَى حُكْمِ الْكِتَابِ كِتَابُ نِكَاحِ الْمَرْأَةِ عَلَى

(١) أَيُّ عَنْ الصَّحَابَةِ لِمَنْ بَعْدَهُمْ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ وَاسِطَةُ بَيْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ
جَامِعِ بَعْدِهِمْ مِنَ التَّابِعِينَ .
(٢) الْحَجَّ : ٢٩ .

عَمَّتْهَا وَخَالَتِهَا ، وَتَحْرِيمِ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ وَكُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ ،
وَالْقَضَاءِ بِالْيَمِينِ مَعَ الشَّاهِدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

قال الإمام الشافعي : فرض الله على الناس اتباعَ وَحْيِهِ وَسُنَنِ رَسُولِهِ
فَقَالَ فِي كِتَابِهِ : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ
أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ
كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (١) مَعَ آتِي سِوَاهَا ذَكَرَ فِيهِنَ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ . . .

قال : فَذَكَرَ اللَّهُ الْكِتَابَ وَهُوَ الْقُرْآنُ ، وَذَكَرَ الْحِكْمَةَ فَسَمِعْتُ مِنْ
أَرْضَاءِ مَنْ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْقُرْآنِ يَقُولُ : الْحِكْمَةُ سُنَّةُ النَّبِيِّ ﷺ .
وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ (٢) .
﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ ﴾ يَعْنِي اخْتَلَفْتُمْ فِي شَيْءٍ ﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ،
يَعْنِي - وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ - إِلَى مَا قَالَ اللَّهُ وَالرَّسُولُ .

قال الشافعي : فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ طَاعَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَاعَتُهُ فَقَالَ :
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجْلُوهَا
فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا نَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣) .

وإن ما رواه بعضهم من أن النبي ﷺ قال : « إِذَا جَاءَكُمْ الْحَدِيثُ
فَاغْرِضُوهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ فَإِنْ وَافَقَهُ فَخُذُوهُ ، وَإِنْ لَمْ يُوَافِقْهُ فَاتْرَكُوهُ »
بَاطِلٌ لَا أَصْلَ لَهُ فَهُوَ حَدِيثٌ مُّضَوِّعٌ .

قال البيهقي : إن هذا الحديث ينعكس على نفسه بالبطلان ، فليس
في القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن .

(٢) النساء : ٥٩ .

(١) آل عمران : ١٨٥

(٣) النساء : ٦٥ .

وقد ألزمنّا الله عز وجل بالعمل بالكتاب والسنة معاً . قال تعالى :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) (١)
وروى ابن عباس أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع
فقال : « إني قد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلُّوا أبداً ،
أمرين اثنين : كتاب الله وسنة نبيِّكم ، أيها الناس ، اسمعوا ما أقول
لكم تعيشوا به » .

وهذا الحديث ورد بعبارات متعددة وكلُّها تحضُّ المسلمين على
التمسك بالكتاب والسنة .

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « من أحيا سنتي
فقد أحببني ، ومن أحببني كان معي في الجنة » .

وعن المطلب بن حنطب أن رسول الله ﷺ قال : « ما تركتُ
شيئاً مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به ، ولا تركتُ شيئاً مما نهاكم
الله عنه إلا وقد نهيتكم عنه » .

فاتقوا الله — عبادة الله — واستغفروه يغفر لكم ، وتوبوا إليه
لعلكم ترحمون .

للخطبة الثانية

إن طاعة رسول الله ﷺ طاعة الله ، يقول تعالى : ﴿ مَنْ يُطِعِ
الرُّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (١) .

وأخرج البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « كُلُّ
أُمَّتٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مِنْ أَبِيى ، قالوا : يا رسول الله وَمَنْ يَأْبَى ؟
قال : مَنْ أَطَاعَنِى دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِى فَقَدْ أَبَى » .

وإن السنة مع الكتاب أُقيمت مقام البيان عن الله فهى مُبَيِّنَةٌ
لأحكامه ومفصلةٌ لمُجْمَلاته كما قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ
لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٢) . وإن العمل بالسنة النبوية فرض لازم .
قال الإمام أحمد بن حنبل : السنة عندنا آثار رسول الله ﷺ ،
والسنة تفسر القرآن ، وهى دلائل القرآن .

(٢) النحل : ٤٤ .

(١) النساء : ٨٥ .

الحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ

الحمد لله ، نستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، ونصلّي ونسلم على رسول الهدى والحق محمد ابن عبد الله وعلى آله وأصحابه الأطهار الأبرار .

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - شُعْبَةٌ ، أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ » .

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ :

جاء الإسلام بعقائد وخصال ، هي أركانُ لبناء الأمة ، وأُسُسُ لسعادتها وعمادٌ مُحْكَمٌ لبناء مدينتها الطاهرة الصحيحة . وفي كل فضيلة ، وفي كل خصلة من الخصال التي جاءنا بها هذا الدين الحنيف . . باعثٌ للأمة على استكمال مقومات حياتها الراقية ، ومُحرِّكٌ للهمم إلى إسعادها . ومن الخصال الجليلة التي حث عليها الإسلام خُلَّةُ الحياء وهو تأثرُ النفس ، وانفعالها من كل ما يعيبه الدين ، أولاً يَرْضَى عنه ذوقُ المؤمنين الصادقين الذين يخشون الله ويرجون رحمته .

« والحياء لا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ » ، لَأَنَّ مَنْ كَانَ الْحَيَاءُ لَهُ زِينَةً فَإِنَّهُ

يَرْتَدِّعُ عَنِ الْقَبِيحِ ، وَيَمْتَنِعُ عَنِ مَجَاوِزَةِ الْحُدُودِ الَّتِي رَسَمَهَا لَهُ الدِّينُ ، وَيَعُودُ دَائِمًا إِلَى الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ .. فَكَأَنَّ الْحَيَاءَ لَصَاحِبِهِ رَقِيبٌ عَلَى أَعْمَالِهِ ، وَحَاجِزٌ يَرُدُّهُ عَنِ الْآثَامِ . . يَرُدُّهُ عَنِ الْفُسُوقِ وَالْعَصْيَانِ ،

لذا كان الحياء من أجل الأخلاق التي يمنحها الله عبده ويحبها عليها .
فصاحب الحياء يتحلّى بالفضائل ، ويتخلّى عن الرذائل ، صاحب الحياء
لا يجور ولا يفسق ، ولا يؤذى أحداً بيدٍ أو بلسانٍ ، يخجل ويستحي
من إغضاب الله عز وجل ولا يرتكب ما يُغضب الرحمن ، ثم هو
يَخْجَلُ من الناس . . وينوب خجلاً من نفسه إذا حدثته بكسر حجاب
الفضيلة ، وولوج باب الرذيلة . . صاحب الحياء يراقب الله دائماً ،
ويحاسب نفسه .

قال الراغب : الحياء انقباض النفس عن القبائح ، وهو من
خصائص الإنسان ، وجعله الله سبحانه في الإنسان - أى سَجِيَّةً من
سَجَاياه - ليرتدع به عما تنزع إليه النفس من القبائح .

وقيل في بيان معنى الحياء كذلك : الحياء وَسَطٌ بين الخَجَلِ
والوقاحة . . أمّا الخجل فهو حَيْرَةُ النفس لفرط الحياء ، ويُحَمَّدُ الخَجَلُ
في النِّسَاءِ والصبيان ، ويَذَمُّ في الرجال .. وأمّا الوقاحة فهي مذمومة بكلِّ
إنسان - رجلٍ كانَ أو امرأة - إذ الوقاحة انسلاخٌ من الإنسانية وحقيقتها
لَجَبَاجُ النفس - أى تماديها - في تعاطي ما يُغضب الله .

وقال الماوردي : الحياء في الإنسان ثلاثة أوجه . أحدها : حياؤه
من الله تعالى . والثاني : حياؤه من الناس . والثالث : حياؤه من نفسه .
فأمّا حياء الإنسان من الله فيكون بامتنال أوامره ، والكف عن
زواجره ، وهذا يكون من صحة الدين ، وقوة اليقين .

وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : « اسْتَحْيُوا من الله عز وجل
حقَّ الحياء . فقليل : يارسول الله : إنا لنستحي من الله ، والحمد لله ،
قال : ليس كذلك ، ولكن الاستحياء من الله حقَّ الحياء : أن تحفظ

الرأس وما وعى (١) ، والبطن وما حوى (٢) ، وتذكّر الموت واليلى ،
ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، وآثر الآخرة على الأولى ،
فمن فعل ذلك ، فقد استخيا من الله حقّ الحياء .

فصاحبُ الحياء يكون دائماً على خشيةٍ من الله عز وجل فهو يؤمن
بالحق ، ويتبعه ، وينكر الباطل وينبذُه ، ويأنف من تعاطى المنكرات ،
ويغار على الحقوق ، ويصون الحرمات .

والإنسان الصدوق حَيٌّ ، والعفيف حَيٌّ .. فالحياء كله خير ،
وثمراته الطيبة تعود على الفرد وعلى الجماعة بكل خير .

قال الرسول الهادى ﷺ : « الحياء نظام الإيمان ، فإذا انحل نظامُ
الشيء تبدد ما فيه وتفرّق » .

وأما حياء الإنسان من الناس . . فيكون بكفّ أذاه عنهم ، ورعاية
حقوقهم ، كما يكون بترك المُجَاهَرَةِ بالقبيح . . فالمرء إذا كملت
مروءته استخيا من الناس ، وحسنت سيرته فى المجتمع ، ووثق به
المحيطون به وأحبوه .

وقد أكّد الحبيب الهادى ﷺ ، قُبْحَ صنيع مَنْ يُجَاهِرُ بالمعصية ،
ويُظهِرُ على الملأ عدم المبالاة ، بقول أو بفعلٍ ممّا لا يَرْضَى الله عز
وجل ، مِنْ تلك الأقوال والأفعال التى تُنافى كمال المروءة وحُسن الخلق . .
فقال ﷺ فى تقبيح ذلك : « كُلُّ أُمَّتٍ مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ ، وَإِنْ مِنْ
الْمَجَانَةِ أَنْ يَعمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ، ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ فيقول :
يا فلانُ عَمِلْتُ البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويُصْبِحُ
يُكشِفُ سِتْرَ اللهِ عنه » .

(١) ما وعى الرأس : السمع والبصر واللسان .

(٢) ما حوى البطن : المأكول والمشروب ، أى طلب الحلال من الرزق واستعمال
جوارح الإنسان فى طاعة الله .

وَأَمَّا حَيَاءُ الْمَرْءِ مِنْ نَفْسِهِ فَيَكُونُ بِالْعِفَّةِ ، وَصِيَانَةِ خَلْقَاتِهِ ، وَهَذَا قَدْ يَكُونُ مِنْ فَضِيلَةِ النَّفْسِ وَحَسَنِ السَّرِيرَةِ ، وَالشُّعُورِ الدَّائِمِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُ سِرَّ الْعَبْدِ ، وَعِلَانِيَتَهُ ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ خَافِيَةٌ .
فَالْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ ، وَيَصْبُونُ الْمَرْءَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ ، وَقَدْ قِيلَ :
مَتَى كَمَلَ حَيَاءُ الْإِنْسَانِ مِنْ وَجْهِهِ الثَّلَاثَةُ ، أَيْ حَيَاؤُهُ مِنَ اللَّهِ ، وَحَيَاؤُهُ مِنَ النَّاسِ ، وَحَيَاؤُهُ مِنْ نَفْسِهِ - فَقَدْ كَمَلَتْ فِيهِ أَسْبَابُ الْخَيْرِ ، وَانْتَفَتْ عَنْهُ أَسْبَابُ الشَّرِّ ، وَصَارَ بِالْفَضْلِ مَشْهُورًا ، وَبِالْجَمِيلِ مَذْكُورًا .

وَالْحَيَاءُ لِلْإِنْسَانِ بِمِثَابَةِ الْمَاءِ لِلزَّرْعِ ، فَكَمَا أَنَّ الزَّرْعَ إِذَا نَالَ حَاجَتَهُ مِنَ الْمَاءِ نَمَا وَصَارَتْ لَهُ نَضَارَةٌ وَبَهَاءٌ ، فَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ الْحَيُّ نَرَى فِي وَجْهِهِ بَهَاءَ الْخَيْرِ ، وَسَمَاتِ الصَّلَاحِ ، وَنَلْمَحُ فِي أَفْعَالِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى نَمَاءِ الْإِيمَانِ وَقُوَّةِ الْيَقِينِ فِي قَلْبِهِ ، وَلِذَا كَانَ الْمُؤْمِنُ الْحَيُّ مِنْ أَهْلِ النِّعَمِ الْآخِرَى ، أَمَّا أَهْلُ الْجُرْأَةِ عَلَى الْقَبِيحِ الَّذِينَ لَا يَجْلُونَ مِنَ الْحَيَاءِ مَا يَزْجِرُهُمْ عَنْ ارْتِكَابِ الْمُحْظُورِ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْبَذَاءِ وَهَؤُلَاءِ يَقُولُ فِيهِمُ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى ﷺ فِي الْحَدِيثِ رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ » .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ ، وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ » .

ذَلِكَ أَنَّ عَدَمَ حَيَاءِ الْمَرْءِ يَجْرُهُ إِلَى أَنْ يَسَايِرَ هَوَاهُ ، وَإِلَى أَنْ يَقْتَحِمَ حُدُودَ اللَّهِ ، وَفِي مِثْلِ هَذَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنْ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأَوَّلَى : يَا بَنَ آدَمَ إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ » .

وَفَاقَدَ الْحَيَاءِ يَمُوتُ فِي نَفْسِهِ الشُّعُورُ بِالْخَجَلِ مِنْ فِعْلِ الشَّرِّ وَمِنْ إِيْتْيَانِ الْقَبِيحِ ، وَلِذَا تَجَدَّدَ سَاقِطُ الْهَمَةِ ، قَلِيلَ الْمُرُوءَةِ ، عِيَابًا فَحَاشًا ، يَتَجَنَّبُ أَهْلُ الْخَيْرِ مَخَالَطَتَهُ ، وَلَا يَرْضَى ذُو مَرُوءَةٍ مَعَاشَرَتَهُ ، وَلَا يُؤْتَمَنُ عَلَى

عرض أو مال أو سر ، فهو بغيض إلى الله ، بغيض إلى الناس لما له من جرأة على المعاصي ، يقول الحبيب المصطفى ﷺ : « إذا أبغض الله عبداً نزع منه الحياة فإذا نزع منه الحياة لم تلقه إلا بغيضاً مبغضاً . » ومن أمارات أهل الصلاح أن الواحد منهم إذا عرضت عليه أفعاله التي يهيم بفعلها فإنه يجعل حياته حكماً عليها فإذا لم ير فيها ما يستحيا منه لحسنها وجمالها وموافقتها لما يرضى الله فإنه يقدم عليها ، وفي هذا المعنى جاء قول النبي ﷺ : « ما أحببت أن تسمعه أذنك فأنه ، وما كرهت أن تسمعه أذنك فاجتنبه » . وسئل حكيم عن المروءة فأجاب : ألا تعمل في السر شيئاً تستحي منه في العلانية .

إن معرفة المؤمن بالله ومعرفته بعظمته عز وجل وبقربه من عباده ، وإطلاعه عليهم ، وعلمه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور لمن أعلى خصال الإيمان .. بل من أعلى درجات الإحسان ، ذلك أن زيادة العلم بالله والشعور الدائم بمراقبته سبحانه وتعالى ، يجعل المؤمن يستحي أن يراه ربه حيث نهاه ، ويخشى أن يعرض نفسه لغضب الله ، فيقبل على الخير ويتزود بكل ما هو جميل ومحبوب من الفضائل والآداب ، ويحب أن يراه ربه حيث أمره .

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (١) .

عن زيد بن طلحة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ » .

فاتقوا الله عباد الله ، وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم .

القِسم الثالث

- ١٣ - الصلوات المكتوبات .
- « من خطب النبي صلى الله عليه وسلم » للخطبة الثانية .
- ١٤ - صلاة الجمعة (فضلها - حكمها - آدابها) .
- خطبة أخرى في الجمعة
- ١٥ - أم الكتاب .

للخطبة الثانية

- ١٦ - الزكاة ركن الإسلام .
- ١٧ - شهر الخيرات والبركات .
- ١٨ - السنن الرواتب .
- ١٩ - فرض على المستطيع .
- ٢٠ - بيوت الله .
- ٢١ - صيام التطوع .

للخطبة الثانية

- ٢٢ - عيد الفطر .
- ٢٣ - التطهر والنظافة في حياة المسلمين .
- ٢٤ - الصبر والمصابرة والمراعاة والتضحية .
- عناصر أساسية لتحقيق النصر .

الصلوات المكتوبات

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَآتُوا الزَّكَاةَ ،
وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ
بُصِيرٌ ﴾ (١) .

يا عباد الله :

في الآية الكريمة السابقة ، يأمر الله عباده بإقامة الصلاة ، وإيتاء
الزكاة ، والأمرُ معناه الوجوب ، وإقامة الصلاة : أدائها بأركانها ،
وسُنَنِها ، وهيئاتها في أوقاتها على النحو الذي بيَّنته سُنَّةُ النَّبِيِّ ﷺ الهادي
ﷺ . والصلاة عِمَادُ الدين الذي لا يقوم إلا به ، وهي من أعظم
أركان الإسلام ، مَنْ حافظ عليها فهو السعيدُ الرَّابِح ، ومن أضاعها
فذلك الشقيُّ الخاسر .

قال رسول الله ﷺ : « رَأْسُ الأَمْرِ الإسلامُ ، وعمُودُه الصلاةُ ،
وذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجهادُ في سبيلِ الله » .

والصلاة نور وبهاء للعبد يوم يلتقي ربه ، عن أبي مالك الأشعري رضى
الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « الطَّهْرُ شَطْرُ الإِيمَانِ ، والحمدُ
لِلَّهِ تَمْلَأُ المِيزَانَ ، وسُبْحَانَ اللَّهِ ، والحمدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ ما بَيْنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ ، والصلاةُ نُورٌ ، والصدقةُ بُرْهَانٌ ، والصبرُ ضِيَاءٌ ، والقرآنُ
حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ » .

وقد فرض الله عز وجل الصلاة على كل مسلم بالغ عاقل ، وأمرنا

سبحانه بالمحافظة عليها ، وعدم التهاون بأمرها ، أو التكاسل عن أدائها ، أو التفريط فيها . . فالمسلم مطالب بأدائها ما دامت روحه في جسده : الصحيح والمريض في ذلك سواء ، وكذلك المسالم والمحارب ، والمقيم والمسافر ، والرجل والمرأة - إلا في حالة حيض المرأة ونفاسها - .

قال الله عز وجل : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ، وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ * فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ، فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) . والأمر في قوله تعالى : « حافظوا » خطاب لجميع المكلفين ذكورا وإناثا والآية أُمِرُّ بالمحافظة على إقامة الصلوات في أوقاتها بجميع شروطها ، والمحافظة : هى المداومة على الشيء ، والمواظبة عليه . وفى الآية السابقة دليل على أَنَّ الصلاة لا تسقط عن المسلم في حال الخوف من عدو أو غيره ، فأحرى ألا تسقط بغيره من مريض أو سفير أو نحوهما .

ومهذا تميزت الصلاة عن سائر العبادات . . ولهذا قال العلماء : « إِنَّ تارك الصلاة يُقتل ، لأنها أشبهت الإيمان الذى لا يسقط بحال » . وقالوا فيها كذلك : « الصلاة إحدى دعائم الإسلام لا تجوز النيابة عنها ببدن ولا مال فيقتل تاركها » .

ولما كان للصلاة هذه المنزلة ، فإن الإسلام شدد النكير على من يفرط فيها وهدد الذين يضيعونها . قال الله عز وجل : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ، وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ (٢) .

فَمَنْ - إذن - هؤلاء الذين أضاعوا الصلاة ؟ . وما معنى إضاعتهم الصلاة حتى توعدهم الله بالويل إلا إن تابوا ، وعادوا إلى الحق بإقامة الصلاة ؟ . قال ابن عباس رضى الله عنهما : هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة . وقال غيره : هم أولئك الذين أضاعوها بالتأخير .

ويفسر ذلك قول سعيد بن المسيب رحمه الله : هو ألا يصلي الظهر حتى يأتى العصر ، ولا يصلي العصر حتى يأتى المغرب ، ولا يصلي المغرب إلى العشاء ، ولا يصلي العشاء إلى الفجر ، ولا يصلي الفجر إلى طلوع الشمس ، فمن مات وهو مصير على هذه الحالة ولم يتب توعده الله بغى ، وهو واد في جهنم بعيد عمقه ، خبيث طعمه . وقيل : غى ، واد في جهنم تستعيد منه أوديتها . . والمعروف في لغة العرب أن الغى يطلق على كل شر ونقيضه الرشاد فهو يطلق على كل خير . . فينبغي لمن يتهاون في أمر الصلاة ، بتركها أو تأخيرها عن أوقاتها بدون عذر شرعى أن يسرع إلى التوبة والإنابة . ولنتدبر الوعيد والتهديد للمتهاونين في أمر الصلاة في قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ (١) . أى فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلاة قلة مبالاة بها ، حتى تفوتهم ، أو يخرج وقتها . .

وعن عثمان قال : سمعت الرسول ﷺ يقول : « لا يتوضأ رجل فيحين وضوءه ثم يصلي الصلاة إلا غفر الله له ما بينها وبين الصلاة التى تليها » فطوبى لمن أدى الصلاة بتمامها وكمالها وخشوعها وحافظ عليها حتى يفارق الدنيا ، والويل لمن فرط فيها ، واستكبر عن أدائها ، ثم خرج من الدنيا ولم يسجد لرب العالمين . الويل له ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ

عَنْ سَاقٍ ، وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿١﴾ .

نعم . . . لهم لا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَعْبُدًا وَتَكْلِيْفًا ، ولكن توبيخًا وتعنيفًا على تركهم السُّجُودَ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ دَارُ الْإِبْتِلَاءِ وَالْعَمَلِ ، فَتَخْشَعُ إِذْ ذَاكَ أَبْصَارُهُمْ فَلَا تَعُودُ تُرْفَعُ ، وَيَغْشَى الذُّلُّ وَجُوهَهُمْ ، وَيَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ ﴿ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾ أَيْ وَهُمْ أَصْحَاءُ قَادِرُونَ فَجَحِدُوا وَأَبَوْا ، وَاسْتَكْبَرُوا ، وَكَذَّبُوا .

وقد صرحت الأحاديث الشريفة بكُفْر تارك الصلاة تكاسلا أو أو تشاغلا عنها بما لا يعدُّ فِي الشَّرْعِ عَذْرًا ، كَمَا قَرَّرَتِ الْأَحَادِيثُ وَجُوبَ قَتْلِهِ ، فَعَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ » .

وعن بريدة قال : قال رسول الله ﷺ : « الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ . . » وَمِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَصْرُوحَةِ بِوَجُوبِ قَتْلِ تَارِكِ الصَّلَاةِ عَمْدًا مِنْ غَيْرِ عَذْرِ ، مَا رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « عَرَى الْإِسْلَامِ ، وَقَوَاعِدُ الدِّينِ ثَلَاثَةٌ ، عَلَيْهِنَّ أُسِّسَ الْإِسْلَامُ ، مَنْ تَرَكَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ فَهُوَ بِهَا كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ : شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَالصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ » .

وعن ابن عمر أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « . . . أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتَلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌ . . » .

وهذه الأحاديث الشريفة تدل على عِظَمِ فضلِ الصلاة ، وعلى وجوب المحافظة عليها ، وأدائها في أوقاتها ، وقد أخبرنا الحبيب الهادي عليه السلام أنَّ من حَافِظَ على الصلاة وأداها بتمامها وكمالها مع الخشوع فيها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم يقوم الناس لرب العالمين .

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وآله : أنه ذكر الصلاة يوماً فقال : « من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ، ولا برهان ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف » وعن عبادة سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « خمس صلوات افترضهنَّ الله من أحسن وضوءهنَّ وصلأهنَّ لفتنهنَّ وأتم ركوعهنَّ وسجودهنَّ وخشوعهنَّ كان له على الله عهد أن يغفر له ومن لم يفعل فليس على الله عهد إن شاء غفر له وإن شاء عذبه » .

والصلاة أول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة من عمله ، فإن صلحت فاز ونجا وإن فسدت خاب ورُدَّ عليه سائر عمله . .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن أول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر ، فإن انتقص من فريضة شيء قال الربُّ عزَّ وجل : انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم تكون سائر أعماله على هذا .

ومن دعاء الأنبياء : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ (١) ، ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دَعَاءِ ﴾ (٢) .

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « ما من امرئ مسلمٍ تحضره صلاةٌ مكتوبةٌ فيُحسِن وضوءَها وخشوعَها ، وركوعَها إلا كانت كفارةً لما قبلها من الذنوب ما لم تُؤتِ كبيرة ، وذلك الدهر كله . . » .

وروى أحمد والشيخان وأبو داود والنسائي : « أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ الصَّلَاةُ لَوْ قَرَّبَهَا ثُمَّ بَرَّ الْوَالِدَيْنِ ، ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . » .

فاتقوا الله - عباد الله - وتوبوا إليه ، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له .



للخطبة الثانية :

لقد أمر الله عز وجل جميع أنبيائه ورسله بالصلاة ، وفرضها على المؤمنين في كل العصور ، فهذا رسول الله عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام يقول حين أشارت إليه أمه وهو في المهد صبياً : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا . . ﴾ (١) .

ولنتدبر ما جاء في وصية لقمان الحكيم لابنه : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (٢) .

(٢) لقمان : ١٧ .

(١) مريم : ٣٠ ، ٣١ .

لنرى كيف أن الصلاة لم تنزل عظمة الشأن ، سابقة القدم على ما سواها ، موصى بها في الأديان كلها - وقد أمر الله عز وجل رسوله الهادي وخاتم رسله ﷺ بأن يُقبلَ هو وأهله على عبادة الله والصلاة فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ، لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ (١) . وأمر الله عز وجل عباده المؤمنين بإقامة الصلاة ، والإنفاق مما رزقهم الله انقيادًا لأمر الله وابتغاء وجهه الكريم قال تعالى : ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾ (١) .

ومما ينبغي أن يلتفت إليه المؤمنون أن يأمرُوا أبناءهم بالصلاة إذا بلغ الابن سبع سنين ، ويعنّفه عليها إذا بلغ عشرين ليتمرن الولد عليها ويعتادها بعد البلوغ ، بهذا أمرنا الهادي الحبيب ﷺ في قوله : «مرو أولادكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا ، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرين ، وفرّقوا بينهم في المضاجع . . .» .

صلاة الجمعة فضلها - حكمها - آدابها

قال الحق تبارك وتعالى : ﴿.. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ..﴾ (١)

خير أيام الأسبوع :

أيها المسلمون :

يوم الجمعة يومٌ مباركٌ ، وهو خير يومٍ من أيام الأسبوع ، كما أخبرنا الحبيب المصطفى ﷺ .

عن أبي لبابة بن عبد المنذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « .. إِنْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الْأَيَّامِ وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَهُوَ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ يَوْمِ الْأَضْحَى ، وَيَوْمَ الْفِطْرِ ، وَفِيهِ خَمْسٌ خَلَقَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ ، وَأَهْبَطَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ إِلَى الْأَرْضِ ، وَفِيهِ تَوَفَّى اللَّهُ آدَمَ ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَسْأَلُ اللَّهُ فِيهَا الْعَبْدُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَامًا ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ ، مَا مِنْ مَلَكٍ مُّقْرَّبٍ وَلَا سَمَاءٍ ، وَلَا أَرْضٍ وَلَا رِيَّاحٍ وَلَا جِبَالٍ وَلَا بَحْرٍ إِلَّا وَهْنٌ يُشْفِقُنَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ » .

أَيَّ أَنَّ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ يَخْفَنَ فِي هَذَا الْيَوْمِ فَيُكْثَرْنَ مِنْ تَسْبِيحِ اللَّهِ وَتَحْمِيدِهِ وَيَخْشَيْنَ النَّشْرَ وَقَبْضَ الْأَرْضِ وَتَنْفِخَ الصُّورِ ، وَفِي هَذَا الْيَوْمِ تَقُومُ السَّاعَةُ .

أفضل الصلوات :

وكما أن يوم الجمعة أفضل الأيام ، فإن صلاة الجمعة أفضل الصلوات ، وهى فرض بالكتاب والسنة وإجماع الأمة . قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ . . ﴾ .

التحذير من التهاون بشأن صلاة الجمعة :

وفي الحديث عن أبي هريرة وابن عمر أنهما سمعا النبي ﷺ يقول على أعواد منبره : « . . لينتهين أقوامٌ عن ودعهم - أى تركهم - الجمُعاتِ أو ليُختمن على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين . . » .

ومعنى « ليختمن الله على قلوبهم » أى يطبع على قلوبهم ، ويحول بينهم وبين الهدى والخير . وفي رواية « رَوَّاح الجمعة واجبٌ على كل مسلم » . ولقد حذر الحبيب المصطفى المؤمنين من التهاون في شأن صلاة الجمعة وعدم السعى إليها والتفريط في أدائها مع الجماعة بغير عذر شرعى ، فقال ﷺ :

« من ترك ثلاثَ جُمُع تهاوَّنًا بها طبع الله على قلبه » .

وتارك الجمعة ثلاثَ مراتٍ من غير عذرٍ أو ضرورة يُكتب من المنافقين .

فعن أسامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « . . من ترك ثلاثَ جُمُعَاتٍ من غيرِ عُلُرٍ كُتِبَ من المنافقين » .

ولنتدبر هذا النذير الذى رواه ابنُ مسعودٍ رضى الله عنه قال : إن النبي ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجمعة : « لقد هممتُ أن آمر رجلاً يصلى بالناس ، ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم » .

وجوبها :

أما المؤمنون :

وصلاة الجمعة تجبُ على المسلم الحرّ العاقل البالغ المقيم القادر على السعى إليها الخالي من الأعذار المبيحة للتخلف عنها . .

قال رسول الله ﷺ : « الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا أربعة : عبد مملوك ، أو امرأة ، أو صبي ، أو مريض » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « من سمع النداء فلم يجبه ، فلا صلاة له إلا من عذر ، قالوا : يا رسول الله وما العذر ؟ قال : خوف أو مرض » .

وقد روى موقوفاً على ابن عمر رضى الله عنهما : « لا جمعة على مسافر » فاحرص يا أخى المؤمن - على أداء الصلوات وحضور الجماعات ، واحرص على السعى يوم الجمعة لأداء صلاتها وإيائك والتهاون بشأنها . . وقد جاء الوعيد الشديد للمفرطين فيها على لسان الصادق الأمين ﷺ .

فضلها :

أما من أدى الصلوات الخمس وصلى الجمعة فإن الحبيب المصطفى ﷺ بشره بتكفير ذنوبه بشرط أن يجتنب كبائر الإثم والفواحش كترك ركن من أركان الدين كالزكاة والصيام ، أو ارتكاب ما حرم الله كالسرقة وقتل النفس بغير حق ، والربا وشرب الخمر والزنى وشهادة الزور ، وما إلى ذلك مما يشتد فيه مقت الله وغضبه إذا لم يصبر على الصغائر ، فإن الإصرار عليها يحيلها إلى كبائر .

فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« . . الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر » .

فطوبى لمن أدى صلاة الجمعة وحافظ عليها وعلى آدابها وسننها . .
طوبى لمن اجتهد في الدعاء والتضرع يوم الجمعة ، ففيها ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله شيئاً إلا حقق رجاءه . .

فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال : « فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله شيئاً إلا أعطاه » - وأشار بيده يقللها -

التبكير إلى المساجد للجمعة :

ويستحب للمؤمنين المبادرة والتبكير إلى المساجد يوم الجمعة وعليهم السكينة والوقار ، ففي الحديث : « إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم » وقد قيل إن أول بدعة في الإسلام ترك البكور إلى الجمعة وإن الشياطين ينتشرون يوم الجمعة يثبطون عزائم المسلمين ، ويغرونهم بالاستمرار في البيع والشراء أو غيرها رجاء ضياع التبكير . . فاحذروا - أيها المؤمنون - كيد الشياطين وبادروا إلى المساجد مبكرين لتحظوا برضوان رب العالمين ، وقد جاء في الحديث الذى رواه على بن أبى طالب رضى الله عنه : « إذا كان يوم الجمعة خرجت الشياطين يُريئون الناس إلى أسواقهم . . » الحديث أى يؤخرون الناس ويغفونهم كى يتأخروا عن أدائها .

عن جابر رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال في خطبة له :

« النص في نهاية تفسير سورة الجمعة في كتاب الجامع لأحكام القرآن
« تفسير القرطبي » .

« يا أيُّها النَّاسُ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا ، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا ، وَصِلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ لَهُ ، وَكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ تُرْزَقُوا ، وَتُنْصَرُوا ، وَتُؤَجَّرُوا .

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمْ الْجُمُعَةَ فِي مَقَامِي هَذَا ، فِي شَهْرِي هَذَا ، فِي عَامِي هَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَمَنْ تَرَكَهَا فِي حَيَاتِي أَوْ بَعْدَ مَمَاتِي وَلَهُ إِمَامٌ عَادِلٌ أَوْ جَائِرٌ اسْتَخْفَافًا بِهَا ، أَوْ جُحُودًا لَهَا ، فَلَا جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ ، وَلَا بَارَكَ لَهُ فِي أَمْرِهِ ، أَلَا وَلَا صَلَاةَ لَهُ ، وَلَا زَكَاةَ لَهُ ، وَلَا حِجَّ لَهُ ، أَلَا وَلَا صَوْمَ لَهُ ، وَلَا بِرَّ لَهُ حَتَّى يَتُوبَ ، فَمَنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ .

أَلَا لَا تُؤْمِنُ امْرَأَةٌ رَجُلًا ، وَلَا يُؤْمِنُ أَعْرَابِيٌّ مُهَاجِرًا ، وَلَا يُؤْمِنُ فَاجِرٌ مُؤْمِنًا إِلَّا أَنْ يَقْهَرَهُ سُلْطَانٌ يَخَافُ سَيْفَهُ أَوْ سَوْطَهُ ، اسْتَعِينُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَى نَيْلِ مَا عِنْدَهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَحَافِظُوا عَلَى الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ لَعَلَّه يَرْحَمَكُمْ .

من آداب الجمعة

— خطبة أخرى في الجمعة :

أيها المؤمنون :

عن عبد الله بن بُسرٍ رضى الله عنهما قال : جاء رجلٌ يتخطى رقاب الناس يومَ الجمعة والنبي ﷺ يخطبُ فقال النبي ﷺ : «اجلس فقد أذيتَ وآذيتَ» أى تأخرتَ وأبطأتَ . .

والحديث الشريف يدلُّ على كراهة تحطّي الرقاب يوم الجمعة والنهى عن ذلك ، كما فيه النهى عن التأخير والإبطاء في الحضور للجمعة فينبغي للمؤمن أن يحرص على التبكير وأن يبتعد عن كل ما من شأنه يؤذى المصلين ويستثنى من ذلك الإمام ، أو من كان بين يديه فُرجة لا يصل إليها إلا بالتخطي ، ومن يريد الرجوع إلى موضعه الذى قام منه لضرورة .

وعن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من تحطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسراً إلى جهنم » .

فعلى الداخل إلى المسجد أن يجلس حيث انتهى به المجلس مكملًا الصفوف الناقصة شاغلاً الأماكن الخالية ، وليس له أن يتخطى رقاب الناس ، ولا يجلس في مؤخرة المسجد مع وجود تلك الأماكن الخالية حتى لا يعرض نفسه وغيره بتخطي الرقاب للعقاب الشديد ، وهو اتخاذه جسراً إلى جهنم . .

كما ينبغي للمؤمن أن ينصت للخطبة ويتدبر معانيها ويعي الموعظة ولا ينشغل عن الإنصات وليحذر الكلام والإمام يخطب .
فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة والإمام يخطب أنصت فقد لغوت . . » .

ومعنى لغوت : خِبتَ من الأجر . . وقيل : أخطأت ، وقيل بطلتُ فضيلةُ جُمعتك .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تكلَّم يومَ الجمعةِ والإمامُ يخطبُ فهو كَمَثَلِ الحمارِ يَحْمِلُ أسْفاراً ، والذي يقول له أَنْصِتْ ليس له جُمعةٌ » .

أى أن قلبه خالٍ من خشية الله وهو غافلٌ عن وعظِ الإمام ، وعن فائدةِ الجمعة لهذا شُبِّهَ بالحمارٍ يحملُ الكتبَ ولا يعي ما فيها .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يومُ الجمعةِ كانَ على كلِّ بابٍ من أبوابِ المسجدِ ملائكةٌ يكتُوبونَ الأوَّلَ فالأوَّلَ ، فإذا جَلَسَ الإمامُ طَوَّأوا الصُّحُفَ وجاءوا يستمعُونَ الذِّكْرَ » .

والذكر : خطبة الجمعة .

ما يستحب يوم الجمعة :

أيها المؤمنون :

وَيُسْتَحَبُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَغْتَسِلَ وَيَنْظِفَ بَدَنَهُ وَيَلْبَسَ أَحْسَنَ الثِّيَابِ وَيَتَطَيَّبَ بِالطِّيبِ وَيَتَنَظَّفَ بِالسَّوَاكِ وَنَحْوِهِ .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ هَذَا يَوْمٌ عِيدٌ جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَمَنْ جَاءَ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ طِيبٌ فَلْيَمْسَسْ مِنْهُ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَاكِ » .

ويُستحب كثرةُ الصلاة على النبي ﷺ في يوم الجمعة وليلته . . . وقد وردت الأحاديث في الحث على ذلك منها قوله ﷺ : « أَكْثَرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَتِهِ » .

كما يُستحب أن يحافظ المؤمن على قراءة سورة الكهف يوم الجمعة وليلته فإن من فعل ذلك أضاء الله قلبه بالطاعات وشرح صدره للعبادات، فعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: «. من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين».

فضل الجماعات :

إن حضور الجماعات فيه مرضاة الرب سبحانه وتعالى وفيه تأليف القلوب بالمحبة ويبعث على التواضع والمؤاخاة والتعاطف والترحام ، والجماعات مظهر لتأكيد الأخوة بين المؤمنين والمساواة بين المسلمين ، فهم يقفون صفوفاً بين يدي الخالق عز وجل في ذل وانكسار يرجون رحمته ، ويخشون عذابه ، ويذكرون موقفهم بين يديه سبحانه وتعالى حيث لا ينفع العبد إلا عمله الصالح ، فترتجف منهم القلوب ، ويعظم لديهم الرجاء فيتجهون بكل مشاعرهم إلى خالق الأرض والسماوات قائلين : ربنا اجعلنا ممن قلت فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ .

فياً أيها المؤمن : إن الرسول الحبيب ﷺ يريد منك أن تشغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح والصلاة على المصطفى ليلة الجمعة وبتلاوة القرآن وذكر الله وبأن تغتسل مبكراً وتشغل في ضحوتها بطاعة الله ، ثم تزيّن وتتنظف وتطيب ، ثم تسعى إلى الجمعة خاشعاً متواضعاً ناوياً للجلوس في المسجد ، وأن تصلي من النوافل ما شئت قبل خروج الإمام ، ويتحقق ذلك بالبكور ففضله عظيم ، كما يريد الرسول ﷺ منك أن لا تمر بين أيدي الناس ، ولا تتخطى رقابهم بل تسرع

فى الجلوس فى الصف الأول ثم الذى يليه وهكذا . . ثم تشتغل
بجواب المؤذن وتنصت إلى الخطبة ولا تشتغل بشئ ساعتهما .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ
قال: « مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَمَسَّ مِنْ طَيِّبٍ امْرَأَتِهِ إِنْ كَانَ لَهَا وَلِبَسَ
مِنْ صَالِحِ ثِيَابِهِ ثُمَّ لَمْ يَتَخَطَّ رِقَابَ النَّاسِ وَلَمْ يَلْغُ عِنْدَ الْمَوْعِظَةِ كَانَ كَفَّارَةً
لِمَا بَيْنَهُمَا وَمِنْ لَغَا وَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ كَانَتْ لَهُ ظُهُرًا » .

وعن حفصة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :
« عَلَى كُلِّ مُخْتَلَمٍ رَوَاحٌ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَعَلَى كُلِّ مَنْ رَاحَ إِلَى الْجُمُعَةِ
الْغُسْلُ » .

فاتقوا الله - عباد الله - وسلوه العون على طاعته وأكثروا من الدعاء
فى هذا اليوم المبارك ، وتوبوا إليه توبة نصوحا فإنه ثواب رحيم .

أُمُّ الْكِتَابِ

الحمدُ لله ربَّ العالمين . الرحمن الرحيم . أنعم علينا فهدانا وجعلنا مسلمين ، نحمده سبحانه ونستعينه ، ونستغفره ، ونتوبُ إليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن حبيبنا وهادينا محمداً رسولُ الله بعثه ربُّه رحمةً للعالمين لينقذَ الناسَ من الضلال ، ويهديهم إلى الصراطِ المستقيم حتى لا يكونوا من الضالين ، ولا من المغضوب عليهم .

اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ على حبيبك الأمين ، وعلى آله وأصحابه
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فيا أيها المؤمنون :

قال الله تعالى في الحديث القدسي :

« . . ابن آدم ، أنزلت عليك سبع آيات ، ثلاثٌ لي ، وثلاثٌ لك ،
وواحدةٌ بيني وبينك فبأما التي لي : ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ الرحمن
الرحيم ﴿مالك يوم الدين﴾ . . والتي بيني وبينك . ﴿إياك نعبد وإياك
نستعين﴾ . منك العبادة ، وعلى العون ، وأما التي لك : ﴿ . . اهدنا
الصراط المستقيم ﴾ صراط الذين أنعمت عليهم . غير المغضوب عليهم
ولا الضالين . . » .

يرشدنا الحديث القدسي إلى أن الله تعالى أنزل سبع آيات هي
فانحة الكتاب وثلاث منها مختصة بالله تعالى ، وأولها « الحمد لله رب
العالمين » والحمد على الحقيقة لا يكون إلا لله جل اسمه ، وتنزهت

صفاته ، لأن النعم منه سبحانه وتعالى وإليه وفى الحديث: « اللهم لك الحمد كله » وقال « أفضل الدعاء الحمد لله » وقد أجمع المسلمون على أن الله عز وجل محمود على عظيم فضله ، وجميع نعمه ، ومنها نعمة الإيمان التى هى أجل النعم .

وقد جاء فى الحديث الذى رواه أبو هريرة ، وأبو سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : « . . إذا قال العبد (الحمد لله) قال صدق عبدى . الحمد لى . . » .

أيها المؤمنون :

والحمد أفضل ما يُرزقه العبد المؤمن . .

فعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « . . لو أن الدنيا كلها بحذافيرها بيد رجل من أمتى ثم قال « الحمد لله » ، لكانت الحمد لله أفضل من ذلك » .

والمعنى أن المؤمن لو أعطى الدنيا ثم أعطى على أثرها هذه الكلمة حتى نطق بها حامداً ربه فإن هذه الكلمة تكون أفضل من الدنيا كلها ، لأن الدنيا فانية ، والكلمة باقية من الباقيات الصالحات . .

قال تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (١) . :

و﴿ الرحمن ﴾ اسم عام فى جميع أنواع الرحمة فهو سبحانه الغاطف على البر والفاجر من خلقه .

والثانية : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ . فهو سبحانه وتعالى الرحمن أى المنعم بجلال النعم ، والرحيم أى المنعم بدقائقها ، والرحيم إنما هى رحمته بالمؤمنين خاصة قال تعالى : ﴿ وكان بالمؤمنين رحيماً ﴾ .

وأكثر العلماء على أن الرحمن مختص بالله عز وجل ، لا يجوز أن يُسمى به غيره قال تعالى: ﴿ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ (١) . فعادل الاسم الذى لا يشركه فيه غيره .

سبحانه وتعالى ، جل شأنه هو رب العالمين أى مالكهم ، وهو سبحانه مدبر لخلقه ومربيهم : ﴿ . . . قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ (٢) . وهو سبحانه الرحمن الرحيم الذى إذا سُئِلَ أعطى وإذا لم يسأل غضب .

الله يغضب إن تركت سؤاله وبُنى آدم حين يُسأل يغضب الثالثة : « مالك يوم الدين » . أى مالك يوم الحساب والجزاء أى يوم يدين الله تعالى العباد بأعمالهم ، ويجازى كل شخص بما كسب . ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (٣) وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ » .

و«مالك يوم الدين» : لا يدعى به إلا الله تعالى وكذلك ملك يوم الدين ومالك الملك وملك الأملاك ومثلها شاهان شاه .. أما الوصف بمالك وملك فيجوز أن يُوصف بهما من اتصف بمفهوما قال الله العظيم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا . . . ﴾ (٤) .

فهذه الثلاث ﴿ . . . الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين ﴾ لله وحده . . . فالحمد لله وحده ، وهو مالك الملك

(٢) الشعراء : ٢٣ ، ٢٤ .

(٤) البقرة : ٢٤٧

(١) الإسراء : ١١٠ .

(٣) الزلزلة : ٨ ، ٧

ومربي الخلق والمنعم عليهم وهو الرحمن الرحيم وهو سبحانه مالك يوم الدين أى فى يوم القيامة لا يكون مالك ولا قاض ولا مجاز غيره سبحانه لا إله إلا هو .

فطوبى لمن يستعد للقاء ربه بالإيمان الصادق والعمل الصالح ، طوبى لمن دان نفسه وحاسبها وعمل لما بعد الموت .

أيها المؤمنون :

جاء فى الحديث : «التى بينى وبينك . . .» ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ . منك العبادة وعلى العون .

ومعنى (. . . إِيَّاكَ نَعْبُدُ) أى لا نعبد غيرك ، ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أى لا نستعين إلا بك . . فنحن نخصك ياربنا بالعبادة والاستعانة فكل عبادة لغيرك تكون إشراكا بك وأنت يا ربنا أغنى الأغنياء عن الشرك : ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ . . .﴾ (٢) والاستعانة لا تكون إلا بك جل اسمك وعظم سلطانك فمن استعان بغيرك أو أشرك معك سواك فقد كفرك وجحد نعمائك ، وضل عن سواء السبيل فممنك - ياربنا - العون ومنا لك العبادة أى غاية الدل مع غاية الخشوع ، وهذا معنى أن هذه الآية مشتركة بين الله تعالى وعبده .

وأما الآيات الثلاث الخاصة بالعباد فأولها ﴿.. اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ . أى أرشدنا ووفقنا إلى الدين الحق الواضح الذى لا اعوجاج فيه ولا انحراف ، وإلى الصراط السوى الذى هو دين الإسلام . . قال تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ (١) .

وقال القرطبي : اهْدِنَا دعاء ورغبة من المربوب إلى الرب ، والمعنى

دَلَّنَا عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَأَرْشِدُنَا إِلَيْهِ وَأَرِنَا طَرِيقَ هِدَايَتِكَ الْمَوْصِلَةَ
إِلَى أُنْسِكَ وَقُرْبِكَ .

وقال محمد بن الحنفية . . . ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ .
هو دينُ الله الذي لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعِبَادِ غَيْرَهُ

ومن ذلك قولُ الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ
وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ . (١) .

والثانية من الآيات الثلاث الخاصة بالعبد ﴿صراط الذين أنعمت
عليهم . . ﴾ أى صراط النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . .
قال تعالى . . . ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ
رَفِيقًا ﴾ (٢) .

والثالثة: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين . . ﴾ أى غير الذين
فسدت إرادتهم فعلموا الحقَّ ثُمَّ عدلوا عنه ، وغير الذين فقدوا العلمَ
فهم هائمون فى الضلالة لا يهتدون إلى الحقِّ ذلك أن النصارى فقدوا
علمَ الدين ، وأساسه التوحيد .

وورد أن المغضوبَ عليهم هم اليهود الذين قال الله فيهم : ﴿وَبَاءُوا
بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ (٣) . وقال ﴿. . . وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ (٤) . والضالين
النصارى الذين حَكَّم اللهُ عليهم بالضلال فقال . . . ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ (٥)

(٢) النساء : ٦٩ .

(٤) الفتح : ٦ .

(١) آل عمران : ٨٥ .

(٣) البقرة : ٦١ .

(٥) المائدة : ٧٧ .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ :

جاء من حديث رسول الله ﷺ قوله : « الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته .. » ومعنى كونها مثاني أنها لتثنى وتعاد في كل ركعة من الصلاة لفرضيتها فيها وقيل معناه أنها لا يثنى فيها على الله تعالى بما أمر .

وهي القرآن العظيم سُميت بذلك لتضمنها جميع علوم القرآن وذلك أنها تشتمل على الثناء على الله عز وجل بأوصاف كماله وجلاله وعلى الأمر بالعبادات والإخلاص فيها والاعتراف بالعجز عن القيام بشيء منها إلا بإعانتة تعالى وعلى الابتغال إليه في الهداية إلى الصراط المستقيم وكفاية أحوال الناكثين وعلى بيان عاقبة الجاحدين . .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني » .

فاتقوا الله وتوبوا إليه وسلوه العفو والعافية في الدنيا والآخرة .



للخطبة الثانية :

١ - عن أبي سعيد بن المعلى قال : كنت أصلي فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه حتى صليت وأتيت ، قال : ما منعك أن تأتيني ؟ قال : قلت يارسول الله إني كنت أصلي ، قال : ألم يقل الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ثم قال : لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد . قال :

فأخذ بيدي ، فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت : يا رسول الله إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة في القرآن ، قال : « نعم » ، الحمد لله رب العالمين ، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته » .

٢ - وفي الحديث القدسي ، يقول رب العزة : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدى ما سأل فإذا قال العبد : (الحمد لله رب العالمين) : قال الله حمدنى عبدي وإذا قال : (الرحمن الرحيم) قال : أننى على عبدي وإذا قال : (مالك يوم الدين) قال : مجلنى عبدي وإذا قال العبد : (إياك نعبد وإياك نستعين) قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدى ما سأل . فإذا قال : (اهدنا الصراط المستقيم ...) قال : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل .



الزكاة ركن الإسلام

قال الله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١) .

يأمر الله عز وجل بِأَخْذِ زَكَاةِ الْأَمْوَالِ مِنَ الْقَادِرِينَ لِإِنْفَاقِهَا فِي وَجْهِهِ اسْتِحْقَاقِهَا وَلِسُدِّ حَاجَةِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ إِذْ تَقُومُ الْحَيَاةُ فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ عَلَى أَسَاسٍ وَثِيقٍ مِنَ الْمَحَبَةِ وَالْإِخَاءِ وَالْمَسَاوَةِ وَالتَّكَافُلِ وَالتَّعَاطُفِ ، وَتِلْكَ مِيزَةُ تَحَقُّقِ الْخَيْرِ لِلنَّاسِ جَمِيعًا وَتَنْزَعُ مَا فِي الصَّدُورِ مِنْ أَحْقَادٍ وَضَغَائِنَ ، وَتَطْهَرُ النُّفُوسُ مِنَ الْبُخْلِ وَالشَّحِّ وَالْقَسْوَةِ وَتُزَكِّيهِمَا بِالْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ وَتَنْمِيهِمَا بِالرَّحْمَةِ وَالْبِرِّ وَنُورِ التَّوْفِيقِ وَالسَّدَادِ وَالرَّشَادِ : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ .

وَفِي الزَّكَاةِ وَالصَّدَقَةِ تَحْصِينٌ لِلْأَمْوَالِ ، وَصِيَانَةٌ لَهَا ، فَهِيَ سَبَبٌ لِنَمَاءِ الْمَالِ بِالْبَرَكَةِ فِي الدُّنْيَا ، وَيُضَاعَفُ اللَّهُ ثَوَابَهَا لِصَاحِبِهَا فِي الْآخِرَةِ .

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْحَسَنُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « حَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ ، وَدَاوُوا مَرَضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، وَاسْتَقْبِلُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالْإِعْثَارِ وَالتَّضَرُّعِ » .

وَالزَّكَاةُ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الدِّينِ ، وَقَاعِدَةٌ فِي بِنَائِهِ الْمَتِينِ ، فَرَضَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَوَضَّعَهَا السَّنَةُ النَّبَوِيَّةُ الْمُطَهَّرَةُ ، وَأَجْمَعَتْ عَلَى

فرضيتها الأمة ، ومنكر فرضية الزكاة كافر مرتد، لأنها معلومة من الدين بالضرورة ، ولم يخب لها نور في أى عصر من عصور الإسلام .

والله عز وجل يقول : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ (١) .

وفي الحديث الذى رواه ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له : « إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله تعالى ، فإذا عرفوا الله تعالى ، فأخبرهم أن الله تعالى فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم وتُرد على فقرائهم » .

وأكد الإسلام أن الزكاة حق الفقير في مال الغنى لا يجوز حبسه عنه ، ويحرم البخل به ، ويشند الوعيد على من يتهاون بأمر الزكاة وقد وجبت عليه ، والحق تبارك وتعالى يقول :

﴿ وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾ (٢) .

والحق المعلوم هو الزكاة التى بين الشرع قلرها وجنسها ووقتها وفى التحذير من منع الزكاة والتخويف من عواقب ذلك يروى أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة ، يقولون : ربنا ، ظلمونا حقوقنا التى فرضت لنا عليهم فيقول الله تعالى : وعزتي وجلالى لأقربنكم ولأبعدنهم ، ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾ .

وجاء فى الموطأ عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول : « من كان عنده مال لم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع - أى أفعى عظيمة السم - له زبيبتان يطلبه حتى يمكنه ، يقول له : أنا كنتك » .

(٢) الذاريات : ١٩ .

(١) المزمل : ٢٠ .

وقدروى هذا المعنى موفوعاً إلى النبي ﷺ .

وعن أبي هريرة - أيضاً - أن رسول الله ﷺ أنذر بأن المال الذى لا تؤدى زكاته سيكون وبالاً على صاحبه فى يوم لا ينفع فيه درهم ولا دينار ، ولا ذهب ولا فضة فيقول :

« ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها - أى زكاتها - إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له - أى هذه الأموال - صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبه ، وجبينه ، وظهره كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة : حتى يقضى بين العباد ، إما إلى الجنة وإما إلى النار » .

وأخبرنا النبي ﷺ أن الشح لا يتفق مع صدق الإيمان ، وصحة اليقين . فقال : « لا يجتمع الشح والإيمان فى قلب عبد أبداً » .

والله عز وجل يقول : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١)

فطوبى للأسخياء الذين لا يبخلون بما آتاهم الله من فضله ويرعون حقّ اليتيم والأرمل والمسكين ، ويحرصون على أداء الزكاة وإقامة هذا الركن الذى فرضه الله على عباده المؤمنين تحقيقاً للعدل الاجتماعى ، وامتحاناً للإيمان المسلم ، ولذا كان المؤدون زكاة أموالهم من الناجين المفلحين يوم يندم المفرطون ولنتدبر قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ (٢) .

إن المؤمن حقاً هو الذى يبادر إلى الخيرات ، ويسارع إلى الصالحات وينفق مما آتاه الله ، ولا يبخل بالزكاة المفروضة ، ولا يسوف ،

ولا يُغْفَل ، حتى لا يندم في ساعة لا ينفع فيها الندم ، ولا تُقبل توبة ، ولنسمع الله عز وجل يقول :

﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

وفي هذا دليل على وجوب تعجيل الزكاة ولا يجوز تأخيرها إذا تعين وقتها مثل سائر العبادات والذي يتهاون حتى يوافيه الموت فإنه يسأل الرجعة إلى الدنيا ليعمل صالحاً .

يقول ابن عباس رضي الله عنهما : « تصدَّقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت فلا تُقبل توبة ، ولا ينفع عمل ، ويقول : ما يمنع أحدكم إذا كان له مال أن يزكي ، وإذا أطاق الحج أن يحج من قبل أن يأتيه الموت فيسأل ربه الرجعة فلا يُعطاها » .

إن المرء لن ينفعه في حياته الأبدية إلا ما قدمه من عمل صالح وصدقة خالصة لوجه الله ، فما يؤخره المرء بعد موته إنما هو لورثته ، وما يقدمه في وجوه ابتغاء رضوان الله فهو لنفسه ، « يقول ابن آدم : مالي ، مالي ، وليس لك من مالي إلا ما أكلت فأفنيته ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت » ، فالصدقة الخالصة لوجه الله عز وجل هي الذخر الباقي الذي يدوم نفعه كما لفتنا الحبيب المصطفى ﷺ ، وذلك أن النفقة في سبيل الله سرّاً وعلانية هي التجارة التي لا تبور ولا تكسد ولا تخسر وإنما هي في ربح دائم : بركة في الدنيا : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (٢) . . ورحمة ونعيم في الآخرة . . ولنتدبر قول الحق تبارك وتعالى :

(٢) سبأ : ٣٩ .

(١) المنافقون : ١٠ ، ١١ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ * لِيُؤْغِيَهُمُ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (١) .

إن الزكاة ركن لا يتم إسلام المرء إلا به فمن أداها كان مسلماً حقاً ،
ومن تركها فقد هدم ركنًا من أركان الدين وهذا رسول الله ﷺ
يبين لبعض القبائل ما يجب عليهم بعد إسلامهم فكان مما قاله :
« إن تمام إسلامكم أن تؤدوا زكاة أموالكم » .

وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : « بايعتُ رسولَ الله ﷺ
على إقامِ الصلاة وإيتاءِ الزكاة والنُّضحِ لكلِّ مسلمٍ » .
فانقوا الله وأخرجوا زكاة أموالكم ، وتوبوا إلى الله واستغفروه
يعفركم .

شهر الخيرات والبركات

أما بعد :

فقد قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (١) .

أما المؤمنون :

الشهر هو شهر رمضان (٢) المبارك ، وقيل إنما سُمِّيَ رَمَضَانُ لأنه يَرْمَضُ الذُّنُوبَ أى يَحْرِقُهَا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، من الإِزْمَاضِ وهو الإِخْرَاقُ .

وهو شهر رحمة ونعمة فيه تليّن القلوب من حَرَارَةِ الموعظة ، وتتحجّج النفس إلى الفكر في أمر الآخرة والاستعداد لها ، وفيه تخفُّ وطأة الشهوات على النفس المؤمنة ، ويحفظُ النادمون من شرِّ الشيطان ونزغِه ، ويعظمُ الرجاءُ في عفو الله وجوده وبرِّه وكرمه ، وتُسكَبُ العِبرَاتُ لتغسلَ أدرانَ المعاصي والموبقات ، وترْفَعُ أكفُ الضراعة بالليل والنهار لتستقبلَ الرحمات .

يقول أبو هريرة رضى الله عنه ، قال رسول الله ﷺ : « أُنَاكُم رمضانُ شهرٌ مباركٌ ، فَرَضَ اللهُ عز وجل عليكم صِيَامَهُ ، تَفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ ، اللهُ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ » .

فما أعظمَ رحمةَ الله على عباده الصالحين في هذا الشهر الكريم ، وطوبى للتائبين العابدين الشاكرين الذين يشملهم فضلُ الله العظيم في

(١) البقرة : ١٨٥ .

(٢) ورمضان مأخوذ من رمض الصائم يرمض إذا احترق جوفه من شدة العطش ، والرمضاء : شدة الحر .

* في الأسبوع الأول من رمضان .

هذه الأيام والليالي المباركات وفي الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه : « إذا جاء رمضان فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ » .

فرض الله عز وجل صيامه على المكلفين فقال آمراً بذلك : ﴿ قَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ .

أى من كان مقيماً عند دخول الشهر من المسلمين البالغين العقلاء الأصحاء وجبَ في حقِّه الصومُ ، وفي الحديث الذى رواه عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله تعالى فرضَ صيامَ رمضانَ - عليكم - وسَنَنْتُ لَكُمْ قِيَامَهُ فَمَنْ صَامَهُ وَقَامَهُ إِمَانًا وَاحْتِسَابًا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » .

والصومُ في الشرع هو الإمساكُ عن المفطرات مع اقترانِ النية به من طلوع الفجر إلى غروبِ الشمسِ ، وتَمَامُهُ وَكَمَالُهُ باجتنابِ المخطوراتِ وعدمِ الوقوعِ في المُحَرَّمَاتِ لقوله ﷺ : « مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزَّوْرِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجَلِهِ » .

فليس غايةُ صومِنَا أَنْ نُمْسِكَ عن الطعامِ والشرابِ ونحوهما من المفطرات ، وإنما أَنْ يَكُونَ الصَّائِمُ مُرَاقِبًا رَبَّهُ ، مُتَّقِيًا غَضَبَهُ ، رَاجِيًا رَحْمَتَهُ وَعَقْوَهُ ، لَذَا يَكْفُ جَوَارِحَهُ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ وَيُمْسِكُ لِسَانَهُ عَنْ فَضُولِ الْكَلَامِ وَحَرَامِهِ ، فَلَا يَشْهَدُ زُورًا ، وَلَا يَكْذِبُ ، وَلَا يَشْتُمُ أَحَدًا ، وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِخَيْرٍ ، وفي الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « الصَّيَّامُ جُنَّةٌ ، فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ (١) فَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ : إِنِّى صَائِمٌ » .

(١) يجهل : يسفه ويستطيل على الناس .

والرَّفْتُ هو الفحشُ في القول ، والجهلُ هو السفهُ والاستطالةُ على الناس ، وَحَثَّ الرسولُ ﷺ المؤمنين الصائمين على التَّحَلِّي بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وعدمِ مجاوزةِ حَدِّ الْأَدَبِ بالتعدِّي على الناسِ بالفعلِ أو بالقولِ ، بل يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَقَابِلُوا الْإِسَاءَةَ بِالتَّجَاوُزِ وَالصَّفْحِ وَلِيَقْلُ الصَّائِمُ حِينَئِذٍ : إِنِّي صَائِمٌ إِنِّي صَائِمٌ لِيُذَكَّرَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ صَائِمٌ فَلَا يَخْوَضُ مَعَ السَّفِيهِ ، وَلَا يَكَاِفِيهِ عَلَى شَتَمِهِ ، لِثَلَا يَفْسُدَ صَوْمُهُ وَيَحْبِطَ أَجْرُ عَمَلِهِ .

فعلى المسلم إذا أَرَادَ أَنْ يَجْنِيَ أَعْظَمَ الثمرات في هذا الشهر المبارك ، ويخرج منه بَغْنِيمَةً هِيَ أَعْظَمُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنْ مَتَاعٍ وَزِينَةٍ ، عَلَيْهِ أَنْ يَدَومَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَأَنْ يَجْتَنِبَ كُلَّ مَا يُغْضِبُ اللَّهَ ، وَأَنْ يَغْضُ بَصَرَهُ عَنِ الْحَرَامِ ، وَأَنْ يُلْهَجَ لِسَانُهُ بِذِكْرِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ ، وَأَنْ يُكْثِرَ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَسَمَاعِهِ وَتَدْبِيرِ آيَاتِهِ وَمَعَانِيهِ وَأَنْ يَغْشَى 'مَجَالِسَ الْعِلْمِ' ، وَأَنْ يَجَالِسَ الْأَتْقِيَاءَ الْحُلَمَاءَ ، وَيَبْتَغِدَ عَنْ أَهْلِ اللَّهِ وَالطَّيِّبِينَ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ .

وعلى المسلم في شهرِ الصَّوْمِ الْمُبَارَكِ أَنْ يَبْرَّ أَهْلَهُ ، وَأَنْ يَصِلَ رَحِمَتَهُ ، وَأَنْ يُصَافِيَ مَنْ عَادَاهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْ يَصَالِحَ مَنْ خَاصَمَهُ ، وَأَنْ يَتَجَبَّبَ إِلَى أَهْلِ الْفَقْرِ وَالْمَسْكِنَةِ بِمَوَاسَاتِهِمْ وَإِظْهَارِ الْمَوَدَّةِ لَهُمْ ، وَتَقْدِيمِ الْعَوْنِ لَهُمْ ، وَبِذَلِكَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وَطُوبَى لِلْمُؤْمِنِ إِذَا حَرَصَ عَلَى آدَاءِ الصَّلَوَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا وَشَهِدَ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَاتِ ، وَلَمْ تَفْتَهُ لَيْلَةٌ دُونَ أَنْ يَقْدِمَ خَيْرًا لِنَفْسِهِ مِنْ صَلَاةٍ وَصَدَقَةٍ وَذِكْرٍ وَسَائِرِ الْقُرْبَاتِ ، فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ يَضَاعَفُ ثَوَابُهُ ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ : « جَعَلَ اللَّهُ صِيَامَهُ فَرِيضَةً ، وَقِيَامَ لَيْلِهِ

تَطَوُّعًا ، من تَقَرَّبَ فيه بِخَصْلَةٍ من الخَيْرِ كان كَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فيما سِوَاهُ ، ومن أَدَّى فَرِيضَةً فيه كان كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فيما سِوَاهُ . . »
فَطَوَّبَ لِمَنْ كَسَا عَارِيَا ، وَفَطَّرَ صَائِمًا ، وَسَعَى بِالْخَيْرِ وَالْبِرِّ ، وَجَعَلَ عَمَلَهُ لِلَّهِ خَالِصًا ، وَطَوَّبَ لِمَنْ يَحَافِظُ عَلَى فَضَائِلِ الصَّوْمِ وَأَدَابِهِ لِيَحْظِيَ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلصَّائِمِينَ مِنَ الثَّوَابِ وَالْمَنْزِلَةِ ، يَقُولُ الْهَادِي الْحَبِيبُ ﷺ
مَخْبِرًا عَنْ رَبِّهِ : « يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمُ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزَى بِهِ » الْحَدِيثُ .

وإنما خَصَّ الصَّوْمَ بِأَنَّهُ لَهُ وَإِنْ كَانَتْ الْعِبَادَاتُ كُلُّهَا لَهُ لِأَمْرَيْنِ بَيِّنَ الصَّوْمُ بَيْنَهُمَا سَائِرَ الْعِبَادَاتِ ، أَحَدُهُمَا : أَنَّ الصَّوْمَ يَمْنَعُ مِنْ مَلَأِذِ النَّفْسِ وَشَهَوَاتِهَا مَا لَا يَمْنَعُ مِنْهُ سَائِرُ الْعِبَادَاتِ . الثَّانِي : أَنَّ الصَّوْمَ سِرٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ لَا يَظْهَرُ إِلَّا لَهُ ، فَلِذَاكَ صَارَ مَخْتَصًّا بِهِ وَمَا سِوَاهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ ظَاهِرٌ رُبَّمَا فَعَلَهُ تَصَنُّعًا وَرِيَاءً فَلِهَذَا صَارَ أَخَصَّ بِالصَّوْمِ مِنْ غَيْرِهِ .

يَا أَتْبَاعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ :

إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ الْمُبَارَكَ عَظِيمُ الْخَيْرِ ، وَالْمَوْفُقُ هُوَ الَّذِي يَحْرُصُ عَلَى الْإِسْتِزَادَةِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ فِيهِ ، وَلِهَذَا يُنَبِّهُ الْمُصْطَفَى ﷺ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى ذَلِكَ فَيَقُولُ : « لَوْ عَلِمْتُ أُمَّتِي مَا فِي رَمَضَانَ مِنَ الْخَيْرِ لَتَمَنَّتْ أَنْ يَكُونَ رَمَضَانُ السَّنَةَ كُلَّهَا » .

وإن أفدَحَ الْخَسَارَةِ أَنْ يُفْطِرَ الْمُسْلِمُ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ عَامِدًا بِلَا عُذْرٍ ، وَفِي هَذَا يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ :

« مَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ رُخْصَةٍ وَلَا مَرَضٍ لَمْ يَعِزُّهُ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ » .

فَلْيَتَّقِ اللَّهُ الْمُسْلِمُ فِي صِيَامِهِ فَإِنَّ الْعِبَادَةَ أَمَانَةٌ ، وَاللَّهُ رَقِيبٌ عَلَى عِبَادِهِ وَمَحَاسِبُهُمْ وَمَجَازِيهِمْ .

وليحذر المؤمن أن يكون ممن قال فيهم رسول الله ﷺ :
 « كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش » وهؤلاء هم الذين لا
 يراقبون الله ، ولا يتورعون عما حرم الله ، ولا يحفظون ألسنتهم بل
 يطلقونها بفحش القول وسيء الكلام ، ولا يتزينون بالفضائل التي
 يحبها الله .

كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال : « اللهم أهله علينا بالآمن
 والإيمان والسلام والإسلام ربّي وربك الله تعالى » وكان إذا نظر إلى الهلال
 قال : « اللهم اجعله هلالاً يمنياً ورشداً ، وآمنتُ بالله الذي خلقك فعذلك ،
 فتبارك الله أحسن الخالقين » .

فطوبى لمن صام رمضان إيماناً واحتساباً ، وأمسك لسانه عن لغو
 الكلام وباطله ، وحافظ على الصلوات في أوقاتها ، وأقبل على ذكر
 الله وشكره .

واتقوا الله - عباد الله - وتوبوا إليه ، إنه تواب غفور رحيم .

السَّنَنُ الرَّوَائِبُ

قال الله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾ (١) .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « مَنْ ثَابَرَ عَلَى ثِنْتِي عَشْرَةَ رَكْعَةً مِنَ السُّنَّةِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ : أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ ، وَرَكَعَتَيْنِ بَعْدَهَا ، وَرَكَعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرَبِ ، وَرَكَعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ ، وَرَكَعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ » .

فرض الله عز وجل على المؤمنين خمسَ صلوات في اليوم والليلة ، وأمرهم بالمحافظة عليها ، وعدم التهاون بشأنها ، وأحبُّ عملٍ يتقرب به العبد المؤمن إلى ربه هو أداء فرائضه ، وفي الحديث القدسي : « وما تقربَ إليَّ عَبْدِي بشيءٍ أَحَبَّ إليَّ مما افترضت عليه » وللتقرب في مدارج الخير والفلاح والصلاح شرع الله لعباده النوافل والسُنَنَ ، وأوحى بها إلى نبيه ﷺ ، والنافلة تكون من جنس فريضة ، وفي الحديث القدسي : « وما يزال عَبْدِي يتقربُ إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّهُ » .

والنوافلُ مجالٌ عظيمٌ للخير ، وفيه يتنافس المتنافسون ، وتتفاوت منازل الصالحين ، وأعلى المقامات بين الناس هو مقامُ النبوة ، وكان النبيُّ ﷺ اهْدَى أَصْبَرَ النَّاسِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَأَشْدَّاهُمْ خَوْفًا ، وَأَعْظَمَهُمْ إِخْلَاصًا وَمَحَبَّةً ، حَتَّى لَقَدْ كَانَتْ قَدَمَاهُ تَتَوَرَّمَانِ مِنْ طَوْلِ الْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ فَيُسْأَلُ عَنْ ذَلِكَ إِشْفَاقًا عَلَيْهِ فَيَقُولُ : « أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا »

وكان من سُنَنِهِ ﷺ المداومةُ على ثِنْتِي عَشْرَةَ رَكْعَةً موزعة قبل الفرائض وبعدها في اليوم والليلة ، وكانت تزيد على هذا أحيانًا

على النحو الذى بينه بعض أزواجه عليه السلام وبعض الصحابة رضوان الله عليهم ، والرسول صلى الله عليه وسلم هو قدوتنا فى طريق الخير والهدى والنور ، وينبغى للمؤمنين أن يحرصوا دوماً على الاقتداء بالحبيب الهادى صلى الله عليه وسلم ، وأن يعضوا على سنته بالنواجذ ، وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يثابر على الصلاة قبل الظهر وبعده ، وبعد المغرب ، وبعد العشاء ، وقبل الصبح ، كما ثبت أيضاً أنه كان يصلى قبل صلاة العصر ، وبعض هذه السنن كان يصليها عليه السلام ثنتين أو أربعاً أو ستاً .

وقد سأل عبد الله بن شفيق رحمه الله أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن تطوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : « كان صلى الله عليه وسلم يصلى فى بيته قبل الظهر أربعاً ، ثم يخرج فيصلى بالناس ، ثم يدخل فيصلى ركعتين ، وكان يصلى بالناس المغرب ثم يدخل فيصلى ركعتين ، ويصلى بالناس العشاء ويدخل فيصلى ركعتين ، وكان يصلى من الليل تسع ركعات فيهنّ الوتر . . ثم قالت : وكان إذا طلع الفجر صلى ركعتين ثم يخرج فيصلى بالناس صلاة الفجر » .

وعن على رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى فى إثر كل صلاة مكتوبة ركعتين إلا الفجر والعصر .

إن المشاورة على أداء هذه السنن الرواتب ثوابها عظيم ، لأن فيها تقرباً إلى الله عز وجل ، واقتداءً بنبيه الهادى صلى الله عليه وسلم . ولنتدبر ما يقوله النبى صلى الله عليه وسلم فى ركعتى الفجر : « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » ويقول عنهما : « لهما أحبُّ إلى من الدنيا جميعاً » وفى حثّ المؤمنين على الحرص عليهما يقول : « لا تدعوهما ولو طردتكم الخيل » .

وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَالْمُؤَذِّنُ يَقِيمُ لَصَلَاةِ الصُّبْحِ أَوْ وَجَدَ الْجَمَاعَةَ قَائِمَةً
وَلَمْ يَكُنْ صَلَّى رَكَعَتَيِ الْفَجْرِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَصَلِّيَهُمَا بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ
وَارْتِفَاعِهَا فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: «مَنْ لَمْ يُصَلِّ رَكَعَتَيِ الْفَجْرِ فَلْيَصَلِّهُمَا
بَعْدَ مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ» .

وَتَبَيَّنَ لَدَى مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ فَاتَتْهُ رَكَعَتَا الْفَجْرِ
فَقَضَاهُمَا بَعْدَ أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ .

وَرَوَى أَيْضًا أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمْ يَنْهَ مَنْ صَلَّاهُمَا بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ
وَقَبْلَ الشُّرُوقِ ، فَقَدْ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيُّ عَنْ قَيْسِ بْنِ عَمْرِو
وَقَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ ، فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الصُّبْحَ ،
ثُمَّ انصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَجَدَنِي أُصَلِّي ، فَقَالَ : «مَهْلًا يَا قَيْسُ ، أَصَلَاتَانِ
مَعًا ؟ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ لَمْ أَكُنْ رَكَعَتِ رَكَعَتَيِ الْفَجْرِ ، فَقَالَ :
فَلَا إِذْنَ» .

أَمَّا الرَّاتِبَةُ قَبْلَ الظُّهْرِ فَقَدْ صَلَّاهَا النَّبِيُّ ﷺ ثَلَاثِينَ كَمَا صَلَّاهَا
أَرْبَعًا ، وَكَذَلِكَ كَانَ يَفْعَلُ فِي الرَّاتِبَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ ، وَرَغِبَ ﷺ فِي صَلَاتِهَا
أَرْبَعًا ، فِي حَدِيثٍ أَمَّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :
«مَنْ صَلَّى قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا ، وَبَعْدَهَا أَرْبَعًا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ» .

وَفِي رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَصَلِّي
أَرْبَعًا بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ صَلَاةِ الظُّهْرِ ، وَقَالَ :
«إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَأَحَبُّ أَنْ يَصْعَدَ لِي فِيهَا عَمَلٌ
صَالِحٌ» .

أَمَّا قَبْلَ فَرِيضَةِ الْعَصْرِ فَقَدْ جَاءَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ
قَبْلَهَا كَمَا أَنَّهُ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بِتَسْلِيمَتَيْنِ ، يَقُولُ ابْنُ عُمَرَ قَالَ

رسول الله ﷺ : « رحم الله امرأً صلى قبل العصر أربعاً » ويقول على رضى الله عنه : « كان رسول الله ﷺ يصلى قبل العصر أربع ركعاتٍ يفصل بينهما بالتسليم على الملائكة المقربين ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين » .

وجاء الترغيب في التعجيل بصلاة ركعتين بعد صلاة المغرب ، وقال ابن عمر رضى الله عنه : « صليتُ مع النبي ﷺ ركعتين بعد المغرب في بيته » .

أما النافلة بعد الغروب وقبل الإقامة لصلاة المغرب فقد بين النبي ﷺ أنها « لَمَنْ شَاءَ » ولم يَنْهَ عنها من رآهم يصلونها في مسجده حين خرج إليهم لصلاة المغرب .

أما راتبة بعد العشاء فمؤكدّة ، وقد ورد أنها ثنتان ، كما ورد أنه ﷺ صلاها أربعاً وستاً ، قالت عائشة رضى الله عنها في جواب سؤال : « ما صلى العشاء قط فدخل بيتي إلا صلى أربع ركعاتٍ أو ست ركعات » .

أما عن الراتبة بعد صلاة الجمعة فقد جاء عن ابن عمر رضى الله عنه : « وكان لا يصلى بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين في بيته » .

كما جاء الترغيب في صلاة أربع ركعات بعد الجمعة في الحديث : « مَنْ كَانَ مُصَلِّياً بَعْدَ الْجُمُعَةِ فَلْيَصِلْ أَرْبَعاً » . . وَمَنْ صَلَّى النَّافِلَةَ فِي الْمَسْجِدِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ فَلْيَفْصِلْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْفَرِيضَةِ بِذِكْرِ وَنَحْوِهِ ، وَلْيَغَيِّرْ مَوْضِعَهُ وَكَذَلِكَ يَفْصِلُ بَيْنَ الْفَرِيضَةِ وَالتَّطَوُّعِ بِمَقْدَارِ خَتَمِ الصَّلَاةِ وَنَحْوِهِ .

وصلاة الوتر يحبها الله عز وجل ، وثابر عليها النبي ﷺ والسلف

الصالح وفي الحديث : « إن الله وتر يحب الوتر فأوتروا يا أهل القرآن »
وقال عليه السلام : « اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا » .
أما عدد ركعات الوتر فهي واحدة أو ثلاث أو خمس أو سبع
أو تسع .

وقد جاء من حديث أم مسلمة رضى الله عنها : كان النبي ﷺ
يوسر بسبع أو خمس لا يفصل بينهن بتسليم « وكان ﷺ يقول بعد
التسليم من الوتر : « سبحان الملك القدوس » ثلاثًا .

وقال خارجة بن حذافة : خرج علينا رسول الله ﷺ يومًا فقال :
« قد أمدكم الله بصلاة هي خير لكم من حُمُرِ النعم وهي الوتر ،
فجعلها فيما بين العشاء الآخرة إلى طلوع الفجر » وفي الحديث : « من نام
عن وتره فليصل إذا أصبح » .

ومن فضل التطوع أنه يجبر ما عسى أن يكون قد وقع في الفرائض
من نقص .

فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن أول ما
يُحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة ، بقول ربنا ملائكتيه ،
وهو أعلم : انظروا في صلاة عبدٍ أتمها أم نقصها ؟ فإن كانت تامة
كُتبت له تامة ، وإن انتقص منها شيئًا ، قال : انظروا هل لعبدي
من تطوع ؟ فإن كان له تطوع ، قال : أتموا لعبدي فريضته من
تطوعه ، ثم دُؤِخذُ الأعمال على ذلك » .

وفي الحديث : « من صلى ركعتين مقبلًا على الله يقبله خراج من
ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

فاستكثروا من الخيرات - أيها المؤمنون - وسابقوا إلى مغفرة من
ربكم ، واتقوا الله ، وتوبوا إليه .

فرض على المستطيع

أما بعد :

فقد قال الله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (١) .

أيها المؤمنون :

الحجُّ أحدُ أركانِ الإسلام . ثَبَّتَ فرضيته بالكتابِ والسُّنةِ وإجماعِ الأمةِ ، فلو أنكر فرضيته إنسانٌ حُكِمَ بكُفْرِهِ وارتداده عن الإسلامِ ، لأنَّه من الفرائض التي عُلِمَتْ من الدين بالضرورة .

ودليلُ فرضيته من الكتابِ قولُ الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ .

ومن أدلةِ الفرضية في السنة قول أبي هريرة رضي الله عنه :

« خطبنا رسول الله ﷺ فقال : يا أيُّها الناسُ قد فُرِضَ عليكم الحجُّ فحُجُّوا » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: « الْحَجُّ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً ؟ » فَقَالَ : بَلْ مَرَّةً وَاحِدَةً . فَمَنْ زَادَ فَتَطَوُّعٌ » .

والحجُّ فَرَضٌ عَلَى الْمُكَلَّفِ الْمُسْتَطِيعِ وَهُوَ الْإِنْسَانُ الْمُسْلِمُ الْبَالِغُ الْعَاقِلُ الْحُرُّ الْقَادِرُ بِالْمَالِ وَالْبَدَنِ وَلَيْسَ لَهُ مَوَانِعُ شَرْعِيَّةٌ ، لَا تَتَحَقَّقُ مَعَهَا الْإِسْطَاعَةُ . أَمَّا الْقُدْرَةُ بِالْمَالِ فَهِيَ أَنْ يَكُونَ مَالِكًا نَفَقَاتِ السَّفَرِ وَالْإِقَامَةِ عَلَى حَسَبِ ظُرُوفِ زَمَانِهِ زَائِدًا عَنْ نَفَقَاتِ مَنْ تَجِبُ عَلَيْهِ نَفَقَتُهُمْ شَرْعًا طَوَالَ مَدَّةٍ غَيْبَتِهِ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِمْ إِذْ نَهَى الرَّسُولُ ﷺ عَنْ تَضْيِيعِ الْمَرْءِ مَنْ يَعُولُهُمْ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ » .

ولا يلزمُ الْمُعْسِرَ أَنْ يَسْتَدِينَ لِحُجَّتِهِ أَوْ عُمْرَتِهِ كَمَا لَا يَلْزُمُهُ أَنْ يَقْبَلَ
الْمَالَ الْمَوْهُوبَ لَهُ لِذَلِكَ ، فَإِذَا اسْتَدَانَ الْمُسْلِمُ أَوْ قَبِلَ مَالًا مَوْهُوبًا لَهُ
وَحَجَّ فَحُجَّتُهُ صَحِيحٌ .

وَأَمَّا الْإِسْطَاعَةُ بِالْبَدَنِ فَهِيَ أَنْ يَكُونَ الْمَكْلَفُ سَلِيمَ الْجِسْمِ ،
صَحِيحَ الْبَدَنِ خَالِيًا مِنَ الْأَمْرَاضِ الْمُعِيقَةِ عَنِ الْحَرَكَةِ وَتَحْمِلِ مَشَاقِّ
الرُّكُوبِ وَالْإِنْتِقَالِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، فَمَنْ كَانَتْ بِهِ زَمَانَةٌ أَوْ مَرَضٌ
لَا يُرْجَى شِفَاؤُهُ ، أَوْ تَقَدَّمَتْ بِهِ السِّنُّ فَلَمْ يَعُدْ يَقْوَى عَلَى الرَّحَلَةِ فَكُلُّ
مُؤَلَّاهُ لَا يَتَحَقَّقُ فِيهِمْ شُرُوطُ الْإِسْطَاعَةِ .

وَقَدْ يَتَحَقَّقُ لِلْإِنْسَانِ شُرُوطُ الْإِسْطَاعَةِ بِالْمَالِ وَالْقُدْرَةِ الْبَدَنِيَّةِ وَلَكِنْ تُقَابِلُهُ
عَوَارِضٌ تَمْنَعُ اسْتَطَاعَتَهُ وَذَلِكَ مِثْلُ : أَنْ يَكُونَ شَخْصٌ مَحْبُوسًا ، أَوْ خَافَ
عَلَى نَفْسِهِ مِنْ وَبَاءٍ فِي طَرِيقِهِ أَوْ عَلِمَ أَنَّ الطَّرِيقَ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ وَيَخْشَى
عَلَى نَفْسِهِ أَوْ عَلَى مَالِهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ ، وَيَنْبَغِي لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَسَافَرَ مَعَ مُحْرَمٍ
كَالْأَبِ وَنَحْوِهِ أَوْ مَعَ زَوْجِهَا أَوْ مَعَ نِسْوَةٍ ثِقَاتٍ مَأْمُونَاتٍ ، فَإِذَا تَحَقَّقَتْ
شُرُوطُ الْإِسْطَاعَةِ وَجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِ - رَجُلٌ كَانَ أَوْ امْرَأَةً - أَنْ يُبَادَرَ
إِلَى آدَاءِ الْحَجِّ ، وَسَلَى هَذَا حَثُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ » .

وإِذَا كَانَ الْمُسْلِمُ مُسْتَطِيعًا بِمَالِهِ وَلَكِنَّهُ عَاجِزٌ بِبَدَنِهِ لَزِمَهُ أَنْ يُنِيبَ
شَخْصًا يَحُجُّ عَنْهُ وَيُعْطِيَهُ نَفَقَاتِهِ لِسَفَرِهِ وَإِقَامَتِهِ حَتَّى يَعُودَ ، وَالْأَصْلُ
فِي ذَلِكَ مَا رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ امْرَأَةً مِنْ خَثْعَمٍ جَاءَتْ
لِلنَّبِيِّ ﷺ تَسْتَفْتِيهِ ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ
فِي الْحَجِّ أَدْرَكْتُ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَثْبُتَ عَلَى الرَّاحِلَةِ
أَفَأَحُجُّ عَنْهُ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » . وَكَانَ ذَلِكَ فِي حُجَّةِ الْوَدَاعِ ، وَقَدْ رَوَى هَذَا
الْحَدِيثَ أَيْضًا عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وفى هذا الحديث دليلٌ على أن المرأة يجوزُ أن تحجَّ بالنيابة عن الرجلٍ سواء كان حياً عاجزاً ببدنه أو كان ميتاً، كما يصحُّ للرجل أن يحجَّ عن المرأة كذلك .
أيها المؤمنون :

ويجوز الحجُّ عن الميت أوصى بذلك أو لم يُوصَ سواء كانت النيابة عن حجة الإسلام أو عن نذره الذى لم يَفِّ به حتى مات ، فعن ابنِ عباسٍ رضى الله عنهما قال : سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رجلاً يقول : لَبَّيْكَ عن شبرمة ؟ . قال : « وَمَنْ شُبرمةُ ؟ » . قال : أخٌ لى أو قريبٌ لى - والشكُّ من الراوى - . فقال : « أَحَجَجْتَ عن نفسك ؟ » . قال : لا . قال : « فَحُجَّ عن نفسك ثُمَّ حُجَّ عن شُبرمة » .

وفى هذا الحديث إشارة إلى أن مَنْ يريد الحجَّ عن غيره ينبغي له أن يكونَ قد أدى الفريضةَ عن نفسه ، وبهذا تمسك كثيرٌ من أهل العلم . وفى الحجِّ عَمَّنْ نَذَرَ أن يحجَّ ولم يتمكنْ من الوفاء بنذره حتى مات ، جاء حديثُ ابنِ عباسٍ رضى الله عنهما قال : أتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ ، فقال : إن أُخْتِي نَذَرَتْ أن تحجَّ ولإنها ماتت ؟ فقال ﷺ : « لو كان عَلَيْهَا دَيْنٌ أَكُنْتُ قَاضِيَهُ عَنْهَا ؟ » . قال : نعم . قال : « فاقضِ الله تعالى فهو أَحَقُّ بالقضاء » .

وهذا من بابِ إيصالِ البرِّ والخيرات للأموالِ أن يحجَّ المسلمُ عن الميتِ بَرّاً به ووفاءً له خصوصاً الحجَّ عن الأبوين أو أحدهما حِرْصاً على إيصالِ الثوابِ والخيرِ إليهما .

قالَ بعضُ أهلِ العلمِ : جاءت الرخصةُ فى الحجِّ عن الكبير الذى لا مُنْهَضَ له ولم يحجَّ ، وعَمَّنْ مات ولم يحجَّ أن يحجَّ عنه ولله وإن لم يوصَ به ويُجْزئهُ إن شاء الله تعالى .

إن المسلمَ المكلفَ المستطيعَ ينبغي له أن يودى حجة الإسلام ولا يُسَوِّفَ

فإنه لا يدرى ما يأتى به الغد، والحج فريضة من فرائض الإسلام وأحب الأعمال إلى الله أن يتقرب العبد إلى ربه بأداء ما افترضه عليه .

وقد جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما ويرفعه بعضهم قوله : « مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مَالٌ يَبْلُغُهُ الْحَجُّ فَلَمْ يَحِجَّ ، أَوْ عِنْدَهُ مَالٌ تَحِلُّ فِيهِ الزَّكَاةُ فَلَمْ يُزَكِّهِ سَأَلَ عِنْدَ الْمَوْتِ الرَّجْعَةَ فَقِيلَ : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، إِنَّا كُنَّا نَرَى هَذَا لِلْكَافِرِينَ . فَقَالَ : أَنَا أَقْرَأُ عَلَيْكُمْ قِرَآنًا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ * وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١) .

وروى في التحذير من التهاون بشأن الحج لمن كان مستطيعاً أن رسول الله ﷺ قال في خطبته كما روى على بن أبي طالب رضى الله عنه : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ الْحَجَّ عَلَى مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيَمُتْ عَلَى أَىِّ حَالٍ شَاءَ إِنْ شَاءَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا أَوْ مَجُوسِيًّا إِلَّا أَنْ يَكُونَ بِهِ عُذْرٌ مِنْ مَرَضٍ أَوْ سُلْطَانٍ جَائِرٍ لَا نَصِيبَ لَهُ فِي شِفَاعَتِي وَلَا وَرْدٍ حَوْضِي » .

ولهذا فإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال فيما يرويه قتادة عن الحسن : « نَسَدَ سَمَمْتُ أَنْ أَبْعَثَ رَجَالًا إِلَى الْأَمْصَارِ فَيَنْظُرُوا إِلَى مَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ وَلَمْ يَحِجَّ فَيَضْرِبُوا عَلَيْهِ الْجَزِيَّةَ » .
فطوبى للمؤمن الذى يؤدى فرائض الله بإخلاص ويتبع سنة نبيه ﷺ ، ويبادر لأداء حجة الإسلام عند الاستطاعة ، مبتغياً وجه الله .

واتقوا الله - عباد الله - وسلوه العون على طاعته ، وأخلصوا العبادة لله ، وتوبوا إليه فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

بيوت الله

أما بعد : فيا أيها المؤمنون :

عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان » . قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (١) .

أى أن الرجل الذى يتعلق قلبه بالمسجد ، ويحرص على الذهاب إليه ، وعلى أن يواظب على أداء الفرائض مع الإمام فإن الشهادة له بالإيمان جائزة ، لأن الله عز وجل جعل عمارة المسجد من أمارات الإيمان وصدق اليقين ، فقال عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (٢) .

وقد أخبر الهادى الحبيب ﷺ أن من السبعة الذين يظلمهم الله فى ظل رحمته يوم تدنو الشمس من الخلائق رجلا قلبه معلق بالمساجد . وقال بعض السلف : إذا رأيتم الرجل يعمر المسجد فحسنوا الظن به . المساجد بيوت الله عز وجل ، فيها يُعبد ، وفيها يذكر ، وهى منارات الهدى وأعلام الدين ، شرفها الله عز وجل وعظمها بإضافتها إليه : فقال عز وجل : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (٣) أى توجهوا إليه وحده بالعبادة والدعاء واحذروا الشرك بسؤال غيره ، وإنما تُبنى المساجد للصلاة ، وذكر الله عز وجل ، وقراءة القرآن ، والتقرب إلى المولى ، والذل بين يديه والرغبة فيما عنده من الثواب والخشية من غضبه .

(١) التوبة : ١٨ . (٢) التوبة : ١٨ . (٣) الجن : ١٨ .

إن عمارة المساجد من أعظم القربات إلى الله عز وجل ، وعمارته بناها وتنظيفها ، وفرشها ، وإنارتها ، وإمدادها بالماء الطاهرة للتيسير على المؤمنين ، كما تكون عمارتها بالاعتكاف فيها ، والصلاة وكثرة التردد عليها لإقامة الجماعات .

وإن زائر المسجد يكون في رعاية الله ورحمته ما دام جالساً فيه مراعيًا آداب الجلوس ، مُنصرفاً بقلبه إلى الله . وقد جاء في الحديث القدسي : إن المؤمن إذا مشى إلى المسجد قال الله تبارك اسمه : « عَبْدِي زَارَنِي ، وَعَلَى قَرَاه ، وَلَنْ أَرْضَى لَهُ قَرَى دُونَ الْجَنَّةِ » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا ، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَكثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ . . . فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ » .

والله عز وجل يحفظ عمار المساجد المتعلقة قلوبهم بها المواظبين على حضور الجماعات فيها يحفظهم في أنفسهم وأموالهم وأهليهم ، كما أخبر الحبيب المصطفى ﷺ في الحديث . قال : « مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ فَلْيَجِبْنِي ، وَمَنْ أَحَبَّنِي فَلْيَجِبْ أَصْحَابِي ، وَمَنْ أَحَبَّ أَصْحَابِي فَلْيَجِبْ الْقُرْآنَ ، وَمَنْ أَحَبَّ الْقُرْآنَ فَلْيَجِبْ الْمَسَاجِدَ ، فَإِنَّهَا أَفْنِيَةُ اللَّهِ أَبْنِيَتُهُ أَذِنَ اللَّهُ فِي رَفْعِهَا ، وَبَارَكَ فِيهَا ، مَيِّمَةٌ مَيِّمُونَ أَهْلُهَا ، مُحْفُوظَةٌ مُحْفُوظٌ أَهْلُهَا ، هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي حَوَائِجِهِمْ ، هُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ » .

وقال تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ

ذَكَرَ اللَّهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ
وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ
مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ أَذِنَ اللَّهُ أَن تَرْفَعَ ﴾ أى أن المساجد تُبنى وتعظم
ويرفع شأنها وتُطهَّر من الأنجاس والأقذار ، ويُعنى المؤمنون بأمرها
وقد جاء في الحديث : « إن المسجدَ لَيُنْزَوَى من النَّجاسةِ كما يُنْزَوَى
الجلدُ من النار » . وقال ﷺ : « مَنْ أَخْرَجَ أَذَى مِنَ الْمَسْجِدِ بَنَى اللَّهُ
لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ » ، وكانت أم المؤمنين عائشة تقول : « أَمَرَنَا رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَّخِذَ الْمَسَاجِدَ فِي الدُّورِ وَأَنْ تُطَهَّرَ وَتُطَيَّبَ » كما أن
المساجدَ وهى بيوت الله ، وأحبُّ البقاع إليه ينبغى لنا أن نصونها وأن
ننزهاها عن الروائح الكريهة والأقوال السيئة وكل ما يؤذى المصلين .
وقد جاء في حديث رواه جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن النبي
ﷺ قال : « مَنْ أَكَلَ ثَوْمًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزِلْنَا أَوْ فَلْيَعْتَزِلْ مَسَاجِدَنَا ،
وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ » . وفي لفظ آخر : « مَنْ أَكَلَ الثُّومَ وَالْبَصَلَ وَالْكِرَاثَ
فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى مِمَّا يَتَأَذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ » .
وجاء في خطبة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : لقد رأيتُ رسولَ
اللَّهِ ﷺ إذا وَجَدَ رِيحَهُمَا مِنْ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ أَمَرَ بِهِ فَأَخْرَجَ إِلَى
الْبَقِيعِ ، فَمَنْ أَكَلَهُمَا فَلْيُيَمِّتْهُمَا طَبِخًا . والمراد ألا تكونَ لهما رائحةٌ في الفم .
فعلينا معاشرَ المؤمنين أن نراعى آدابَ المسجد ، ونحسب في زيارة المولى
عز وجل والملائكة تحفُّ بالجالسين والمصلين .

قال أهل العلم : وإذا كانت العلة في إخراجهِ من المسجدِ أنه يُتَأَذَى به

- أى بسبب رائحة البصل والثوم - فى القياس أن كل من تأذى به جيرانه فى المسجد بأن يكون ذرب اللسان سفيها عليهم ، أو كان ذا رائحة قبيحة لا تفارقه لسوء صناعته ، أو كان ذا عاهة مؤذية كالجذام وشبهه وكل ما يتأذى به الناس ، فإنه ينبغي له أن يعتزل المسجد ما دامت العلة موجودة فيه حتى تزول ، ومثلها المجالس العامة كمجالس العلم والولائم ونحوهما .

ومما ينبغي الاحتراز منه فى المساجد : البيع والشراء فيها ونشدان الضالة ، وقد قال النبي ﷺ لرجل طلب ضالته فى المسجد : « لا وجدت إنما بُنيت المساجد لما بُنيت له » أى أن المساجد تُعمر للعبادة والذكر وقراءة القرآن لا للاشتغال بأعمال الدنيا . وفى حديث : « إنما هى لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن » . وسمع عمر رجلاً يرفع صوته فى المسجد فأنكر عليه ذلك وقال له : « ما هذا الصوت ؟ أتدرى أين أنت ؟ » أى إنه فى بيت الله وينبغي له أن يلازم الوقار اللازم للمسجد .

وعن واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال : « جَنَّبُوا مَسَاجِدَكُمْ صِبْيَانَكُمْ وَمَجَانِينَكُمْ وَشِرَاءَكُمْ وَبَيْعَكُمْ وَخُصُومَاتِكُمْ وَرَفَعَ أَصْوَاتِكُمْ وَإِقَامَةَ حُدُودِكُمْ وَسَلَّ سُبُوفِكُمْ وَاتَّخِذُوا عَلَى أَبْوَابِهَا الْمَطَاهِرَ وَجَمَرُوهَا فِي الْجَمْعِ » .

فطوبى لزوار المساجد المتعلقة قلوبهم بها العاملين على عمارتها .
فاتقوا الله - عباد الله - وحافظوا على أداء الصلوات الخمس فى المساجد ، وتوبوا إلى الله ، وسلوه العفو والعافية فى الدنيا والآخرة .



للخطبة الثانية :

ومن الآداب التي ينبغي أن تراعى : دخول المسجد بالرجل اليمنى والصلاة على النبي ﷺ وسؤال الله الرحمة ، والخروج مبتدئاً بالرجل اليسرى وسؤال الله من فضله ، ومما أوصى به الرسول ﷺ أن يقول عند الدخول : بعد الصلاة والسلام على النبي : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وافتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ » وعند الخروج : « بِاسْمِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي ، وافتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وفضلِكَ » .

ومن السنة : أن يبدأ المسلم بصلاة ركعتين تحيةً للمسجد فعن قتادة أن النبي ﷺ قال : « إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ » وهذه مزية للمسجد يتميز بها عن سائر البيوت ، ولداخل المسجد ألا يتخطى رقاب الناس ، ولا يُنازع أحداً في المكان ، وألا يُضيقَ على أحدٍ في الصف ، وأن يتحاشى المرور بين يدي المصلي ، وينهى الجالسون في المسجد عن البصاق والتنخم وفرقة الأصابع ، وعن كل ما لا يتفق مع وقار المسجد وحرمته ، إن المساجد بيوت المتقين وإن الحرص على زيارتها ومراعاة آداب الجلوس فيها يرفع الدرجات ، ويكون سبباً في عظيم الثواب . وقد جاء في الحديث : « إِنْ الْمَسَاجِدَ بِيُوتُ الْمُتَّقِينَ وَمَنْ كَانَتْ الْمَسَاجِدُ بَيْتَهُ ضَمِنَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ الرُّوحَ وَالرَّاحَةَ وَالْجَوَازَ عَلَى الصِّرَاطِ » . وقال ﷺ : « بَشِّرِ الْمُشَاقِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ النَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . وقال علي رضي الله عنه : « إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ يَبْكِي عَلَيْهِ مُصَلَّاهُ مِنَ الْأَرْضِ وَمَصْعَدُهُ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ » ثم قرأ

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ (١). وقال ﷺ :
« مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بَيْوتِ اللَّهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ
فَرَائِضِ اللَّهِ كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً ».
ودعا النبي ﷺ لتميم الداريَّ حِينَ عَلِمَ أَنَّهُ جَلَبَ زَيْتًا وَاسْتَخْدَمَهُ فِي
إِضَاءَةِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ : « نَوَّرْتَ الْإِسْلَامَ نَوَّرَ اللَّهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
أَمَّا لَوْ كَانَتْ لِي ابْنَةٌ لَزَوَّجْتُكُمَا » .

وقال ﷺ : « مَنْ أَسْرَجَ فِي مَسْجِدٍ سِرَاجًا لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ وَحَمَلَةُ
الْعَرْشِ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ مَا دَامَ ذَلِكَ الضَّوُّ فِيهِ ، وَإِنْ كُنَّ
غُبَارَ الْمَسْجِدِ نَقِدَ الْحَوَرُ الْعَيْنَ » .



صيام التطوع

الحمد لله نعمه ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله .

نحمد الله الذي شرع لنا من العبادات ما يطهر النفوس ويزكيها ويرفعها بالخيرات والبركات لتكون أهلاً للسعادة الأخروية ، وأجل الثواب لمن يصوم طاعة لله وطلباً لمرضاته ، ورغبة فيما عنده .
ونُصلي ونُسلم على الحبيب الهادي ، رسول رب العالمين ، وقائد الغر المحجلين يوم الدين ، وعلى آله وأصحابه ومن اقتدى به إلى يوم الدين :
أما بعد : فيا عباد الله :

عن أبي أمامة رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، مُرني بأمر ينفعني الله تعالى به ، فقال : « عليك بالصوم فإنه لا عدل له » هـ
أيها المؤمنون :

الصوم مفهومه الشرعي الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس مع النية . والصوم عبادة يتقرب بها العبد المؤمن إلى خالقه ، يرجو رحمته ، ويطلب ثوابه ، ويشكر له نعمته ، مبتغياً تكفير السيئات ، والرئى يوم يظمأ الغافلون ، والقرب من الرضوان يوم يُبعد المعاندون .

والنبي ﷺ وهو أعلى الناس منزلة عند ربه كان قلبه معلقاً بالعبادات ، مداوماً على الطاعات ، مُكثرأ من القربات ، وكان هواه

فَمَا يُرْضَى رَبَّهُ ، وَمِنْ ذَلِكَ حَرْصُهُ عَلَى الصَّوْمِ ، فَكَانَ ﷺ لَا يَمُرُّ عَلَيْهِ شَهْرٌ دُونَ صِيَامٍ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ ، وَرَغْبَةً فِي رَفِيعِ الدَّرَجَاتِ ، وَعَلَوِّ الْمَنْزَلَةِ .
تَقُولُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لَا يُفْطِرُ ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لَا يَصُومُ ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَامًا فِي شَعْبَانَ » .

أَيُّ أَنْ مِنْ هَذِهِ ﷺ الْإِكْتِسَارُ مِنَ الصِّيَامِ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ مَعَ الْمَدَامَةِ عَلَى الصِّيَامِ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِنْ شُهُورِ الْعَامِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُتِمُّ صِيَامَ شَهْرِ سِوَى شَهْرِ الْفَرِيضَةِ وَهُوَ رَمَضَانُ .

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَيُّ الصَّوْمِ أَفْضَلُ بَعْدَ رَمَضَانَ ؟ قَالَ : « شَعْبَانَ لَتَعْظِيمِ رَمَضَانَ » وَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : « فِي رَمَضَانَ » .

وَكَانَ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ يَجْتَهِدُونَ فِي الْاِقْتِدَاءِ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَتَتَبِعَ أَحْوَالَهُ فِي عِبَادَاتِهِ لِحَرْصِهِمْ عَلَى الْخَيْرِ ، وَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُ ﷺ يُكْثِرُ مِنَ الصِّيَامِ فِي شَعْبَانَ . سَأَلَهُ أَسَامَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لِمَ أَرَكَ تَصُومُ فِي شَهْرِ مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ ؟ فَقَالَ : « ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ عَنْهُ النَّاسُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ » .
أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ :

طُوبَى لِمَنْ يَقْتَدِي بِالنَّبِيِّ ﷺ ، وَيَسْعَى لِتَكْمِيلِ نَفْسِهِ بِطَاعَةِ رَبِّهِ ، وَيَحْرَصُ عَلَى الْاسْتِزَادَةِ مِنَ الْخَيْرِ ، وَالصَّوْمُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ عَظِيمٍ ، وَعِبَادَةٌ يُجْزَلُ لِصَاحِبِهَا الثَّوَابُ ، وَتَكُونُ لَهُ وَقَايَةً مِنْ عَذَابِ النَّارِ .
وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي يَرْوِيهِ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَقُولُ النَّبِيُّ

ﷺ : « مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ » .

وفي رواية أبي سعيد الخدري رضى الله عنه : « ما من عبد يصوم يوماً في سبيلِ اللَّهِ إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ سَبْعِينَ خَرِيفًا » والصوم وسيلةٌ فعَّالةٌ لتربية النفس على الكمالات وصيانتها من الرذائل والآفات ، لذا أوصى الحبيب المصطفى ﷺ به الشباب غير القادر على نفقات الزواج ، ليكون الصوم للشاب - وهو في قوته ونشاطه - وِجَاءً ، أى حامياً من مزالق الشهوات ، ومعيناً على توقى الرذائل ، ذلك أن الصوم يقوى الإرادة ، وَيَنْمَى في النفس الوازع عن الشرِّ ، والرغبة في الخير ، ويجعل المؤمن أكثرَ قدرةً على ضبط نفسه عن شهواتها ورغباتها .
أيها المؤمنون :

خير العمل ما كان عن إخلاص لله عز وجل ، وفيه اتِّبَاعُ للنبي ﷺ ، وقد نهى النبي ﷺ عن صوم الأيام كلها ، فقال ﷺ في الحديث الذي رواه ابن عمر : « مَنْ صَامَ الْأَبَدَ فَلَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ » . ومن وصايا الرسول ﷺ للمستزيدين من الخير ، الراغبين في صيام الدهر كله قوله : « أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ ، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَيَقُومُ ثُلَاثَهُ ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ ، وَكَانَ يَفْطِرُ يَوْمًا وَيَصُومُ يَوْمًا » إذ إن الإفراطَ يَضْعِفُ البدنَ ، ويدعو إلى السَّامَةِ والمللِ ، ويعيق عن السعى والكسبِ ، وخير الأمور أوساؤها ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ ، وَكَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً .

ومن هَدْيِهِ ﷺ في صِيَامِ التَّطَوُّعِ صِيَامُ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ مِنْ كُلِّ أُسْبُوعٍ ، وقد سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : « إِنْ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ

يَغْفِرُ اللَّهُ فِيهِمَا لِكُلِّ مُسْلِمٍ إِلَّا مُهْتَجِرَيْنِ : يَقُولُ : دَعَمَا حَتَّى يَصْطَلِحَا » .
وَكَانَ ﷺ يَقُولُ : « إِنْ هَذَيْنِ الْيَوْمَيْنِ تَعَرَّضَ فِيهِمَا الْأَعْمَالُ » .
وَكَانَ ﷺ يُرَغِّبُ فِي صِيَامِ الْأَيَّامِ الْبَيْضِ ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَتَادَةَ
ابْنِ مِلْحَانَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُنَا
أَنْ نَصُومَ أَيَّامَ الْبَيْضِ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ ، وَقَالَ :
« هُنَّ كَهَيْئَةِ الدَّهْرِ » .

وَكَانَ ﷺ يُوصِي بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ لِأَنَّهَا تَعْدِلُ
صِيَامَ الشَّهْرِ كُلِّهِ إِذَا الْحَسَنَةُ بَعُشْرٍ أَمْثَلَهَا ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ : « مَنْ صَامَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَذَلِكَ
صِيَامُ الدَّهْرِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ : « مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ
فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا » .

وَمِنْ هَذِهِ ﷺ فِي صَوْمِ التَّطَوُّعِ صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ ، وَهُوَ الْعَاشِرُ
مِنَ الْمُحَرَّمِ ، وَفِيهِ يَقُولُ * ﷺ : « صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ إِنِّي أَحْتَسِبُ
عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ » . وَقَدْ صَامَهُ ﷺ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَبْلَ
فَرَضِ صِيَامِ رَمَضَانَ ، فَلَمَّا افْتُرِضَ رَمَضَانُ قَالَ : « إِنْ عَاشُورَاءَ يَوْمٌ
مِنْ أَيَّامِ اللَّهِ ، فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ » . وَحِينَ صَامَهُ ﷺ فِي الْمَدِينَةِ قَالَ :
« فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْقَابِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، صُمْتُ التَّاسِعَ » فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ
الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوْفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : « صُومُوا
التَّاسِعَ وَالْعَاشَرَ ، وَخَالَفُوا الْيَهُودَ » .

وَوُرِدَ عَنْهُ ﷺ التَّرْغِيبُ فِي صِيَامِ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّالٍ ، فَعَنْ
أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ صَامَ
رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ » . وَهَذِهِ الْأَيَّامُ السِّتَةُ

تُصام منفردةً أو متتابعةً وفي أى وقتٍ من الشهر ، وكره مالكٌ رضى الله عنه وصلَّها بيومٍ الفطر ، وحذَّر من الظنِّ بوجوبها ، وذلك من حرصهم على أن تظلَّ الفرائض واضحةً في أذهانِ الناس لا يُضافُ عليها مِن وَهْمِ الناس ما ليس منها .

وَتُدَبَّرَ لنا أن يصومَ المؤمن يومَ عرفةَ وهو التاسع من ذى الحجةِ وذلك لغیرِ الحاجِّ ، وفيه يقولُ الرسولُ ﷺ : « صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ إِنْ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ » . وكان ﷺ يصومُ تسعةَ الأيامِ الأولِ من ذى الحجةِ كما روت أزواجه رضى الله عنهن .

عباد الله :

هذا بعضُ هَدْيِهِ ﷺ فى صِيَامِ التطوعِ ، وفى ذلك فَلْيَتَنَافِسِ الْمُتَنَافِسُونَ . وقد سئلت السيدةَ عائشةُ رضى الله عنها : « هل كان رسول الله ﷺ يختصُّ من الأيامِ شيئاً ؟ قالت : « لا ، كان عمله ديمةً ، وَأَيْكُمْ يُطِيقُ ما كان رسولُ الله ﷺ يُطِيقُ » .

أى أنه كان ﷺ يُداوم على العملِ الصالحِ مع الرفقِ والتوسط . روى أبو هريرة رضى الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « شهرُ الصبرِ وثلاثةَ أيامٍ من كلِّ شهرٍ صومُ الدهرِ » .

فاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَأَطِيعُوهُ ، واطْلُبُوا مَغْفِرَتَهُ وَرِضْوَانَهُ ، واقتدُوا بنبيِّه الأَمِينِ ، وَأَحْيُوا سُنَّتَهُ فَاللَّهُ يَقُولُ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (١) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، هو الواحد الأحد الفرد الصمد ، والصلاة والسلام على نبي الهدى والرحمة وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فقد قالت عائشة رضي الله عنها : لم يكن النبي ﷺ يصوم شهراً أكثر من شعبان . ثم قالت وكان يقول : « خذوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حَتَّى تَمَلُّوا » . وكان أحب الصلاة إلى النبي ﷺ ما دُوم عليه وإن قلَّت ، وكان إذا صلى صلاةً دأوم عليها . وفي الحديث : « وإن ریح الصائم أطيبُ عند الله من ریح المسك » .

عباد الله :

إن العبادات تطهر النفوس ، وتُنير البصائر ، وتقرب من الله عز وجل ، وأفضل الأعمال وأحبها إلى الله فرائضه التي فرضها الله على عباده ، والتطوع مجال التنافس في الخيرات ، والصعود في مدارج الولاية لله ، والقرب منه سبحانه وتعالى .

والصوم من أعظم القربات ، حرص عليه الصالحون ، ولم يتهاون بشأنه أهل الخير ، وطلاب الرضوان ، فطوبى لمن اقتدى بالحبیب المصطفى ﷺ ، وحرص على الاستزادة من الصالحات ، وداوم على طاعة الله بالصلاة والصيام وسائر القربات .

ولقد كان النبي ﷺ يُكثر من الصيام في شهر شعبان ، ولم يتم صيام شهر سوى رمضان ، وهو المعلم والهادي ﷺ .

إن أهل الصوم في الدنيا هم أهل الرىّ يوم يظمأ الناس فطوبى لهم وحسن مأب .

قال ﷺ : « إِنْ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرِّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ »
اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحَسَنِ عِبَادَتِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ
يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، وَاعْفِرْ لَنَا ، وَارْحَمْنَا ، وَعَافِنَا وَاعْفُ
عَنَّا ، وَبَارِكْ لَنَا فِيمَا أَعْطَيْتَنَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ التَّوَّابِينَ : وَأَقْسِمَ لَنَا مِنْ حَشِيَّتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا
وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ، وَمَنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ ، وَمَنْ الْيَقِينَ مَا تَهَوَّنُ
بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا . وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا ، وَلَا تَجْعَلْ
مَصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا ، وَلَا تَجْعَلْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا ، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا ،
وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا .

اللَّهُمَّ لَا تَدْعَ لِهَذَا الْجَمْعِ فِي هَذَا الْيَوْمِ ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ ، وَلَا هَمًّا
إِلَّا فَرَجْتَهُ ، وَلَا دِينًا إِلَّا يَسَّرْتَ قَضَاءَهُ ، وَلَا مَرَضًا وَلَا مَرِيضًا إِلَّا شَفَيْتَهُ
بِرَحْمَتِكَ وَعَفْوِكَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ .

اللَّهُمَّ انصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ ، وَاخْذِلِ الْبَاطِلَ وَأَهْلَهُ ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ
أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى ، وَكَثِّرُوا
مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ فَقَدْ قَالَ عَزَّوَجَلَّ : ﴿ إِنْ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يَصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ !

عيد الفطر

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله - الله أكبر تسعاً - الله أكبر وهو الكبير الذى عنت الوجوه لكبريائه وعظمته ، الله أكبر وهو الحى القيوم الذى دبر الكائنات بحكمته ، الله أكبر وهو القادر الذى أبدع الموجودات وعممها بإحسانه ، ورحمته ، الله أكبر والحمد لله كثيراً وسبحان الله على الدوام .

وأشهد أن لا إله إلا الله جعل فى تعاقب الأعياد عبرة لأولى الأبواب .
وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله الداعى إلى الهدى والصواب . اللهم صل وسلم على نبينا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه الحافظين لحدود الله ، العاملين بأحكام الدين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..
أما بعد : فيا أيها المؤمنون :

عن سعد بن أوس الأنصارى عن أبيه رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا : اغدوا يا معشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم ، وأمرتم بصيام النهار فصمتتم وأطعتم ربكم فاقبضوا جزائركم « فإذا صلوا نادى مناد ألا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم ، فهو يوم الجائزة ويسمى ذلك اليوم فى السماء يوم الجائزة .

هذه بشرى أيها المؤمنون - ساقها الحبيب المصطفى ﷺ للموحدين ، فالملائكة تقف لهم على أبواب الطرق فى يوم عيد الفطر تدعوهم للإقبال على صلاة العيد ، والتوجه إلى رب كريم لا يخيب من قصده ، ويوفى .

إلى الخير ، ثُمَّ يُثِيبُ عَلَيْهِ أَجْزَلَ الثَّوَابِ تَفْضِلاً مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
وإِحْسَاناً .

ثم إن الملائكة تبشّر من صَامَ رَمَضَانَ وقَامَ لِيَالِيَهُ بالبشريات الطّيبات ،
فطوبى لِمَنْ قَامَ لِيَالِي رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا ، وصَامَ نَهَارَهُ مَخْلَصًا لِلَّهِ
وَحَدَهُ ، وإِذْعَانًا لَأَمْرِهِ فَاَلْمَلَائِكَةُ تَنَادِيهِ الْيَوْمَ هَلُمَّ إِلَى جَائِزَتِكَ وَمَكَافَأَتِكَ ،
وَإِذَا صَلَّى الْمُوَحِّدُ الْعِيدَ نَادَاهُ الْمُنَادَى : أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ ، فَارْجِعْ
إِلَى بَيْتِكَ رَاشِدًا مُوَفَّقًا ، فَالْيَوْمَ يَوْمُ الْجَائِزَةِ ، وَهَذَا هُوَ اسْمُهُ فِي السَّمَاءِ
أَيَّ يَوْمَ الْبَرَاءَةِ مِنَ الذَّنُوبِ ، وَالظَّهَارَةِ مِنَ الْعُيُوبِ ، وَالنَّقَاءِ مِنَ
الْأَذْنَانِ وَالْكُرُوبِ .

فطوبى لمن أَحْيَا لَيْلَةَ الْعِيدِ ، وَوَطَّدَ الْعَزْمَ عَلَى تَوْبَةٍ نَصُوحٍ وَعَلَى
الْمُدَاوِمَةِ عَلَى طَاعَةِ عِلَامِ الْغُيُوبِ . . . طوبى لَهُ وَحَسَنُ مَأْبٍ .
أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ :

إِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا يَوْمُ سُرُورٍ لِمَنْ صَدَقَ يَتِيمُهُ ، وَصَحَّتْ نَيْتُهُ وَقِيلَ
صِيَامُهُ وَقِيَامُهُ ، يَوْمُ قَرَحٍ وَسُرُورٍ ، لِمَنْ طَابَتْ سِرِيرَتُهُ ، وَحَسُنَ فِي
رَمَضَانَ عَمَلُهُ وَمَسْلُكُهُ وَكَلَامُهُ ، إِنَّا فِي يَوْمٍ مَبَارِكٍ إِنَّهُ يَوْمٌ عَفْوٍ وَإِحْسَانٍ
لِمَنْ عَفَا عَنْ ظُلْمِهِ ، وَأَحْسَنَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ ، وَسَعَى بِالصُّلْحِ بَيْنَ
الْأَنَامِ ، وَوَصَلَ رَحِمَهُ وَأَكْرَمَ جَارَهُ ، وَطَهَّرَ قَلْبَهُ مِنَ الْغشِّ وَالْغُلِّ وَالْبَغْضَاءِ
لِلْمُسْلِمِينَ .

هَذَا يَوْمٌ عِيدٍ وَلَكِنَّ الْعِيدَ فِي الْحَقِيقَةِ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِاللِّبَنِ هَذَا يَوْمُ
الْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ لَوْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ مُتَّحِدِينَ مُؤْتَلِفِينَ ، قُلُوبُهُمْ عَلَى
قَلْبٍ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَدُسْتُورُهُمْ كِتَابُ اللَّهِ .
هَذَا يَوْمٌ مَبَارَكٌ سَعِيدٌ لَوْ كُنَّا بِدِينِنَا مُتَمَسِّكِينَ ، وَبِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ

ﷺ مقتدين ، ولستقبل أمة الإسلام عاملين ، ولأرض الإسلام مطهرين من الإلحاد ، والزندقة وكل مظاهر المروق عن الدين ، فلا تعلق في أى بقعة من بقاع المسلمين كلمة فوق كلمة التوحيد ، ولا يكون للإلحاد أى صوت في بلاد التوحيد ، ولنتدبر قول الحق تبارك وتعالى :

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (١) .

في هذا اليوم المبارك يتجلى الله على المخلصين بمزيد من الإنعام ينظر فيه سبحانه إلى أهل الصدقة والإخلاص والوفاء والمودة والمحبة، ينظر فيه إلى التائبين توبةً نصوحاً المراقبين في السر والعلانية ربهم ، الراجين رحمته ، الخائفين من عقوبته .

أما الذى يهنأ بالعيد فهو ذلك الذى استقام فى رمضان وبعد رمضان ، ولم يعدل عن الطريق الأقوم والصراط الأعديل ، ولم يلعب به الشيطان ، فيصرفه إلى اللهو والعبث ، ونسيان حقوق الرحمن .

إن الذى يفرح بالعيد هو ذلك الذى يخفّض جناحيه ذلاً ورحمةً ورقةً وليناً لوالديه ، يقبل نصحهما ويصغى إلى كلامهما ، ويرجو رضاها بعد رجاء رضا ربّه ، أما المطرود من قلب الوالدين فهو مطرود من رحمة الله مغضوب عليه ، حياته شقاءً وتعاسةً ومصيره عذاب جهنم وبئس المصير إن لم يرحمه الله بتوبة وأوبة إلى الحق .

إن الذى يفرح بالعيد هو ذلك الذى يسعد قلوب اليتامى ويساعد

الْأَرَامِلَ وَالْمَساكِينَ وَأَبْنَاءَ السَّبِيلِ بِالصَّدَقَةِ وَالْإِحْسَانِ ، أُولَئِكَ هُم أَهْلُ الصَّدَقِ إِنْ أَرَادُوا وَجْهَ اللَّهِ ، قُلُوبُهُمْ مَمْلُوءَةٌ بِالتَّقْوَى عَامِرَةٌ بِالْإِيمَانِ وَالْهُدَى . فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَتَبَاعَدُوا عَنْ كُلِّ مَا يُغْضِبُ الرَّحْمَنَ وَطَهَّرُوا الْقُلُوبَ مِنَ الْحَسَدِ وَالْحَقْدِ وَالْبَغْضَاءِ وَالْخُصُومَاتِ ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا فِي صَفَاءٍ ، وَأَطْعَمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ وَاعْفُوا عَنِ الْبَائِسِ وَالْفَقِيرِ تَنَالُوا غَايَةَ الْقَبُولِ وَالْإِكْرَامِ .

جاءَ في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلَا صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ » .
أَخْبَرَ الْحَبِيبَ الْهَادِيَ ﷺ ، بِأَنَّهُ إِذَا كَانَ آخِرُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ غَفَرَ اللَّهُ لِعِبَادِهِ الصَّائِمِينَ الْمُوحِّدِينَ . . . فَقَالَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ :
أَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ لَا ، أَلَمْ تَرَ إِلَى الْعَمَالِ يَعْمَلُونَ فَإِذَا فَرَّغُوا مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَفُّوا أُجُورَهُمْ .

نَسَّأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَتَقَبَّلَ صِيَامَنَا وَقِيَامَنَا وَأَنْ يَجْعَلَنا مِنْ شَمْلِهِمْ بِعَفْوِهِ وَرِضْوَانِهِ وَرَحْمَتِهِ وَجُودِهِ وَبِرِّهِ وَكَرَمِهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْمُبَارَكِ وَأَنْ يَجْمَعَ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمَحَبَةِ وَالْوَفَاءِ .

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ، فَالْتَأِئِبُوا مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ .

التطهر والنظافة في حياة المسلمين

أما بعد :

فقد قال الله تعالى: ﴿...إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (١).

أيها المؤمنون :

هذه مِنَّةٌ إلهيةٌ عظمى ، ونعمةٌ كبرى على عباده الذين يرجعون إليه نادمين على ما كان منهم من شرك ، أو ذنب طالبين عفوه ومغفرته ، عازمين على توبة نصوح ، وكذلك هي مِنَّةٌ ونعمة على عباده الذين طهروا قلوبهم من الشرك والشك والنفاق وكل الآفات التي تفسد على المرء حياته ، كما طهروا ظواهرهم بالماء من الجنابة ومن الأحداث ، ذلك أن الإسلام كما غُني بالطهارة المعنوية ، غُني أيضًا بالطهارة الحسية ، وجعلها جزءًا من حياة المسلم وطابعًا لا غنى له عنه في يومه وليلته ، وفي الحديث : « الطَّهْرُ شَطْرُ الْإِيمَانِ » .

ومما يؤكد عناية الإسلام بالتطهير والتطهر أن الله عز وجل مدح أصحاب رسول الله ﷺ بالمحافظة على تطهير ثيابهم وجسومهم ، وبالعناية بالنقاء من البول والغائط ، والغسل من الجنابة يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ (٢) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : لما نزلت هذه الآية (فيه رجال) يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا بعث رسول الله ﷺ إلى عويم بن ساعدة

الأنصارى فقال : « ما هذا الطهورُ الذي أثنى اللهُ - به - عليكم ؟ »
فقال : يا رسولَ الله ، ما خرج مِنَّا رجلٌ ولا امرأةٌ من الغائطِ إلا غسَلَ
مَقْعَدَتُهُ ، فقال النبيُّ ﷺ « هو هذا » .

والطهارةُ في ديننا الحنيفِ تشملُ تطهيرَ الباطنِ وتطهيرَ الظاهرِ ، قال
اللهُ تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ (١) أى طهر ثيابك بالماء من
النجاسات ، فإن التطهيرَ واجبٌ للصلوات ، محبوبٌ في غيرها ، كما
ينبغي أن يتحرزَ المؤمنُ من النجاسات بتقصير الثياب مخافة جرِّ
الذيولِ فيها ، وتشملُ الآيةُ أيضا الأمرَ بتطهيرِ القلبِ من كل ما
يُغضبُ الربَّ ، وبتطهيرِ النفسِ من الأخلاقِ الذميمةِ ، وممالا يليقُ ،
ومن ذلك الطهارةُ من الشركِ والنفاقِ والغِلِّ والحسدِ والحقدِ وغير ذلك .
ومن عناية الإسلام بالطهارة أنه جعلها شرطًا لصحة الصلاة ،
ومقدمةً لها ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « مُنْتَا حُ الصَّلَاةِ
الطَّهْوَرُ » وهى الطهارةُ من الحدثِ والخبثِ وكلِّ ما ينجسُ الثوبَ أو
البدنَ ، وشدد رسولُ الله ﷺ فى الاستنجاء والتنزُّه من بقايا البول
وإزالة أثره يقول الحبيب المصطفى ﷺ « تَنَزَّهُوا مِنَ الْبَوْلِ فَإِنَّ
عَامَّةَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْهُ » وحكمةُ الإسلام فى ذلك واضحة ، وأثبتها
الطب الحديث ، ذلك أن الفضلات التى يُفرزها الجسم كالبول والغائط
تحوى كثيراً من جراثيم الأمراض ، وكما تتم طهارة الجسم والثوب
من الأخبثات بالغسل بالماء ، فإن الطهارة من الحدث تكون بالوضوء ،
أو بالغسل ، وفى الوضوء تطهيرُ الفمِ ، وتنظيفُ الأسنان التى هى
مفتاحُ البطن ، والمعدة بيتُ الداء ، وهذا يبين لنا الحكمة فى الأمر

بالسواك ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » وقوله : « عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم ، ومرضاة للرب » وربط الإسلام الوضوء بأسباب تتكرر وتتجدد كالبول وغيره من نواقض الوضوء ، ليتكرر التطهير ، وتصبح النظافة طابع المؤمن ، وفي الحديث : « بنى الإسلام على النظافة » .

وأوجب الإسلام الاغتسال في حالات كالجنابة ، وطهارة المرأة من الحيض والنفاس ، وسننه في حالات كالآعياد والجمع ولحضور كل اجتماع عام ، وفي الغسل تنظيف للبدن بإزالة أوساخ الجلد وإفرازاته من العرق والوسخ .

وحِصص الإسلام على النظافة شامل لكل ما يتصل بحياة الناس ولذا نهى عن التغوط في المياه الجارية ، وفي المياه الراكدة ، وفي الطرق ، ومُستظل الناس ، وتحت الأشجار المورقة وفي الحديث : « اتَّقُوا الملاعنَ الثلاثَ : البراز في الموارد ، وقارعة الطريق والظل » وقال ﷺ : « لا يبولن أحدكم في الماء الدائم - أي الساكن - ثم يغتسل فيه » ومعلوم أن البلهارسيا تنتقل عدواها إلى السليم إذا استخدَم ماء راكداً بال فيه مريض ، لنرى إلى أي مدى يحِرص الإسلام على سلامة الأذواق مما يؤديها ، وعلى سلامة الصحة العامة من مسببات نقل العدوى . ومن عناية الإسلام بالنظافة أمره بالاستحداذ ، وبِخَتَانِ - الذكور - وبِنتَفِ الإِبطِ ، وقص الأظفار ، وتنظيف الأنامل ، يقول الرسول ﷺ : « خمس من الفطرة : الاستحداذ والختان . وقص الشارب ونتف الإبط وتقليم الأظفار » وقد جاء التوجيه بتقليم الأظفار والاستحداذ ونتف الإبط وقص الشارب كل أسبوع وعلى ألا يتجاوز ذلك أربعين يوماً .

وأمر الإسلام بنظافة البيوت والطرق ، ونظافة الطعام والشراب ، وقد جعل من شُعب الإيمان نظافة الطريق ، والرسول ﷺ يقول : « الإيمان بِضْعٌ وسبعون شُعبةً ، أفضَلُها قولُ لا إله إلا الله ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق » أى إزالة ما قد يكون فى الطريق من الشوك أو الحجر أو القمامة ونحو ذلك .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ :

إن ديننا تلك تعاليمه ينبغي لاتباعه أن يكونوا أصبح الأمم أجساماً ، وأكثرهم عنايةً بالنظافة نظافة الجسم والثوب والبيت والطريق ، ونظافة المأكَلِ والمشربِ إلى جانب نظافة القلب ، وطهارة النفس وفى الحديث : « عُرِضَتْ عَلَى أَعْمَالُ أُمَّتِي حُسْنُهَا وَقَبِيحُهَا فَوُجِدَتْ فى محاسن أَعْمَالِهَا : الأذى يُمَاطُ عن الطريق ، ووجدتُ فى مساوئِ أَعْمَالِهَا : النُّعَامَةُ تكون فى المسجدِ لا تُدْفَنُ » وقال ﷺ : « مرَّ رجلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ على ظَهْرِ الطريقِ فقال : واللهِ لَأُنَحِّينَ هذا عن المسلمين لا يُؤْذِيهِمْ فَادْخَلَ الجنةَ » .

فاتقوا الله — عباد الله — واطلبوا عفوه ومغفرته وسلوه أن يجعلنا من التوابين ومن المتطهرين .

الصبر والمصابرة والمرابطة والتضحية دعائم أساسية لتحقيق النصر

ة ١١، الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

يا أهل الإسلام وأنصاره :

أمر الله المؤمنين أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه لهم وهو الإسلام فلا يدعوه لسراء ولا لضرء، ولا لشدة ولا لرخاء حتى يموتوا مسلمين مؤدبين ما كلفوا به ، وكما أمروا بالصبر على الدين وتكاليفه وبالثبات عليه والمداومة على الطاعة ، فإنهم أيضا مأمورون بالصبر في البأساء والضراء وحين البأس ، فللجهاد مشقاته ، وللحرب أعباؤها ، والمؤمن مأمور بالصبر على شدائد الحرب ، ومشقات الجهاد ، ولهذا أمر الله عباده المؤمنين بالمصابرة ﴿ وَصَابِرُوا ﴾ أي صابروا أعداء الله في الجهاد ، أي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب ، ولا تكونوا أقل منهم صبرا وثباتا ، وفي المصابرة مجاهدة للنفس أيضا ومُغَالَبَةً لَهَاوَاتِهَا وما يَعْتَرِيهَا من جزع أو قلق لتستمر صابرة على ما يجب الصبر عليه ، فمن أخص صفات المؤمنين أنهم لا ييأسون من رحمة الله ، ولا يعتريهم قنوط أو خور إذا تأخر عليهم النصر لحكمة يريد بها الله عز وجل . . بل من واجبهم أن يداوموا على إصلاح نفوسهم ، وأن يحسنوا توكلهم على ربهم ، ويزدادوا ثقة في وعده بالنصر والتأييد لعباده المؤمنين

الصالحين ، وهذا يدفعهم إلى المزيد من اتخاذ الأسباب الدينية والدينية ،
وإلى الاعتصام بالصبر .

وأمر الله عباده بالمرابطة ﴿وَرَابِطُوا﴾ أى وأقيموا في الثغور بالعدة
الملائمة والعتاد مترصدين مستعدين للغزو ، وأصله من رباط الخيل
في الثغور لحفظها وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة بلاد المسلمين ،
والرباط كلمة تتسع لكل ما عُرف ويُعرف أيضاً في تحصين الثغور ،
والمداخل التي يُحتمل أن تكون مداخل للعدو .

وقد رَغِبَ الله عباده المؤمنين المجاهدين في كلا الأمرين : الصبر
والرباط ، لأنهما سببان قويان لحفظ هيبة الأمة في صدور أعدائها ،
ولاستجلاب النصر من عند الله عز وجل . . قال الله تعالى فيما يحكيه
عن المجاهدين الذين تم لهم النصر والظفر فيما مضى لِنَسَاسِيْهِمْ ،
وَنَنهَجِ نَهْجِهِمْ : ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ
الصَّابِرِينَ * وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا
وَتَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ
دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ . (١) .

فالذين يظنون أنهم ملاقوا الله يحسنون التوكل عليه ، ولا يصيب
نفوسهم جزع لإيمانهم بأن النصر مع الصبر بإذن الله تعالى .

وقال الله عز وجل مخاطباً نبيه في معرض التذكير بموقفه يوم
بدر وهو يحث المجاهدين على الصبر والإقدام والثبات : ﴿إِذْ تَقُولُ
لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُدْخِلَكُمْ رَبُّكُمْ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
مُنْزِلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُدْخِلْكُمْ

رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ﴿١﴾ .

وهو أن الله على المؤمنين ما يُصيبهم في سبيل الله ، ويُرشدهم إلى أن الإيمان يجعل من صاحبه قوة لا تلين ، وعزيمة لا تُفَلِّ ، ويعلمهم أن سنة الله في القتال أن يداول بين الفريقين ، وأن العاقبة للمتوكلين على الله الصابرين على القتال وشدائده وما يتطلبه من بذل النفس والمال وتضحية بالراحة ، ولتدبر قوله تعالى يخاطب عباده المؤمنين يحثهم على الثبات في الدفاع عن الحقوق وصيانة المعتقدات والذود عن المقدسات يقول :

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢) .

أيها المسلمون :

هذا قليل من كثير مما جاء في توجيه الأمة إلى الاعتصام بحبل ربها ، وحسن التوكل عليه ، ولزوم الصبر عند الشدائد ، لأنه مفتاح النصر ، ولتدبر في ذلك أيضا قوله تعالى لِيُقَوِّ عَزَمَ المؤمنين المجاهدين ، ولترتفع روحهم المعنوية مهما طال أمد الحرب ومهما كانت ضراوة القتال ، يقول :

﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي

(٢) آل عمران : ١٣٩ - ١٤٢ .

(١) آل عمران : ١٢٤ - ١٢٦ .

سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾ .

أما الرباط فهو في معناه يشمل يقظة الأمة أيام سلمها ، وأخذها الحيطة والحذر بكل الوسائل الملائمة لظروف المكان والزمان ولروح العصر مخافة أن ينقض عليها عدوها انقضا الصاعقة المباغتة وهم عنه غافلون ، ولنتدبر في إرشاد المسلمين إلى ذلك وحثهم عليه قول الله تعالى محذراً من نيات العدو الخبيثة :

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ (٢) .

ويأمر الله عز وجل عباده المؤمنين بالإعداد للسلام والاستقرار وعدم التهاون بأمر القوة، وبحمائية الثغور لإرهاب العدو حتى لا تحدثه نفسه باستغلال ناحية من نواحي الضعف يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (٣) .

فالله عز وجل يأمر الأمة الإسلامية باتخاذ الأهبة ، وإعداد القوة المادية بتدريب المقاتلين وإعداد السلاح والمؤن والذخائر وغير ذلك مما تتطلبه حاجة الأمة للدفاع عن نفسها ، وكنج جماع أعدائها، واحتفاظها

(١) آل عمران : ١٤٦ - ١٤٨ .

(٢) النساء : ١٠٢ .

(٣) الأنفال : ٦٠ .

مهيبتها في صدورهم مع ضرورة عنايتها بالرباط للحماية والتنبيه للخطر عند أول بادرة له ، وهذا يتطلب من المسلمين بذل الجهود والتضحية بالمال وتقديمه بسخاء في سبيل الله ، لأن المال عنصر أساسي لا غنى عنه للإنفاق منه في الوجوه التي تؤدي إلى حماية الأمة ، ودعم قوتها ، وتمكينها من المحافظة على مقدساتها وأراضيها والدفاع عن المسلمين إذا أصابهم حَيْفٌ وأريد بهم صُرٌّ ، لذا وعد الله أهل السخاء الذين يرجون وَجْهَ اللَّهِ بِأَنْ يَبَارِكَ لَهُمْ وَيُوفِّيَهُمْ أَجْرَهُمْ : ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ و في فضل الرباط والترغيب فيه وُلِّفَتِ الْأُمَّةُ إِلَى شَرْفِهِ وَكَثُرَتْ ثَوَابُهُ وَرَدَتْ أَخْبَارُ كَثِيرَةٌ ، فِي الْبُخَارِيِّ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « رِبَاطٌ يَوْمٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا » .

والمرباط في سبيل الله يؤمنه الله من فتنة القبر ، ويزيد له ثواب عمله الصالح بعد موته ، فقد سَمِعَ فضالةُ بْنُ عبيدٍ يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمَ عَلَى عَمَلِهِ - أَيْ لَا يُكْتَبُ لَهُ ثَوَابٌ جَدِيدٌ - إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنَمَّى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْمَنُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ » .

وخطب عثمانُ بْنُ عفانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « حُرُسُ لَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ يُقَامُ لَيْلُهَا وَيَصَامُ نَهَارُهَا » .

ومن حديث أبي ریحانة يقول النبي ﷺ في فضل السهر للحراسة في سبيل الله : « حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ دَمَعَتْ - أَوْ بَكَتْ - مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَحُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ سَهَرَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » .

إن أعداء الإسلام يعملون للكيد له ، ويتربصون بالمسلمين ، وحين تواتيهم الفرض يعتدون على بعض أوطانهم ، ويسلبونهم حقوقهم .

إن المحن التي يعيش فيها كثير من إخواننا المسلمين لتحتاج منا أن نرجع إلى ديننا نأخذ أنفسنا بتعاليمه ، فنوحد صفوفنا ، ونعد العدة لعدونا ، ونصبر ونصابر ونربط مع وقوف المسلمين وقفة رجل واحد مخلصين جهادهم لله ، متوكلين عليه ، والله عز وجل وعد المجاهدين الذين ينصرونه بنصره ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (١) .

فاتقوا الله - أيها المسلمون - وجاهدوا في الله حق جهاده ، وتوبوا إليه ، وسلوه النصر والعون فهو نعم المولى ونعم النصير .



القِسم الرابع

- ٢٥ - الأخوة في الله : حقوقها وواجباتها .
- ٢٦ - الحاسد والحسد مذمومان في الشرع والعقل .
- ٢٧ - الأمانة من خصال أهل البر والخير .
- ٢٩ - التعاطف والتراحم .
- « الخطبة الثانية »
- ٢٩ - بر الوالدين وواجبنا نحوهما .
- ٣٠ - النجاسة والنجاسات دونها سم الأفاعي .
- ٣١ - طوبى لمن طاب كسبه .
- ٣٢ - الربا وآثاره السيئة .
- ٣٣ - صلة الرحم .
- ٣٤ - طوبى لمفاتيح الخير .
- ٣٥ - الزنى وآثاره السيئة .
- ٣٦ - الرشوة من مفاتيح الشر .
- ٣٧ - لم شهدتم علينا ؟
- ٣٨ - رعاية اليتيم ومسؤوليتنا عنه .
- ٣٩ - يا معاذ أحسن خلقك للناس .
- ٤٠ - الخمر أم الكبائر .
- ٤١ - أخلصوا العمل لله وأحسنوا إلى من أمر الله بالإحسان إليهم .

الأخوة في الله حقوقها وواجباتها

الحمد لله ، الذى يؤلف بين قلوب المؤمنين بالمحبة الخالصة ،
والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى محمد ، هذب النفوس ، ودعا
إلى الأخوة والتراحم ، والمحبة الصادقة الصافية .

أحمد الله تعالى وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله مقلب القلوب
ومحوها ، بيده الأمر ، وإليه المصير ، وأشهد أن محمداً رسول الله بعثه
ربه بالهدى ليجمع القلوب على الحق بإذن ربه ، وليبنى صرح الأخوة
على أساس من الإيمان الصادق ، والرغبة الخيرة فى إعلاء كلمة الله ،
والتعاون على ما يحقق الخير للمؤمنين فى الدنيا ، والفوز فى الآخرة .

اللهم صلّ وسلّم وبارك على الحبيب المصطفى وعلى آله وأصحابه ،
ومن اتبع هداهم إلى يوم الدين .

أما بعد :

فيا أتباع محمد ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة من كن
فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ،
وأن يحب المرء لا يُحِبُّه إلا الله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما
يكره أن يُقذف فى النار » .

يا أتباع محمد ﷺ :

الإسلام ومبادئه الهادية من أعظم نعم الله على بنى الإنسان ، هدى
المؤمنين به صراطاً مستقيماً . . . ودعاهم إلى ما يحقق لهم خيرى الدنيا
والآخرة وحشهم لبناء صرح حياتهم الفردية والاجتماعية على الحب ،

حُبُّ اللَّهِ، وحُبُّ رسوله وأن يكون حُبُّ اللَّهِ وحُبُّ الرسولِ الكريمِ مسيطراً على فؤادِ المؤمن ولُبِّه ونفسه ، ومستولياً على كلِّ كيانِه وقلبه . . لا يُدانيه ولا يُقارِبُه حُبُّ الدنيا ومتاعِها ، أو حُبُّ الولدِ ، أو حُبُّ الأهلِ . . » أن يكونَ اللَّهُ ورسولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا « فإذا صدقَ إيمانُ المؤمنِ ، وامتلأ قلبه بنور اليقين ، وتعلق بحب خالقه والمُنعم عليه ، واهب الحياة ومالك الملك . . وأحَبَّ نبيِّه وهادِيَه صاحبَ الرسالة العُظمى ﷺ . . إذا صدَّقَ إيمانُ المؤمنِ كان لهذا الإيمانِ ثمراتُه الكثيرة . . ومن ثمراتِ هذا الإيمانِ استجابةُ المؤمنين لنداءِ الحقِّ بالتَّأخِي والتَّحَابِّ في الله عز وجل والتفافِ المؤمنين إِخوةً متحابين تربط بينهم رابطةُ العقيدة ، غايَتُهُم إِعْلَاءُ كلمةِ الحقِّ ونصرةُ دينِ اللَّهِ ، والتعاونُ على ما يحقق لهم الخيرَ في الدنيا والفوزَ في الآخرة « وأن يُحِبَّ المرءُ لا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ » . .

يا أُنْبَاعَ مُحَمَّدٍ ﷺ :

الإسلام يقيم الصلة بين المسلمين على الإخاء الوثيق . . الإخاء الخالص لله عز وجل . . الإخاء الذي يُغَذِّيهِ الإيمانُ ، والذي يرتبط بأهداف الدعوة الإسلامية ، هذا الإخاء هو روحُ الإسلام ولُبُّ مبادئه وشرائعه وقوامُ جماعته .

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ (١) .

لقد كان الناس قبل الإسلام ، جماعاتٍ متنازعةً وفِرَقاً متعاديةً ،

وأهواء متعارضة، فكان من فضل الله عليهم أن أرسل إليهم نبي الرحمة يجمع على الإيمان قلوبهم ويوحّد على طريق الحق صفوفهم ، ويُزيل من النفوس كل مُسببات الشحناء ويُطهر القلوب من كل أسباب البغضاء . . وجاهد الهادي الحبيب ﷺ في الله حق جهاده مستمداً العون من الله عز وجل . . حتى ارتفع صرح المجتمع الإسلامي وتماسكت كيناته على أساس من الأخوة في الله ، والحب في الله . . فحلّ التفاهم والتراحم محلّ التخاصم والتقاطع ، وحلّت المبادرة إلى الخير محلّ المبادرة إلى الشر . . وصارت الرابطة التي تجمع المسلم إلى المسلم هي رابطة العقيدة ، وأخوة الدين وتحطمت حواجز الجنس أو اللغة ، لتحلّ محلّها روابط المبادئ السامية .

وصار المسلمون في ظل تلك الأخوة الكريمة يلبس بعضهم لبعض ، ويرحم بعضهم بعضاً ، ويرفق قويهم بضعيفهم ، ويُعين قادرهم عاجزهم ، ويألم المؤمن لألم أخيه ويفرح لسروره . .

صار المسلمون في ظل الأخوة والمحبة دعاة للخير ونهاة عن الشر . . وتلون عواطفهم الإنسانية بالحب والبغض تبعاً لما يُصيب الإسلام وأُمته من خير أو شر ، وتلون سلوك المسلم في حياته وفق ما تقضى به هذه الأخوة الإيمانية الكريمة . . فهو يمنع أذاه عن إخوانه المؤمنين ، وهو يرد عنهم عاديّات الزمان ، وهو يُؤثّرهم على نفسه عند الحاجة ، وهو يُعين مَنْ يحتاج إلى عونه وبرّه . . . وهو يحب أهل التقوى والصلاح ويكره أهل الإلحاد ، ومن يكون حرباً على دين الحق ولو كانوا يمتنون إليه بقرابة أو دم . . والمؤمن في ظلال الأخوة الإيمانية يُرشد أخاه إذا ضلّ . . . ويُبصره إذا وجَد فيه انحرافاً . . ويُعينه على الخير والهدى إن وجده مستقيماً على الخير والهدى .

تِلْكُمْ هِيَ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ إِنَّهَا أُخُوَّةٌ تَعْتَمِدُ عَلَى رُكْنَيْنِ عَظِيمَيْنِ :
على رسالة مُقَلَّسَّة تَنَزَّلَتْ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . . . فَهُمْ يَعِيشُونَ لَهَا ،
وَيَتَفَانُونَ فِي سَبِيلِهَا .

وعلى أمة مُتَسَانِدَةٍ ، متعاونة للعمل بها في كُلِّ مجالٍ من مجالات الحياة .
يا أتباع محمد ﷺ :

لقد جاءت في سنة رسولِ الله ﷺ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ لِلْحَضِّصِ عَلَى
الْأُخُوَّةِ وَتَأْكِيدِهَا وَإِقَامَتِهَا عَلَى مَبَادِيءِ الدِّينِ وَأَهْدَافِهِ وَغَايَاتِهِ .. وَجَعَلَ
هَذِهِ الْأُخُوَّةُ شَرَكَةً رُوحِيَّةً وَمَادِيَّةً قَائِمَةً عَلَى الْوَفَاءِ بِتَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ ،
وإِنْفَازِ وَصَايَاهُ ، وَإِبْلَاجِ هُدَايَاتِهِ ، وَبِتَالِكِ الْأُخُوَّةِ الْمُخْلِصَةِ تَعِيشُ الْأُمَّةَ
الْإِسْلَامِيَّةَ مُخْلِصَةً لِرِسَالَتِهَا ، حَرِيصَةً عَلَى إِنْجَاحِهَا ، تَحِيًّا بِهَا ، وَتَحِيًّا لَهَا ،
وَلَا تَرَضَى سِوَى رِسَالَتِهَا السَّمَاوِيَّةِ مَوْضُوعًا وَلَا عُنْوَانًا . .

لماذا ؟ . . لماذا لَا يَرْضَى الْمُؤْمِنُ عَنْ مِنْهَاجٍ غَيْرِ مِنْهَاجِ الْإِسْلَامِ ؟
وَلَا تَتَعَلَّقُ نَفْسُهُ إِلَّا بِحُبِّ هَذَا الدِّينِ وَإِنْفَازِ وَصَايَاهُ ، وَلِزُومِ مَبَادِيئِهِ
وَأَحْكَامِهِ ؟

ذَلِكَ لِأَنَّ الْإِيمَانَ فِي الْإِسْلَامِ لَيْسَ كَلِمَةً تُقَالُ ، وَإِنَّمَا هُوَ اطمئنانُ
الْقَلْبِ وَعَمَلٌ تَظْهَرُ آثَارُهُ فِي سُلُوكِ الْفَرْدِ وَحَيَاةِ الْجَمَاعَةِ . . يَقُولُ
المصطفى ﷺ : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حُلَاوَةَ الْإِيمَانِ وَطَعْمَهُ :
أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ فِي اللَّهِ وَيُبْغِضَ
فِي اللَّهِ . . وَأَنْ تُوقَدَ نَارٌ عَظِيمَةٌ فَيَقَعَ فِيهَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مَنْ أَنْ يُشْرَكَ
بِاللَّهِ شَيْئًا . . » .

فَالْمُسْلِمُونَ ارْتَبَطَتْ آمَالُهُمْ وَحَيَاتُهُمْ بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ
بِالْإِنْتِسَابِ إِلَيْهِ . وَحُبُّ اللَّهِ يَقْتَضِي اتِّبَاعَ أَوَامِرِهِ سَبْحَانَهُ ، وَتَطْبِيقَ

أحكامه ، واجتناب ما نهى عنه . وحب الرسول ﷺ يقتضى اتباع سنته ، والسير على منهاجه .

والحب في الله يقتضى أن تكون العلاقة بين المسلم والمسلم قائمة على المودة والتناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوفاء والإخلاص في السر والعلن . . والبغض في الله يقتضى أن يكره المؤمن كل ما من شأنه أن يكون معادياً لكلمة الله ، ولمبادئ الحق والخير التي جاء بها الإسلام ، ولهذا كان من الخير للمؤمن . . أن يُقَدِّفَ في النار من أن يَحِيدَ عن منهاج الإسلام ومن أن يُشْرِكَ بالله شيئاً .

والرسول الحبيب ﷺ أخبرنا عن مكانة المتحابين في الله ، المخلصين لدين الله فقال : « إِنْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ نَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ بِمَكَانِهِمْ مِنْ اللَّهِ ... قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ... فَاخْبِرْنَا مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ ، وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا ... فَوَاللَّهِ إِنْ وَجَّهَهُمْ لَنُورٍ . وَإِنَّهُمْ لَعَلَى نُورٍ ، وَلَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ . وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١) . وَيَرَوِي أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْحَبِيبِ الْهَادِي ﷺ قَوْلَهُ : « مَا مِنْ رَجُلَيْنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلَّا كَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَى اللَّهِ أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِمُصَاحِبِهِ » .

ولتوكيد أواصر المحبة يخبر المؤمن أخاه الصالح بأنه أحبه لظهور استقامته وصلاحه ، فعن المقدم بن معديكرب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ » .

وليسأل المسلم أخاه في الله عن اسمه وأهله إذ إن ذلك يزيد القلوب قرباً ، فعن يزيد بن نعمة الضبي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أتى الرجل الرجل فليسأله عن اسمه واسم أبيه ، ومن هم أفانته أوصل للمودة » .

إن أهل الإخلاص المتحابين لله ، وفي سبيل الله يشملهم الله برحمته يوم تدل الشمس على الزموس .
فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يقول الله عز وجل يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي ، اليوم أظلم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي » .

وعن أبي إدريس الخولاني عن معاذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « يقول الله تعالى : وجبت للمحبين في ، وللمتجالسين في ، وللمتزاوئين في ، وللمتباذلين في » .

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أفضل الأعمال ، الحب في الله ، والبغض في الله » .

فانقوا الله - عباد الله - وتوبوا إليه توبه نصوحا فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

الحاسد والحسد مذمومان في العقل والشرع

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إياكم والحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » .

الحسد : أن يتمنى صاحب النفس المريضة زوال النعمة عن إنسان سواء تبنى أن يتحول إلى شخصه أم تمنى زوالها فيحسب .

والحديث الشريف يبين لنا أن الحسد مذموم ينبغي للمؤمن أن يتحذر منه ، وأنه يسبب لصاحبه الإثم وذهاب الحسنات .

ولما كان الحسد خلقاً ذمياً مع إضراره ببدن الحاسد وإفساده للدين ، فقد أمر الله عز وجل بالاستعاذة من شره ، فقال عز وجل : (وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) (١) . وجاء الأمر بالاستعاذة من شر حاسد إذا حسد بعد الأمر بالاستعاذة (من شر ما خلق) . والحسد أحد الشرور فتخصيصة بالذكر يدل على أن الحسد من أعظم الشرور خطراً وأكثرها ضرراً .

وقد جذرنا النبي ﷺ من أمرين يناقضان سلامة الدين وصحة اليقين هما : البغضاء والحسد لأنهما عدوان شرسان للإنسان إذا تسلطا عليه أحكام وملا قلبه بالهموم ، وشغلاه بتوافه الأمور ، فقال ﷺ : « دِبُّ إِيَّاكُمْ دَاءُ الْأُمِّ قَبْلَكُمْ : الْبَغْضَاءُ وَالْحَسَدُ ، هِيَ الْحَالِقَةُ خَالِقَةُ الدِّينِ لَا خَالِقَةَ الشَّعْرِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشَوْا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » :

فدعانا الرسول ﷺ إلى التحاب وإفشاء السلام والمودة تأكيداً للتحاب وبعثنا عليه ، لأن إفشاء السلام يساعده على نفى الحسد .

والناس يعيشون في خير وسلام ومحبة ما لم يظهر داء الحسد بينهم .
كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال : « لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَتَحَاسَدُوا » .

حقاً إن الحسد قد يضر المحسود إذا أراد الله ذلك وقدره ، ولكن ضرره على الحاسد أعظم وأكثر . قال حكيم : عقوبة الحاسد من نفسه ، ذلك أن الحسد يضر بالدين والجسم والنفس .

أما ضرر الحسد بالدين فالحاسد - والعياذ بالله - ناظم على ربه ، منكبر لعدله ، لأنه يبغض النعمة التي تظهر على غيره ، فأين الإيمان بأن الله هو الرزاق المنعم ؟ ولذا كان الحسد نقصاً في الدين ، وضعفاً في اليقين ، مع ما فيه من مخالفة لطريق الأنبياء ، ومتابعة لإبليس اللعين في حب الأذى والشر للعباد ، والمؤمن بحق يجب الخير لإخوانه ، وتسره النعمة إذا أصابت المؤمنين .

أما الحاسد فإنه ساخط لقسمة ربه ، ينظر لدنياه ، ولا يفكر في العواقب فيعيش لذلك مهموماً ، معذب النفس ، مُنغص البالي ، وكلما رأى نعمة محسوده زادت به هماً ، وكأنه يقول لربه : لِمَ قَسَمْتَ هَذِهِ الْقِسْمَةَ ؟ وذلك كما حسدوا النبي ﷺ لأنه فقير يتيماً واصطفاه الله للنعمة التامة والرسالة العامة ، فماذا قالوا : « وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيتَيْنِ عَظِيمٍ » (١) . فوبخهم الله ، وعلمنا فقال سبحانه : « أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مِّعَاشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ » (٢) .

ولما حسد اليهود النبي محمداً ﷺ كانت العاقبة الكفرَ والهلاكَ
وَوَيْبَتْهُمْ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَعَلَّمْنَا فَقَالَ : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى
مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (١) .

وكما يضرُّ الحسدُ دينَ الحاسدِ فإنه يضرُّ جسمه حتى لقد يؤدِّي به إلى
التلفِ دون أن يصابَ المحسودُ بضرٍ . قال، معاذةً عن أبي ذرٍّ رضي
الله عنهما : « ليسَ في خِصَالِ الشَّرِّ أَعْدَلُ من الحسدِ ، يَقْتُلُ الحاسِدُ قَبْلَ
أن يَصِلَ إِلَى المحسودِ » . ذلك أن الحسدَ عَظِيمُ الضَّرَرِ بِنَفْسِ الحاسدِ ،
لأنه يَحْمِلُ القَلْبَ هُمُومًا لَا يَطْبِقُهَا ، ولذا قال حكيمٌ : « يكْفِيكَ من
الحاسدِ أَنَّهُ يَغْنَمُ في وقتِ سروركِ » .

وقال الحسن : ما رَأَيْتُ ظَالِمًا أَشْبَهَ بِمَظْلُومٍ من حاسدٍ : نَفْسٌ دَائِمٌ ،
وَحُزْنٌ لَازِمٌ ، وَعَبْرَةٌ لَا تَنْفَدُ » .

فالحاسدُ والعياذُ باللهُ يخسرُ دينه ، ويخسرُ دنياه ، ويصبحُ عدوًّا
لنعمِ الله ، قال ابن مسعود رضي الله عنه : لَا تُعَادُوا نِعَمَ اللَّهِ ، قِيلَ لَهُ :
وَمَنْ يُعَادِي نِعَمَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الَّذِينَ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ
من فَضْلِهِ . قال الله تعالى في بعض الكتب : « الحَسُودُ عَدُوٌّ نِعْمَتِي ،
مُتَسَخِّطٌ لِقَضَائِي ، غَيْرُ رَاضٍ بِقِسْمَتِي » .

ونعمةُ الله عز وجل لن تزولَ عن الملحَنودِ بسببِ الحاسدِ ، فاللهُ
عز وجل قَدَّرَ وتقديره نافذٌ رضي الحاسدُ أم كره فكل شيءٍ عنده تعالى
بمقدارٍ ، ولكلٍّ أَجَلٌ كتابٌ ، ولن يغيّرَ الحسدُ من قضاءِ الله شيئاً ،
ولو كانت كلُّ نعمةٍ تزولُ بالحسدِ لما بقى على الأرضِ مَنْ يُؤْمِنُ باللهِ ،
لأنَّ الكفارَ يحسدونَ المؤمنينَ على نعمةِ الإيمانِ . قال الله تعالى :
﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ (٢) .

ولما كان للحسد أثره في إفساد القلوب وإثارة العداوة، لأن الحاسد قد يسعى في ضرر المحسود ، أو يعمل على التشهير به ، أو ينال منه بلسانه ظلماً وعدواناً ، فإن الله عز وجل أمرنا أن نلتجئ إليه وحده نستعيذ به من شر الحاسد ، فهو وحده القادر على كَفِّ آذاه وإحباط سعيه . قال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ (١) .

أيها المسلمون :

إن الحسد شره عظيم ، فهو سبب كل قطيعة ، ومفرق كل جماعة ، وإذا تمكن من نفس صاحبه أفسد عليه أخلاقه ، وسهل عليه الكذب والغيبة والغدر والنميمة والسعاية إذا وجد في واحد منها ما ينال به غرضه من محسوده .

ولذا كان الحاسد ممقوتاً عند الناس لا ينال في المجالس إلا الندامة ، كما لا ينال عند الملائكة إلا لعنة وبغضاء ، ولا ينال في الخلوة إلا جزعاً وغماً ، ولا ينال في الآخرة إلا حُزناً واحتراقاً ، ولا ينال من الله إلا بعداً ومقتاً .

ولنتدبر تبرؤ النبي ﷺ من الحاسد والنمام والكاهن ، يقول : « ليس مني ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه . ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ (٢) » .

إن الحسد يصدر من نفس مريضة والمرض يمكن علاجه إذا صح العزم ، وصدقت النية ، وهو وليد العجز عن الفضائل التي منحها الله

للمحسود ، ووليدُ الحقد والبُغض ، وعلاجُهِ في اتباع الدين والرضا بقضاء الله تعالى ، والقناعة ، ولذا قالوا : مَنْ رَضِيَ بِقِضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى لَمْ يُسْخِطْهُ أَحَدٌ ، وَمَنْ قَنَعَ بِعَطَائِهِ لَمْ يَنْخُلْهُ حَسَدٌ . وهذا المعنى مأخوذ من دعاء للنبي ﷺ ، وفيه يقول : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَفْساً بِكَ مَطْمَئِنَّةً ، تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ وَتَقْنَعُ بِعَطَائِكَ » .

وكان من دعائه ﷺ : « اللَّهُمَّ احْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ قَائِماً وَاحْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ قَاعِداً ، وَاحْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ رَاقِداً ، وَلَا تُشْمِتْ بِي عَدُوّاً وَلَا حَاسِداً ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ خَزَائِنُهُ فِي يَدِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ خَزَائِنُهُ فِي يَدِكَ » .

وقال ﷺ : « ثَلَاثَةٌ لَا يُسْتَجَابُ دَعَاؤُهُمْ : آكِلُ الْحَرَامِ ، وَمُكْثِرُ الْغِيْبَةِ ، وَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ غِلٌّ أَوْ حَسَدٌ لِلْمُسْلِمِينَ » .
وقال ﷺ : « الْمُؤْمِنُ يَغْرِيطُ وَالْمُنَافِقُ يَحْسُدُ » .

وروى الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اشْتَكَى فَتَأَنَاهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ : « بِاسْمِ اللَّهِ أَرْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ كُلِّ حَاسِدٍ وَعَيْنٍ اللَّهُ يَشْفِيكَ » .

وعن عقبه بن عامر أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنْ النَّاسُ لَمْ يَتَعَوَّدُوا بِمِثْلِ هَذَيْنِ : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) وَفِي رَوَايَةٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ : « مَا سَأَلَ سَائِلٌ بِمِثْلِهِمَا وَلَا اسْتَعَاذَ مُسْتَعِيزٌ بِمِثْلِهِمَا » .

فاتقوا الله عباد الله واستعينوا من شر حاسدٍ إذا حسد ، واطلبوا منه المغفرة والرحمة وتوبوا إليه لعله يرحمكم .

الْأَمَانَةُ

من خصال أهل البيت والخير

قال رسول الله ﷺ : « أَرَبْعُ إِذَا كُنَّ فَيْكَ ، فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ .
من الدنيا : حفظُ أمانةٍ ، وصِدْقُ حديثٍ ، وحُسْنُ خَلِيقَةٍ ، وعِفَّةٌ
فِي طُعْمَةٍ » .
أيها المؤمنون :

الحبيبُ المصطفى ﷺ يرشد أُمَّتَهُ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَيَحْثُمُهُمْ
عَلَى التَّحَلِّيِ بِمَحَاسِنِ الْأَدَابِ ، وَتِلْكَ أَرْبَعُ خِصَالٍ مِنْ تَحَلَّى بِهَا فَلَا عَلَيْهِ
مَا فَاتَهُ مِنَ الدُّنْيَا : إِذَا أَتَمَّنَ حِفْظَ الْأَمَانَةِ ، وَإِذَا تَحَدَّثَ صِدْقٍ ، وَأَنْ
يَكُونَ حَسَنَ الْأَخْلَاقِ ، سَهْلَ الطَّبَعِ ، لَيِّنَ الْجَانِبِ ، وَأَنْ يَتَحَرَّى الْكَسْبَ
الْحَلَالَ ، وَلَا يَطْمَعُ فِيمَا لَيْسَ لَهُ بِحَقٍّ .

وَالْأَمَانَةُ هِيَ كُلُّ مَا يُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْمَرْءُ مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ وَشَأْنٍ مِنْ دِينٍ
وَدُنْيَا . فِرْعَايَةُ حَقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى ، بِتَأْدِيَةِ الْفَرَائِضِ وَالْوَاجِبَاتِ ، وَتَرْكِ
الْمَحْرُمَاتِ أَمَانَةٌ ، وَقَدْ رَوَى هَذَا الْمَعْنَى مَرْفُوعاً مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَكْفِرُ
الذُّنُوبَ كُلَّهَا » . أَوْ قَالَ : « كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْأَمَانَةَ فِي الصَّلَاةِ ، وَالْأَمَانَةُ
فِي الصَّوْمِ ، وَالْأَمَانَةُ فِي الْحَدِيثِ ، وَأَشَدُّ ذَلِكَ الْوَدَّاعِ » . وَقَدْ قَالَ جَمَعَ
مِنَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، عَنْ الْأَمَانَةِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى :
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ (١) .

قالوا : الْأَمَانَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، فِي الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ .

والكيل والميزان والودائع . ومن الأمانة حفظُ حقوق العباد ، فلا يطمع المرءُ في وديعة أؤتمن عليها ، ولا ينكر مالا وكل إليه أمر حراسته ، أو ديناً في ذمته .

روى أبي بن كعب قال : « سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « أدِّ الأمانةَ إلى من ائتمنك ولا تحن من خازنك » . وواضحٌ من الحديث أنه لو كان المودعُ نفسه قد خان الأمانة من قبل ، فلا ينبغي للمؤمن أن يخونه في وديعته ، وإنما عليه أن يعملَ بدينه ، فيفِي له ، ويؤدِّي إليه أمانته ، ثم يستعين الله عليه ، وهذا نهاية الكمال الإنساني في خلق الأمانة ، ووجوبِ تَجَنُّبِ الخيانة .

فالمؤمن الذي يخشى ربه ، ويرجو ثوابه يسارع إلى رد الأمانة إلى صاحبها إذا ما استردها منه . روى أبو أمامة قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في خطبته عام حجة الوداع : « العارية مؤداة ، والمنحة مردودة ، والدين مقضى ، والزعيم غارم » .

وعقود شركات التجارة بين التجار والمتعاملين من جملة الأمانة الواجب الاستمساك بها والوفاء بشروطها . قال رسول الله ﷺ : « المسلمون عند شروطهم » . وقال ﷺ : « إن الله يقول : أنا ثالثُ الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه فإذا خانهُ خرجتُ من بينهما » . والمعنى : أن معونة الله وتوفيقه يكونان مع الشريكين الأمينين ، فإذا خان أحدهما صاحبه ارتفع أثرهما من تجارتها ، بالحرمان من معونة الله وتوفيقه ، وهذا أمر مشاهدٌ في الحياة ، فإن صفة الأمانة في التاجر توطد ثقة إخوانه فيه ، وتجعلهم يُقبلون على معاملته ، فتزداد أرباحه ، ويتحقق نجاحه ، وبالعكس إذا كان غير أمين ، فإن الإفلاس

يَحِلُّ به ، والناس ينصرفون عن معاملته . . ومن ثمَّ قال الحبيب المصطفى ﷺ : « الأمانةُ غِنَى » . وقال : « الأمانةُ تجلبُ الرزقَ والخيانةُ تجلبُ الفقرَ » . ومن صفات التاجر الأمين أنه لا يستعمل الغش ، ولا التطفيف في وزن أو كيل ، ولا يُخْفِي عيوبَ السلعة . ولقد حذر الاسلام من الغش في المعاملات والخيانة فيها . قال ﷺ : « من غَشَّنَا فليس مِنَّا المكرُ والخديعةُ والخيانةُ في النار » .

يا أهل الإسلام :

إن الأمانةَ عَظيمةُ القدر في الدين ، ومن عَظَّمَ قدرها أنها تقوم هي والرحمُ على جَنَبَتَي الصراط ، فلا يُمكنُ من الجواز إلا من حَفِظَهما ، فليَتَّقِ اللهَ المؤمنُ في الأمانةِ فإنه لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له كما أخبرنا الحبيب المصطفى ﷺ وليعلم المؤمن أن الأمانة كما تكون في العبادات ، وفي الأموال فإنها تكون أيضاً في كتمان السر ، وإخلاص المشورة للمستشير ، وفي الفتوى ، وفي الحديث ، وفي الشهادة ، وفي صدق التبليغ فيما كلف الشخص أن يبلغه ، فمن حمل رسالة عليه أن يوصلها على وجهها الصحيح بلا زيادة ولا نقصان . والذي يستودع أخاه سرّاً فهو واثق به ، مطمئن إلى كتمانهِ ، فيصير السر أمانةً ينبغى أن تُحفظ ، ومن يستشير أخاه في أمرٍ ، فهو يبغى عنده النصيحةَ والإخلاصَ ، فصار من الأمانة أن ينصح له ، ولا يغشّه . . ولنتدبر قول الحبيب المصطفى ﷺ : « المستشارُ مؤتمنٌ ، فإذا استشير أحدكم فليُشِرْ بما هو صانع لنفسه » . أى يجعل أخاه بمنزلة نفسه ، فما يُحبّه لنفسه ينصح به أخاه ، وقد حذر الحبيب المصطفى ﷺ من الخيانة في الشورى فقال : « مَنْ أَسَارَ إلى أخيهِ بأمر يعلمُ أن الرشدَ في غيره فقد خانَهُ » . ومن الأمانة أن

يقوم المؤمن بواجبات العمل أو الوظيفة التي يشغلها بصدق وإخلاص ،
فيجتهد في أداء العمل على أكمل وجه ولا يتوانى فيه ، فالعمل والوظيفة
بمثابة العهد بين المرء وأُمته ، أو بينه وبين صاحب العمل ، فعليه أن
يراقب الله فيه . وقد مدح القرآن الكريم الأبرار الناجين من عذاب
جهنم فقال في صفتهم : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (١).
وهذا عام في كل ما أؤتمن عليه المؤمنون وعاهدوا به من جهة الله تعالى ،
ومن جهة الناس كالتكاليف الشرعية والأموال المودعة والأيمان الموثقة ،
والنذور الملتزمة ، والعقود المحترمة وغير ذلك ، ولهذا جُمِعت الأمانة
في الآية دون العهد . إن الأمانة هي ينبوع السعادة ، وبصدر الفلاح ،
بها يثق الناس بالمرء ، فيمنحونه أموالهم يتجر بها وأعمالهم يتصرف
فيها ، فيفيد ويستفيد ويجد الأمين المعونة على الشدائد في كل وقت ،
والأُم لم ترق ولم تحظ بالغنى إلا بالأمانة ، فما رُبحت تجارة وازدهرت
إلا بها ، ولا راجت صناعة بغيرها ، ولا أفلحت شركة بسواها .

إن الأمانة في الناس والمحافظة على العهود الموثقة بينهم هي سبب
كل خير وسعادة وصلاح ، وقد أخبرنا الحبيب المصطفى ﷺ أن أُمته
لا تزال بخير ، ما لم تر الأمانة التي تؤتمن عليها غنيمة حلالاتها ،
فيخون المرء الأمانة ، ويغدر بصاحبها ، وفي هذا قال ﷺ : « لَا تَزَالُ
أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ تَرَ الْأَمَانَةَ مَغْنَمًا ، وَالصَّدَقَ مَغْرَمًا » .

وقال ﷺ : « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالصًا ، وَمَنْ كَانَتْ
خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا : إِذَا أُوْتِيَ
سَخَانٌ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبٌ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ » .

نَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُحَبِّبَ الْأَمَانَةَ إِلَى نَفْسِنَا ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا
الإخلاص في القول والعمل إنه نعم المولى ونعم النصير .
وقال ﷺ : « الْأَمَانَةُ تُجْلِبُ الرِّزْقَ ، وَالْخِيَانَةُ تُجْلِبُ الْفَقْرَ » .
فاتقوا الله - عباد الله - وسلوه من فضله فإن الله يحب أن يُسأل .
وتوبوا إليه لعله يغفر لكم .



للخطبة الثانية :

إِنْ كُلَّ حَقٍّ عِنْدَكَ لِلْغَيْرِ تُؤَدِيهِ فَهُوَ أَمَانَةٌ ، فَالَّذِينَ أَمَانَةٌ وَالْوَدِيعَةُ
أَمَانَةٌ وَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِرِيدٍ أَدَّاهَا أَدَّى
اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ » . وَالْمِيعَارُ الْحَقُّ فِي الْكَيْلِ .
وَالْمِيزَانُ أَمَانَةٌ ، وَنُصِحَ النَّاسُ أَمَانَةٌ ، وَلِلزَّوْجِ عَلَى الزَّوْجَةِ حَقٌّ هِيَ .
أَمَانَةٌ ، وَلِلزَّوْجَةِ عَلَى زَوْجِهَا حَقٌّ هِيَ أَمَانَةٌ ، وَدَمُ الْإِنْسَانِ وَعَرْضُهُ .
أَمَانَةٌ ، وَالسِّرُّ أَمَانَةٌ .

وَمِنَ الْأَمَانَةِ أَلَّا يَسْتَعْمَلَ سَمْعَهُ أَوْ نَظْرَهُ ، أَوْ شَيْئًا مِنْ جَوَارِحِهِ فِي
فُحْشٍ أَوْ بَاطِلٍ وَأَلَّا يَقُولَ لِسَانُهُ إِلَّا حَقًّا . وَكُلُّ مَا يَطْلُبُهُ الدِّينُ مِنْهَا
مِنْ خَيْرِ أَمَانَةٍ ، وَكُلُّ مَا يَطْلُبُ تَرْكُهُ مِنْ شَرِّ أَمَانَةٍ ، وَإِنَّ الصَّادِقَ فِي
قَوْلِهِ ، الْوَفَىَّ بَعْدَهُ وَوَعْدُهُ ، الْأَمِينُ عَلَى مَا أَوْثَمَ عَلَيْهِ مَقْرَبٌ مِنَ اللَّهِ ،
مَنْعَمٌ فِي أَهْلِهِ ، مُحِبٌّ مِنَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ، إِنْ قَالَ قُبُلِ قَوْلِهِ ، وَإِذَا
طَلِبَ أُجِيبَ إِلَى طَلْبِهِ ، أَمْوَالُ النَّاسِ كَأَنَّهَا أَمْوَالُهُ ، وَثَرَوَتُهُمْ كَأَنَّهَا
ثَرَوَتُهُ لِأَنَّهُمْ يَدْفَعُونَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَيَسْلَمُونَهُ مَا يَشَاءُ مِنَ الْبَضَائِعِ
الْمَمْلُوكَةِ لَهُمْ طَبِيبَةُ نَفُوسِهِمْ ، مَنْشُرَةُ صُدُورِهِمْ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ وَاثِقُونَ مِنْ
دِينِهِ وَأَمَانَتِهِ وَأَنَّهُ لَا يَمَاطِلُ فِي حَقٍّ ، وَلَا يَسُوفُ فِي وَعْدٍ .

وهكذا كان السلف الصالح فمثلوا هذا الدين أصدق تمثيل ، وبلغوه
للأئمة أحسنَ بلاغ بالأعمال قبل الأقوال . ومن وصايا الرسول ﷺ
قوله لأبي بكر رضى الله عنه :

« عليك بصدق الحديث ، ووفاء العهد ، وحفظ الأمانة فإنها
وصية الأنبياء » .

وكان عمرُ بنُ الخطاب رضى الله عنه يقول : لا يُعجبكم من
الرجل طُنْطُنْتُهُ ، ولكن من أدَّى الأمانة وكفَّ عن أعراض الناس
فهو الرجلُ .

والإمام على رضى الله عنه قال : أداء الأمانة مفتاح الرزق .

وقال على رضى الله عنه : كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فطَلَعَ
علينا رجلٌ من أهلِ العالية فقال : يا رسولَ الله أخبرني بأشدَّ شيء في
هذا الدين وألينه فقال : أَلْيَنُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَشَدُّهُ يَا أَخَا الْعَالِيَةِ الْأَمَانَةُ ، إِنَّهُ لَا دِينَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ
لَهُ ، وَلَا صَلَاةَ لَهُ ، وَلَا زَكَاةَ لَهُ . وقال ﷺ : « إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ
وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ ، فَقِيلَ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ :
ابنِ فُلَانٍ » .

التعاطف والتراحم

الحمد لله نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ ، وَنُسْتَهْدِيهِ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ
وَنُتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَنَسْأَلُهُ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ ، أَرْسَلَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ لِيَتِمَّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ،
وَيَدْعُو إِلَى التَّعَاوُنِ وَالتَّكَافُلِ وَالتَّعَاطُفِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَجْزَلَ سُبْحَانَهُ
الْثَوَابِ لِأَهْلِ الْمَرْوَعَاتِ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا مَعْبُودَ بِحَقِّ سِوَاهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ حَبِيبَنَا وَمُعَلِّمَنَا وَهَادِيَنَا مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعَثَهُ رَبُّهُ رَحْمَةً
لِلْعَالَمِينَ ، أَدَبَهُ رَبُّهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهُ فَكَانَ قُدْوَةً طَيِّبَةً لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ
الرَّاغِبِينَ فِي سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ ، وَالْفُوزِ بِالْحَسَنَيْنِ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا الْأَمِينِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ
الطَّاهِرِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ . .
أَمَّا بَعْدُ : فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ . .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ نَفَسَ
عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كَرْبَةً مِنْ كُرْبِ
يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مَعْسَرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ،
وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ
الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ
بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ
كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمْ
الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ
عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ »
رواه مسلم بهذا اللفظ

أبها المؤمنون :

هذا الحديث الشريف من جوامع كلمه ﷺ وقد اشتمل على جملة من الفضائل ومكارم الأخلاق ، ومحاسن الآداب التي تعد من خصال ذوى المروءات ، وصفات المؤمنين الصالحين الذين يعرفون للأخوة في الدين حقها ، ويقدرّون المروءة حق قدرها ، ويستزبدون من الخيرات بفعل الصالحات ، ويرون للضعيف حقاً من قوتهم ، وللفقير نصيباً من أموالهم ، وللمغبون حظاً من جاههم وسعيهم .

ففي الحديث الشريف الترغيب في تنفيس كربات المؤمنين ، والكربة هي الشدة العظيمة التي تُوقِعُ صاحبها في الكرب والضيق . وتنفيس الكربة : أن يخفف عنه منها ، وأن يهون من أثرها على نفسه ، فإذا فرّجها عنه كان جزاؤه أعظم لأن تفريج الكربات معناه إزالته فيزول همه وغمه ، ولذا جاء في رواية ابن عمر : « ومن فرّج عن مسلم فرّج الله عنه كربته من كرب يوم القيامة » ذلك أن الجزاء من جنس العمل .

وفي الترغيب في تفريج الكرب وإزالة الهموم عن المسلم يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : « أيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة ، وأيما مؤمن سقى مؤمناً على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم ، وأيما مؤمن كسا مؤمناً على عرى كساه الله من خضر الجنة » .

فطوبى لمن وقف إلى جانب أخ له مسلم في شدته ومحتنه يخفف عنه ويمد له يده ، ويحمل عنه بعض همومه ومتاعبه إن ذلك من المروءات التي يُجَزَلُ فيها الثواب ، وما دام العمل خالصاً لوجه الله فإن يضيع عند

اللَّهُ عز وجل حتى إنَّ العملَ الطيبَ ليقفُ إلى جوارِ صاحبه يومَ الخسرِ
يومَ تدنو الشمسُ من العباد ، جاءَ في المسندِ من حديثِ عقبةَ بنِ عامرٍ
مرفوعاً : « كلُّ امرئٍ في ظلِّ صدقته حتَّى يُفصلَ بينَ النَّاسِ » .

وعن أبي مسعود رضى الله عنه قال : « يُحشَرُ النَّاسُ يومَ القيامةِ
أعزى ما كانوا قَط ، وأجوعَ ما كانوا قَط ، وأظمأَ ما كانوا قَط ،
وأأنصبَ ما كانوا قَط ، فمن كسا الله كساه الله ، ومن أطعمَ الله أطعمهُ
الله ، ومن سقى الله سقاه الله ، ومن عفا الله أعفاه الله . »

عباد الله :

يقول الرسول ﷺ : « وَمَنْ يَسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » .

وقد وصف الله عز وجل يومَ القيامةِ بقوله : ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ
لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾ (١) وقال عز وجل : ﴿ فَإِذَا نُفِرَ فِي
النَّاقُورِ * فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ (٢) .
فمن يسِّرَ على معسرٍ من المؤمنين يسر الله أموره في الدنيا ويسر
عليه شدائدَ يومِ القيامةِ .

والتيسير على المعسر في الدنيا من جهة المال يكون بأحد أمرين :
إمَّا بإمهاله حتى يتيسر له المال كما جاء في قوله تعالى :
﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ (٣) وإمَّا بالوضع (٤) عن المدين

(٢) المدثر : ٨ - ١٠ .

(١) الفرقان : ٢٦

(٣) البقرة : ٢٨٠

(٤) الوضع عنه : التنازل عن جزء من الدين .

أَيُّ التَّصَدُّقِ عَلَيْهِ بِبَعْضِ الدِّينِ إِذَا كَانَ الْمُتَصَدِّقُ هُوَ الْمُقْرَضُ ، أَوْ بِإِعْطَائِهِ مَا يَزُولُ بِهِ إِعْسَارُهُ ، وَكِلَاهُمَا لَهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ .

وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لَصَبِيَّانِهِ تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا ، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ » .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :
« مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلْيُنْقِصْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعُ عَنْهُ » .

وَفِي الْمُسْنَدِ عَنْ ابْنِ عَمْرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ أَرَادَ أَنْ تُسْتَجَابَ دَعْوَتُهُ أَوْ تُكْشَفَ كُرْبَتُهُ فَلْيَفْرُجْ عَنْ مُعْسِرٍ » .
إِنَّ التَّفْرِيجَ عَنِ الْمُعْسِرِ فِيهِ تَعَاوُنٌ ، وَفِيهِ بِرٌّ ، وَفِيهِ صَلَافُ فُطُوبَى لِمَنْ تَجْعَلُهُ اللَّهُ أَهْلًا لِلْخَيْرِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ :

وَمَا جَاءَ التَّرْغِيبُ فِيهِ ، وَالْحَثُّ عَلَيْهِ السِّرِّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَعَدَمُ التَّلَحُّثِ عَنِ الْمَسَاوِيءِ ، أَوْ ذِكْرِ الْعَيُوبِ ، أَوْ تَتَبِعَ عَوْرَاتِ الْبُيُوتِ ، فَنَفِي الْحَدِيثِ : « وَمَنْ سَتَرَ مَسْلَمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » . .

وَقَدْ جَاءَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ قَالَ : أَدْرَكْتُ قَوْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَيُوبٌ فَذَكَرُوا عَيُوبَ النَّاسِ فَذَكَرَ النَّاسُ لَهُمْ عَيُوبًا ، وَأَدْرَكْتُ قَوْمًا كَانَتْ لَهُمْ عَيُوبٌ فَكَفُّوا عَنْ عَيُوبِ النَّاسِ فَتُسِيَتْ عَيُوبُهُمْ .

وَقَدْ جَاءَ الْوَعِيدُ لِمَنْ يَسْعَى لِإِشَاعَةِ السُّوءِ عَنِ الْمُسْلِمِ وَتَتَبِعَ عَوَارِثَهُ لِمَتَّلَحَّثَتْ عَنْهَا فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ :

« مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَشَفَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ » .

وفى حديث أبي بردة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ :

« يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ » .

فَطُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عِيُوبِ النَّاسِ ، طُوبَى لِمَنْ يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ وَصَلَحَ بَيْتُهُ ، وَيُشْغِلُ نَفْسَهُ بِمَا يَعْتَنِيهِ ، وَيَقِفُ عِنْدَ حُدُودِهِ ، وَلَا يَعْمَلُ عَلَى إِشَاعَةِ السُّوءِ فِي الْمَجْتَمَعِ وَلَا يُسَيِّءُ إِلَى مُسْلِمٍ مُسْتَوْرٍ الْحَالِ ، وَيَكْفُ أَذَاهُ وَيُمْسِكُ لِسَانَهُ إِلَّا عَنْ خَيْرٍ . وَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ :

« وَلَا تَجَسَّسُوا (١) وَلَا تَحَسَّسُوا (٢) » وَالتَّجَسُّسُ الْبَحْثُ عَنْ مَعَايِبِ النَّاسِ وَأَحْوَالِهِمْ لِلتَّحَدُّثِ عَنْهَا وَهَذَا مِنْ أَقْبَحِ الْخُصَالِ وَمَدَانِيهِ الْأَخْلَاقِ .

يَا عِبَادَ اللَّهِ :

ثُمَّ حَثَّ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى السَّمَى فِي قَضَاءِ حَوَائِجِ الْمُسْلِمِ وَهَذَا مِنَ التَّعَاوُنِ عَلَى الْخَيْرِ وَالْبِرِّ فَيَقُولُ :

« وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ » .

فَمَنْ سَعَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ بِإِذْنٍ مِنْ وَقْتِهِ أَوْ جَاهِهِ أَوْ مَالِهِ حَتَّى تُقْضَى لَهُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُيسِّرُ لَهُ أُمُورَهُ ، وَيُعِينُهُ وَيُسَدِّدُهُ وَيُرْشِدُهُ .

(١) وَلَا تَجَسَّسُوا : أَيْ لَا تَبْحَثُوا عَنْ عِيُوبِ النَّاسِ .

(٢) وَلَا تَحَسَّسُوا : التَّحَسُّسُ وَرَدَ بِمَعْنَى الْبَحْثِ وَالتَّتَبُّعِ بِفَرَسٍ مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ النَّاسِ وَهُمْ فِي غَفْلَتِهِمْ وَهُوَ مِنَ الْحَسِّ وَهُوَ الْإِدْرَاكُ بِإِحْدَى الْحَوَاسِ الْخَمْسِ .

وفي الحديث : « وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ » .

وفي فضل قضاء حوائج المؤمن والسعي فيها جاء في حديث ابن عمر مرفوعاً : « أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ : كَسَوْتُ عَوْرَتَهُ أَوْ أَشْبَعْتُ جَوْعَتَهُ ، أَوْ قَضَيْتُ لَهُ حَاجَتَهُ » .

والنبي ﷺ وهو قدوتنا في طريق الخير والبر والهدى كان يَخْلُفُ الْمُسْلِمَ فِي أَهْلِهِ عِنْدَ سَفَرِهِ ، فيَقْضِي لِمَنْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، وَيَحْلُبُ لِمَنْ يَهْمَتُهُمْ

تقول بنتُ خبابِ بنِ الأَرْتِ : خرج خَبَابٌ فِي سَرِيَّةٍ ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَعَاهَدُنَا حَتَّى يَحْلُبَ عَنزَةً لَنَا فِي جَفْنَةٍ لَنَا فَتَمْتَلِئُ حَتَّى تَفِيضَ ، فَلَمَّا عَادَ خَبَابٌ حَلَبَهَا فَعَادَ حِلَابُهَا إِلَى مَا كَانَ .
وكذا كان يفعلُ أَبُو بَكْرٍ وعمرُ وغيرُهما من أَجَلَاءِ الصَّحَابَةِ رضوانُ الله عليهم .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ، « كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَحْتَمَلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِبَةُ صَدَقَةٌ ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ » .

فاتقوا الله عباد الله وتوبوا إليه توبةً نصوحاً فالتائبُ من الذنب كمن لا ذنبَ له .

الخطبة الثانية :

أحمد الله تبارك وتعالى ، وأصلى وأسلم على رسوله الأمين وعلى آله وأصحابه ومن اقتدى به وعمل بسنته إلى يوم الدين .

أما بعد :

فقد جاء في الحديث الذي استمعنا إليه اليوم ما يدلُّ على فضل العلم ومرتبة أهله ، وفضل السعي إلى طلبه ولتدبير :

« وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتابَ الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفَّتْهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن أَبْطَأَ به عمله لم يُسْرِعْ به نُسْبه » .

فطالبُ العلم من أعلى أهل الإيمان منزلةً إذا هو أخلص في طلبه وجَدَّ في مدارسته ، ورجا بطلبه وجهَ الله لمنفعة نفسه ومنفعة أهله وأُمته .
وأشرفُ عِلْمٍ يَسْعَى الإنسانُ إلى طلبه هو ما يُعِين المسلم على معرفة ربه ، والعلم بما يليقُ به سبحانه وتعالى من صفات الكمال ونعوت الجلال ، وحقوقه سبحانه في أعناق عباده .

ومن سعى لطالب العلم النافع مع الإخلاص والصدق مهَّد الله له طريقه إلى جنَّة الخلد ، حيث النعيم الدائم ، وما أشرف مجالس العلم ، ومجالسة العلماء العاملين المخلصين ، فمجالس العلم التي يتدارس فيها أهلها كتابَ الله ليعرفوا حدوده ، ويقفوا على عِبره وعظائره ، ويتفهموا شرائعه وفضائله هذه المجالس تُظللها رحمة الله عز وجل ، ويشعر أهلها

ببرد الطمانينة والقناعة ، وتجالسهم الملائكة ، ويُباهى بهم الله السميعُ
العليمُ أهلَ السماء .

ولننا في يوم القيامة لا نُسأل عن الأنساب والأحساب، وإنما عن
الأعمال والأقوال . . فمن عمل خيراً ، وقال حسناً وعدلاً كان من
الفائزين ، ومن ساءت سريره ، وخبت عمله ، وقبح كلامه وغلبت
سيئاته حسناته فالويلُ له « وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » .

فطوبى للمتنافسين في طاعة الله ، الراغبين في عفوه ورحمته ،
اللهم أصليح لنا ديننا الذى هو عصمةُ أمرنا ، وأصليح لنا دنيانا التى
فيها معاشنا ، واجعل الحياةَ زيادةً لنا في كل خير ، واجعل الموتَ
راحةً لنا من كل شراً أرحمَ الراحمين .

اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ،
وبارك لنا فيما أعطيتنا ، واجعلنا من عبادك الصالحين .

اللهم لا تدع لهذا الجمع في هذا اليوم ذنباً إلا غفرته ولا همّاً إلا
فرجته ولا ديناً إلا قضيته ، ولا حاجةً هي لك رضا ولنا فيها صلاح إلا
قضيتها ويسرتها يا أرحمَ الراحمين ، ولا مريضاً ولا مريضاً إلا شفيته
يعفوك ورحمتك .

اللهم أنصر الإسلامَ وأهله ، واخذل الباطلَ وأهله واجمع كلمة
المسلمين على المحبة الخالصة ، وارضى اللهم عن أصحاب رسول الله ﷺ
وصلِّ اللهم على الحبيب المصطفى وأكثروا من الصلاة عليه ﴿ إِنَّ اللَّهَ
وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

بِرِّ الوالدين وواجبنا نحوهما

الحمد لله الذي أنزل الناس منازلهم في الرعاية والاحترام ، وجعل حقوق الوالدين في أعلى مقام ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أدب أُمته وأحسن تعليمها . . أحمد الله تعالى وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله جعل طاعة الوالدين سببا في حبه ورضاه . . . وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير من حفظ السق لأصحابه ورعاه . . . صلى الله على الحبيب الهادي محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه . .

أما بعد :

فيا أيها المسلم : يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَبُكُوا إِلَّا إِلَىٰ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ، وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ، وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (١) ..
أيها المسلم :

والدائك سبب وجودك ، وأصل حياتك ، يحفظانك برعايتهما ، ويتعهدانك بالتربية والتهديب .

أهلك حملتك في بطنها جنينا ، وبرغم آلام الحمل كانت فرحة بك قبل ولادتك . . ووضعتك وليداً ، وهما تقاسي من آلام الوضع فإنها تنسى عذابها برؤية وجهك ، وغلبتك بلبنها رضيعاً وحفظتك فضيلاً تسهر لمريضك متخوفة لا تنام ، مشفقة عليك من العليل والأسقام . . . تفضلك على نفسها في العطية . . وتنسى نفسها في سبيلك .

أما الأب فإنه يجاهد الزمن ، ويسعى في طلب الرزق لينفق عليك ،

ويسد حاجتك ويمضي ساعياً عاملاً ، فإذا رجع إليك والاك بعطفه وحبه
وحنانه وبره . . .

وضع الله عز وجل الرحمة في قلب الوالدين من أجل وليدهما . .
ولهذا لن نجد صلة قوية البنیان ، متينة الأساس كصلة الوالدين بولدهما .
لأنها صلة طبيعية من صنع الله عز وجل تملأ قلب الأم والأب برغهما
لا باختيارهما . . إنه الحنان الإلهي من الوالد لولده . . . حنان يظهر
أثره في تلك الرعاية الشاملة وذلك العطف الأبوي ، وتلك الرحمة التي
تملأ قلب الأبوين . .
أيها المسلم :

إن فضل الوالدين عظيم . . لهذا قضى الله في محكم كتابه علينا
بتوحيده وعبادته وحده لا شريك به أحدا ، وقرن - سبحانه - الأمر بتوحيده
بالأمر بالإحسان إلى الوالدين وعدم الإساءة إليهما ولو بأدنى كلمة تصدر
من اللسان ، أمرنا عز وجل بحسن الخلق معهما ، وبلين الجانب ،
وجميل القول ، وخفيض الجناح تواضعا ورفقا بهما وبخاصة إذا تقدمت
بهما أو بأحدهما السن ، واحتاجا إلى ولدهما الذي كان بالألمس أفقر
خلق الله إليهما .

أيها أيها المسلم :

إن عليك لوالديك ديناً لا يمكنك سداؤه مهما بالغت في إكرامهما
والتودد إليهما ، ورعاية جانبهما . إن لهما عليك حقوقاً واجبة الأداء .
أمر بها الشرع ، وأقرها العقل إن من حقهما عليك أن تطيعهما ،
وتحترمهما ، وتساعدهما بمالك إن احتاجا ، وأن تتولى خدمتهما إن
ضعفا . . وأن تلازمهما في المرض ، وتجتهد في إرضائهما ، وأن تدخل

السُّرُورَ عَلَيْهِمَا بِإِظْهَارِ حُبِّكَ لهما ، وَسُكْرِكَ عِنْدَ غَضَبِهِمَا عَلَيْكَ .

فَمَهْمَا خَلِمَتْهُمَا وَأَرْضِيَتْهُمَا فَلَنْ تَكَاْفَتْهُمَا بِعَمَلٍ أَوْ تَجْزِيَتْهُمَا بِخِدْمَةٍ .

رُوي أَنَّ وَلَدًا اشْتَكَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سُوءَ خُلُقِ أُمِّهِ فَقَالَ :

عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لَمْ تَكُنْ سَيِّئَةَ الْخُلُقِ حِينَ حَمَلَتْكَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ ؟

قَالَ الْابْنُ : إِنَّهَا سَيِّئَةُ الْخُلُقِ . . قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ

حِينَ أَرْضَعْتِكَ حَوْلَيْنِ . . ؟ قَالَ الْابْنُ : إِنَّهَا سَيِّئَةُ الْخُلُقِ . . قَالَ

عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ حِينَ أَسْهَرْتَ لَيْلَهَا وَأَظْمَأْتَ نَهَارَهَا ؟ . . .

قَالَ الْابْنُ : لَقَدْ جَاوَزْتُهَا . . قَالَ : مَا فَعَلْتَ ؟ قَالَ : حَجَجْتُ بِهَا عَلَى

عَاتِقٍ : قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا جَزَيْتَهَا وَلَوْ طَلَقَتْهُ .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ :

إِنَّ اللَّهَ أَوْجِبَ عَلَيْنَا طَاعَةَ الْوَالِدَيْنِ ، وَالرَّفْقَ بِهِمَا ، وَلِيَنَّ الْجَانِبَ

مَعَهُمَا . . فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَحْرِصَ عَلَى رِضَا الْوَالِدَيْنِ .

فَإِنْ رِضَا الْوَالِدَيْنِ سَعَادَةٌ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ ، كَمَا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ

نَحْتَرِ غَضَبَ الْوَالِدَيْنِ ، فَإِنْ غَضِبَ الْوَالِدَيْنِ شَقَاءٌ فِي الدُّنْيَا وَوَبَالٌ فِي

الْآخِرَةِ . . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« . . . رِضَا اللَّهِ فِي رِضَا الْوَالِدِ ، وَسَخَطُ اللَّهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ . . »

وَالْمُرَادُ بِالْوَالِدِ الْأُمُّ وَالْأَبُ . .

انْظُرْ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُ - إِلَى دِينِنَا الْحَنِيفِ بِأَمْرِ بِيَرِّ الْوَالِدَيْنِ وَإِنْ كَانَا

كَافِرِينَ أَوْ مُشْرِكِينَ ، وَلَمْ يَجْعَلْ مِنَ الْاِخْتِلَافِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالِدَيْنِ

سَبَبًا لِهَجرِهِمَا وَقَطِيعَتِهِمَا ، فَلَهُمْ دِينُهُمْ - إِنْ كَانَا عَلَى غَيْرِ الْإِسْلَامِ -

وَلَنَا دِينٌ . . وَلَوْ كَانَا مُخَالَفِينَ لِلدِّينِ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ لَا يَبِيحُ لِلْمُسْلِمِ الْإِسَاءَةَ

إِلَيْهِمَا أَوْ تَرْكَ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا قَالَ جُلُّ شَأْنِهِ : « .

(. . .) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ، وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) . (١) .

أى لا طاعة لهما فى معصية الله . . لا طاعة لهما إن طلبا من ولدهما المؤمن الإِشراك بالله . . ولكن طاعتهما فيما ليس فيه معصية الله عز وجل . . ينبغي أن يصاحبهما الولد بالمعروف مع الإِحسان إليهما والبرُّ بهما وطاعتهما وخفض الجَنَاح لهما .

وعن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت : « قَدِمْتُ عَلَى أُمِّى وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَفْتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قُلْتُ : قَدِمْتُ عَلَى أُمِّى وَهِيَ رَاغِبَةٌ - أَفَأَصِلُ أُمِّى ؟ قَالَ : نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ » .
وفى هذا تأكيد لحقِّ الوالدين فى حُسن الصلة والبر .

إن من برِّ الوالدين الدعاء لهما بعد موتهما ، والوفاء بعهدهما بإِنفاده . . وإِكْرَامُ أَصْدِقَائِهِمَا . . وَصَلَةُ أَرْحَامِهِمَا . .

فعن مالك بن ربيعة قال : « . . . » . بينما نحن عند رسول الله ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَقِيَ عَلَى مَنْ بَرُّ أَبَوَى شَيْءٍ أَبْرَهُمَا بِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِمَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . . الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا ، وَالِاسْتِغْفَارُ لهما ، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا وَصَلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا » .
فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ وَبَرُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرُّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَاطْلُبُوا مِنْهُ الْعَوْنَ عَلَى طَاعَتِهِ .

النميمة والنمام دونهما سُمُّ الأفاعي

عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
«... لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ...» .

أيها المؤمنون :

الله عز وجل أمر عباده بالتوَادُّ والتناصر ، ودعا المؤمنين للتآلف والتآزر وحذرهم الشحنة والبغضاء ، ونهاهم عن الخصام والتنافر ، كى لا تضيع قواهم ، ولا تتبدد جهودهم ، ولا تَفْنَى أعمارهم فى تنابذ ، وتشاجر ، وعداوات . . وإن أكبر معول يهدم وحدة الجماعة هو عملُ النمام . . ذلك لأن النمام هو ذلك الذى ينقل الحديث بين الناس على جهة الإفساد بينهم ، وإيغار الصدور ، والتفريق بين الأحبة ، ومزيق أواصر الألفة ، وتقطيع حبال المودة ، والنمام بعمله ذاك يولدُ النفور ، ويوقد نارَ العداوات . . وما أقبحه من عمل . . وما أدنى الإنسان الذى يُقدم عليه . . وما ألام من يتصف بتلك الخصلة النميمة . فالنميمة آفة أشدَّ خطراً من جرائم الأمراض ، وأفتك من الوباء . . لأنها تقلبُ سعادة المتحابين شقاءً ، وتباعدُ المتقاربين ، وتباعدُ الأهل ، وتثقلُ النفوسَ بالهموم ، وتملأُ الصدورَ بالسوم . . إلا من رَجِمَ ربُّك . لهذا كان المشاءون بالنميمة شرارَ الناس ، يتخاشهم العقلاء كما يتحاشون النارَ المحرقة ، ويتقون أخطارهم ، كما يلجئون إلى الوقاية من الأوبئة الفتاكة .

ولنتدبر قولَ الصادق الأمين ﷺ : «... ألا أخبركم بشراركم ؟... قالوا : بلى يا رسول الله . قال : من شرَّاركم المشاءون بالنميمة : المُفسِدُونَ بينَ الأحبة ، الباغونَ العيوب . . » .

حقاً . . إن النَّمَامَ من شرارِ الناسِ ، فهو لصٌّ بارِعٌ يعرفُ كيف
يُسترقُّ أسرارَ الناسِ ، ويلتمسُ عُيوبَهم ، وهو محتالٌ مخادعٌ يُزيِّنُ
الأقوالَ ليَضَعَ السُّمَّ في الصدورِ ، فأنْتَ ترى العائلةَ تعيشُ في راحةٍ
وسلامٍ ، مؤتلفاً أفرادها مجتمعاً أبناؤها يضمهم الصفاءُ ، ويشملهم الهناءُ ،
فإذا تَسَرَّبَ النَّمَامُ إلى حياتهم ، ومشي بينهم بِسَعَايَتِهِ ، وتحايلَ عليهم
ببُوقِيَعَتِهِ ، فإذا بهم ينقلبُ هناؤهم شقاءً ، وصفائهم كرهاً وعداءً ،
وإذا بالأخِ ينفصلُ عن أخيه والولدُ عن أبيه ، بل الرجلُ من زوجته . .
لهذا كان النَّمَامُ ملعوناً على لسانِ الأنبياءِ الذي لا ينطقُ عن الهوى
ولنتدبر ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال :

قال رسولُ الله ﷺ : « . . ملعونٌ ذو الوجهين ، ملعونٌ ذو اللسانين ،
ملعون كلُّ شُغَّارٍ ، ملعون كلُّ قَتَّاتٍ ، ملعون كلُّ مَنَّا . . »
ومن حديث آخر : « . . ومن كان ذا لسانين في الدنيا فإن الله يجعلُ
له لسانين من نار يومَ القيامة . . » .

وذو اللسانين هو الذى يتكلم مع هؤلاء بكلام ، وهؤلاء بكلامٍ ،
وهو يعنى صاحب الوجهين ، والشُّغَّارُ : هو المحرَّشُ بين الناسِ يُلقَى
بينهم بالعداوة ، والقَتَّاتُ : النَّمَامُ يسمع حديثَ القومِ فينقله إلى الآخرين
بقصدِ الإفسادِ ، وقد جاءَ في الحكمة : النَمِيْمَةُ سَيْفٌ قَاتِلٌ .
وقال بعضُ البلغاءِ : النَمِيْمَةُ دَنَاءَةٌ ، والسَّعَايَةُ رَدَاءَةٌ ، وهما رأسُ
الغديرِ ، وأساسُ الشرِّ ، فتجنبْ سُبُلَهُمَا ، واجتنبْ أَهْلَهُمَا .

إن النَّمَامَ خبيثُ القلبِ ، حُلُو الحديثِ ، وعمله مما تعجزُ عنه
الشياطينُ ، لأنَّ عملَ الشيطانِ بالوسوسة ، وعملَ النمامِ بالمواجهة ،
يُعْجِبُ السامعَ قوله إن يَفْطِنُ له ، وهو لا يدري أَنه كمن يقدِّمُ السُّمَّ
للقاتِلِ في العسل : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ،

وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ، وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ .. ﴿١﴾ .

ولقد تبرأ الصادقُ الأمينُ ﷺ من الحاسدِ والكاهنِ والنمامِ فقال :

« ليس مني ذو حسد ولا أنا منه ، وليس مني ذو كهانة ، ولا نَمِيمة .

ولا أنا منه ثم تلا قوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا .. ﴾ ﴿٢﴾ .

إن الناس لا يستقيم لهم أمر إلا بالتعاون ، ولا ينجح لهم عمل إلا بالتكاتف والتساند ، ولا تعاون إلا عن محبة ، والتساند أثر الألفة والمودة ، وإن الخير الذي تُنتِجُه الجماعةُ المتألفة المتحابّة ، أنفع مما ينتجُه الأفرادُ المتباعدون ، وإن القوة المجتمعة خيرٌ من القوى المفككة . .
لهذا فإن ديننا الحنيف ، يأمرنا بالمحبة وقوة الرابطة ، وينهانا عن التنازع ، والفرق ﴿... وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (٣).
وقال سبحانه : ﴿... وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (٤).
وأمرنا ديننا الحنيفُ بجمع القلوب ، والإصلاح بين الناس :
لنظّل الجماعة المسلمة قوية ..

قال تعالى : ﴿... إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ (٥) . .

وقال الهادي الحبيب ﷺ : « ألا أُخبرُكم بأفضل من درجة

الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : إصلاح ذات البين »

(١) البقرة : ٢٠٤ ، ٢٠٥ (٢) الأحزاب : ٥٨ .

(٣) الأنفال : ٤٦ (٤) آل عمران : ١٠٣ .

(٥) الحجرات : ١٠ .

ولما كان النمام مصلحاً لإفساد ، يغرس الأحقاد بين العباد ، ويزرع
الأضغان في قلوب المتصافين ، فقد نهى الله عز وجل عن سماع قوله ،
وتصديق كلامه حيث قال سبحانه :
(وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّا زِمْشَاءٌ بِنَمِيمٍ * مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ
مُعْتَدٍ أَثِيمٌ) (١) .

وحذرنا الهادي الحبيب ﷺ من النميمة ، وأخطارها ومن إفساد
العلاقات بين الناس ، وبين لنا عليه السلام أن السخى بين الناس
بالفساد يذهبُ بدين الساعى النمام . فقال ﷺ : « إِيَّاكُمْ وَسُوءَ
ذَاتِ الْبَيْنِ ، فَإِنِهَا حَالِقَةُ ، لَا أَقُولُ حَالِقَةُ الشَّعْرِ وَلَكِنْ حَالِقَةُ الدِّينِ » .
فنعوذ بالله من القيل والقال ، وفتنة النمامين ، الذين لا يعيشون إلا في
الماء العكر ، ولا تطيب لهم المجالس إلا بإغراء العداوة بين المسلمين ،
أولئك شرارُ الخلق عند الله .

إن واجبَ المؤمن ألا يصدقَ نماماً ، لأن النمام فاسقٌ ، وهو
مردودُ الخبر ، كما ينبغي أن ينهأ عن ذلك وينصحه ، ويُنبِّح فعله ،
وأن يبغضه في الله عز وجل ، فإنه بغيضٌ عند الله والبغض في الله واجبٌ
- إلا إن تاب وأقْلَع - كما ينبغي ألا يرضى المؤمن لنفسه ما يستقبله
من عمل النمام ، فلا يحكى نيمته ولا ينقلُ أقواله . . وعلى المؤمن
ألا يظن في المنقول عنه سوء لقوله تعالى : ﴿ اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ
إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (٢) .

ألا ما أكرم المؤمن الذى يصون لسانه ، ويحفظُ سمعه ، ويتقى الله
ربه ويراقبُ مولاة في كل قول وعمل ، ويحاسبُ نفسه قبل أن يحاسب.

إن النسيمة حرام بإجماع المسلمين ، وقد تظاهرت على تحريمها
الأدلة من الكتاب والسنة ، والنسيمة قبيحة وإن كانت صحيحة ،
والساعي بالإفساد ملعون ومطروود من رحمة الله والعياذ بالله .

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ مرَّ
بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: « إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ . . بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ ،
أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَبْرِئُ مِنْ
بَوْلِهِ » . ومعنى وما يُعَذَّبَانِ في كبير ، أى ليس بكبير تركه عليهما ،
أو ليس بكبير في زعمهما .

مِجَاءٌ فِي حَلِيثٍ آخَرَ : « إِنَّ النَّمِيمَةَ وَالْحَقْدَ فِي النَّارِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي
خَلْبٍ مُسْلِمٍ » .

فَانْقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَاخْشَوْهُ ، وَاذْكُرُوا أَنَّهُ سَبْحَانَهُ يُحْصِي عِلْمًا
كُلَّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ مَجْزِيٌّ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا وَبِالسُّوءِ سُوءًا ،
وَتَوَبُّوا إِلَيْهِ فَإِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ .

طوبى لمن طاب كسبه

أما بعد :

فقد قال الله تعالى من سورة النساء : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا
أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا
أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (١) .

يا أتباع رسول الله ﷺ :

ينهى الله عز وجل في هذه الآية عن أخذ أموال الناس بغير حق ،
أو الحصول عليها من غير وجه مشروع ، وخَصَّصَ الأَكْلَ بالذكر في الآية
لأنه أغلب وجوه الانتفاعات ، وأَكْلُ أموال الناس بالباطل يشمل كل
ما أُخِذَ بغير حق كاللّمال المغصوب ، والسرقة وشهادة الزور ، وما اقتطعه
المرء من مال أخيه باليمين الكاذبة ، ويدخل في ذلك ما أُخِذَ على وجه
الهزل واللعب كالذى يُؤْخَذُ في القمار والملاهي ونحوهما ، وكذلك ما أُخِذَ
بالمعاوضات الفاسدة مثل ثمن لحم الخنزير والخمر والميتة ونحوها .

وفي صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ رَجُلًا
يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمْ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وَبَيَّنَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ الَّتِي اسْتَمَعْنَا إِلَيْهَا أَنَّ التِّجَارَةَ لَيْسَتْ مِنْ جَنْبِ
الْبَاطِلِ ، بَلْ هِيَ عَمَلٌ مَبَاحٌ مُشْرُوعٌ ، وَطَرِيقٌ لِلْكَسْبِ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ ،
حَيْثُ تَمَّ الْمُبَادَلَاتُ فِيهَا بِالتَّرَاضِ بَيْنَ الْمُتَعَاqِدِينَ عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ
عَلَى وَجْهِ يُلْزِمُ فِيهِ الْمُتَعَامِلَانِ أَنْفُسَهُمَا بِحُدُودِ اللَّهِ . ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً
عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ﴾ .

والإسلامُ بحثٌ على تقليبِ البضائعِ ، وتبادلِ السلعِ والخيراتِ ، وذلك بالعملِ بالتجارةِ إذ إنَّ الناسَ لا غنىَ لهم عنها ، بل إنَّ اشتغالَ فريقٍ من الناسِ بالتجارةِ وجَلَبِ البضائعِ يُعَدُّ أمراً واجِباً ، يتحتَّمُ عليهم ما دامَ أمرُ المعاشِ متوقفاً عليه .

ولما كانت التجارةُ تَمَسُّ حياةَ الناسِ لَزِمَ أن يكونَ القائمون عليها والمشتغلون بها صادقين ، أمانةً ، أوفياءً ، صالحين ، وقد جاءت البُشرى على لسانِ الصادقِ الأمينِ ﷺ للتاجرِ الأمينِ المسلمِ الصدوقِ بأنَّ له يومَ القيامةِ منزلةً عاليةً ، فقال : « التاجرُ الصدوقُ الأمينُ مع النبيِّينَ والصديقينَ والشهداءِ » . وفي الحديث : « التاجرُ الصدوقُ الأمينُ المسلمُ مع الشهداءِ يومَ القيامةِ » .

ومما يؤكِّد فضلَ التجارةِ أن صفوةَ اللهِ من خلقِهِ النبيُّ محمدًا ﷺ كانَ من أهلِ بيتِ التجارةِ ، واشتغلَ ﷺ فترةً من عُمره تاجراً ، كما كان كبارُ الصحابةِ من التجارِ قبل الإسلامِ وبعده ، ومنهم أبو بكر وعثمان وغيرُهما .

أيها المؤمنون :

إِنَّ رِبْحَ التاجرِ الأمينِ الصادقِ من أَطيبِ الكسبِ ، وعمله من أشرفِ الأعمالِ ، بهذا أخبرَ الحبيبُ الهادي ﷺ ، فقال مُحَرِّضاً التاجرَ على الأمانةِ والوفاءِ بالوعدِ وَتَحَرِّيِ الكسبِ الحلالِ : « إِنَّ أَطيبَ الكسبِ كسبُ التجارِ الذينَ إذا حَدَّثُوا لم يَكْذِبُوا وإذا ائْتُمِنُوا لم يَخُونُوا ، وإذا وَعِلُوا لم يُخْلِفُوا ، وإذا اشْتَرَوْا لم يَنْمُوا ، وإذا باعُوا لم يُطْرُوا ، وإذا كانَ عليهم لم يَمْطَلُوا وإذا كانَ لَهُمْ لم يُعْسِرُوا » .

وفي هذا الحديثِ يمدحُ الرسولُ ﷺ الكسبَ الحلالَ الطيبَ ويمدحُ التاجرَ الصادقَ الذي لا يكذبُ والأمينَ الذي لا يخونُ ، والوفى

الذى لا يُخلفُ الوعدَ ، والمتحرِّى الحلالَ فى معاملاته ، فهو لا يَكُمُّ سِلْعَةً يُريدُ أن يشتريها ليبيخسها ويُلجىءَ صاحبها إلى التخلُّص منها يعملُ ذلك تغريراً وخِداًعاً ، كما يمدحُ النبي ﷺ التاجر الذى إذا باع سِلْعَةً لا يبالغُ فى الثناء عليها ، وتحسينها للمشتري ليغشَّه ، ويدفعه إلى شرائها ، ومن صفاتِ التجارِ الأمانةُ أنهم يؤدُّون الحقوق ولا يؤخرونها ، وإذا كان لهم دينٌ على مُعسرٍ غير قادرٍ على الوفاء أمهلوه حتى يتيسرَ حاله . ويدعو الإسلامُ التاجرَ إلى أن يبين ما قد يكون فى سلعته من عيوبٍ لمبارك الله له فى ثمنها وكسبها ، والرسول ﷺ يقول : « البَيْعَان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما ، وإن كتما وكلبا مُحِقَّتْ بركة بيعهما » .

كما حذر الإسلامُ التجارَ من الحليفِ على السلعة ، وجاء الوعيدُ الشديدُ للتاجر الذى يتخذُ اليمينَ الكاذبةَ وسيلةً يستعينُ بها على كسبِ ثقةِ المشتري بقصدِ التغرير به ليكثرَ بيعه ، وتروجَ بضاعته . وفى الحديث : « اليمينُ الفاجرةُ منفقَةٌ للسلعةِ ممحقَةٌ للكسبِ والبركة » . وكما تَمَحَّقُ اليمينُ الكاذبةُ كسبَ التاجر وتزيل عنه البركة ، فإنَّ الله يَغْضَبُ عليه ويطرده من رحمته . وفى الحديث : « ثلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يومَ القيامةِ ولا ينظرُ إليهم ، ولا يُزَكِّيهم ، ولهم عذابٌ أليمٌ : المُسْبِلُ لِزَارِهِ ، والمُنَانُ الذى لا يُعطى شيئا إلا مَنَّةً ، والمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الكاذبِ » .

وعن عبد الله بن أبى أوفى : أن رجلا أقام سِلْعَةً فى السوق فحلفَ لقد أُعْطِيَ بها ما لم يُعطَ ، لِيُوقَعَ فيها رجلاً من المسلمين فنزلت : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ

فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ .

أيها المؤمنون :

إن التاجر ينبغي له أن يُمْسِكَ لِسَانَهُ عَنِ الْحَلِفِ بِاللَّهِ ، وَأَنْ يُلْزِمَ الصَّدَقَ وَالْأَمَانَةَ وَالْبَيَانَ وَالْوُضُوحَ وَالْوَفَاءَ وَالْعَدْلَ دُونَ اللَّجْوِ إِلَى الْحَلِفِ أَوْ الْخُدَاعِ . . . وقد جاء النَّهْيُ عَنْ كَثْرَةِ الْحَلِفِ وَلَوْ كَانَ الْحَالِفُ صَادِقًا ؛ فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِحِفْظِ أَيْمَانِهِمْ ، وَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ : « إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ ، فَإِنَّهُ يُنْفِقُ ثُمَّ يَمَحُقُ » .

إن العملَ الشريفَ والكسبَ الذي يَأْتِي عَنْ طَرِيقِ حَلَالٍ يَكْفِي الْمَرْءَ بِهِ نَفْسَهُ وَعِيَالَهُ مَهْمًا كَانَ قَلِيلًا أَفْضَلُ مِنَ الطَّمَعِ فِيمَا لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ حَقٌّ فِيهِ ، وَلِذَا أَتْنِي الْإِسْلَامُ عَلَى الْمُجْتَهِدِينَ فِي السَّعْيِ مِنْ أَجْلِ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ وَذَمَّ الْحَرَامَ وَمَصَادَرَهُ وَمَوَارِدَهُ ، وَلِلْإِمَامِ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَذْهَبَ بِهِ إِلَى الْجَبَلِ فَيَحْتَطِبَ ثُمَّ يَأْتِيَ فِيحْمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَأْكُلُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ فِيهِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ » .

وفي البيهقي : « الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلُوءَةٌ مَنْ اكْتَسَبَ فِيهَا مَالًا مِنْ حِلِّهِ وَأَنْفَقَهُ فِي حَقِّهِ أَثَابَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَوْرَدَهُ جَنَّتهُ ، وَمَنْ اكْتَسَبَ فِيهَا مَالًا مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ ، وَأَنْفَقَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ أَوْرَدَهُ اللَّهُ دَارَ الْهُوَانِ ، وَرُبُّ مُتَخَوِّضٍ فِي مَالِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَهُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَلَّمَآ خَبِتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ (١) .

فَطُوبَى لِمَنْ طَابَ كَسْبُهُ ، وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ وَكُرِّمَتْ عِلَانِيَتُهُ . وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ . طُوبَى لِمَنْ عَمِلَ بِمَا عِلْمُ ، وَاتَّقَى اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاسْتَعِينُوا بِهِ سُبْحَانَهُ فِي كُلِّ أُمُورِكُمْ ، وَأَحْسِنُوا التَّوَكُّلَ عَلَيْهِ ، وَتَوَبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ، فَالْتَأَتُّبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ .

الربا وآثاره السيئة

أما بعد :

فقد قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِنْ تُبْتِغُوا فَلَئِنَّكُمْ رُغُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ (١) .

أما المؤمنون :

إن الله سبحانه وتعالى بعباده رُغُوف رحيم ، ومن رحمته تعالى بهم أن أرسلَ رسوله محمداً ﷺ ، وأنزل عليه القرآن الكريم هدايةً ونوراً ، يبين لهم الخيرَ والشرَّ ، والنافعَ والضارَّ ، والحلالَ والحرامَ ، لِيَحْيُوا حياةً طيبةً مباركةً إن هم طبقوا أحكامه ، واستقاموا على منهجه . ومن رحمة الله بعباده أنه سبحانه أحلَّ لهم الطيبات لينتفعوا بها ، وحرَّم عليهم الخبائث ، وأباح لهم التوسُّعَ في كسبِ المالِ من طريقِ حلال ، وبالوسائل المشروعة ، وحرَّم عليهم الرِّبَا لأنَّ الكسبَ عن طريقِ الرِّبَا كسبٌ خبيثٌ ، يندنسُ الأموالَ ، ويذهبُ بالبركة ، ويدلُّ على العجس ، ويعودُ على المتعاملين به بأفدح الأضرار ، وأقبح العواقبِ في الدنيا والآخرة .

وكم كان الرِّبَا سبباً في خراب بيوت كانت عامرةً .. وكم أَرهق نفوساً وأذلها تحت وطأة الأرباحِ التي تتضاعفُ ، فيزيدُ الهُمُ ، وتتضاعفُ المتاعبُ والآلامُ .

لهذا شدد الله الوعيد على الربا ، وجعله سبحانه وتعالى من أفحش الخبائث ، وأكبر الكبائر ، ونفّر الناس من تعاطيه بأبلغ الزواجر ، فقال تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (١) .
وفى هذا تهديد شديد ، ووعد أكيد ، لمن استمرّ على تعاطي الربا ، والتعامل به ، بعد الإنذار ، وأى زاجر أبلغ من جعل المرابي محارباً من الله ورسوله ؟ . ذلك لأنه شوّه وجهه المعروف بأخذه الزيادة عن رأس ماله بغير حق ، وقطع يد التعاون بين المؤمنين الذى أمر الله به فى قوله : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (٢) .

إن الذين يأكلون الربا ، ويتعاملون به ، إنما يرتكبون كبيرة من الكبائر ، وكسبهم منه كسب خبيث لا بركة فيه ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ﴾ (٣) أى يذهب بركته وإن كان كثيراً . وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة » . وفى لفظ له قال : « الربا وإن كثر ، فإن عاقبته إلى قلة » . أى عاقبته إلى فقر ، لأن الله تعالى ينزع منه البركة .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ﴾ (٣) قال : لا يقبل منه صدقة ، ولا حجاً ، ولا جهاداً ، ولا صلة . وروى أن رجلاً جاء إلى مالك بن أنس رضى الله عنه فقال : « يا أبا عبد الله ، إني رأيت رجلاً سكراناً ، يتعاقر ، يريد أن يأخذ القمر ، فقلت : امرأتى طالق إن كان يدخل جوف ابن آدم أشراً من الخمر ، فقال مالك : أرجع حتى أنظر فى مسألتك ، فأتاه من الغد ،

(٣) البقرة : ٢٧٦ .

(١) البقرة : ٢٧٩ .

(٢) المائدة : ٢ .

فَقَالَ لَهُ : ارْجِعْ حَتَّى أَنْظُرَ فِي مَسْأَلَتِكَ ، فَاتَاهُ مِنَ الْغَدِ . فَقَالَ لَهُ مَالِكُ :
امْرَأَتُكَ طَالِقٌ ، إِنِّي تَصَفَحْتُ كِتَابَ اللَّهِ ، وَسَنَةِ نَبِيِّهِ ، فَلَمْ أَرِ شَيْئًا أَشَرَّ
مِنَ الرَّبَا ، لِأَنَّ اللَّهَ أَذِنَ فِيهِ بِالْحَرْبِ » .

وَبَلَغَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ أَنَّ
زَيْدَ بْنَ أَرْقَمٍ اشْتَرَى مِنْهَا ، وَبَاعَ لَهَا مَا اشْتَرَاهُ بِشَمْنٍ أَقَلَّ مِنْ ثَمَنِ الشَّرَاءِ ،
وَكَانَ زَيْدٌ اشْتَرَى عَلَى أَجَلٍ ، وَبَاعَ لَهَا نَقْدًا ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ لِلْمَرْأَةِ :
بِشْمَا شَرِيتِ ، وَمَا اشْتَرَيْتِ ! . . فَأَبْلَغَنِي زَيْدًا أَنَّهُ قَدْ أَبْطَلَ جِهَادَهُ مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ . فَقَالَتْ لَهَا : أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أَخْذِ مِنْهُ
إِلَّا رَأْسَ مَالِي ؟ قَالَتْ عَائِشَةُ : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ
مَا سَلَفَ ﴾ (١) . وَمَا أَفْتَتِ عَائِشَةُ بِذَلِكَ إِلَّا لَمَّا فِي هَذَا التَّعَامُلِ مِنْ تَحَايِلٍ
يُؤْدِي إِلَى الْوُقُوعِ فِي الرَّبَا الْمَحْظُورِ .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ :

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحَلَّ لِعِبَادِهِ الْبَيْعَ ، وَحَثَّهِمْ عَلَى الْكَسْبِ ، وَتَحْصِيلِ
الْمَالِ مِنْ وَجْهِهِ الْمَشْرُوعَةِ ، وَمَا أَكْثَرَ مَيَادِينَ الْكَسْبِ الْحَلَالِ ، وَالرِّبْحِ
الطَّيِّبِ . . أَمَّا التَّعَامُلُ بِالرَّبَا فَإِنَّهُ يَعُودُ بِأَفْذَحِ الْأَضْرَارِ عَلَى الْمُتَعَامِلِينَ بِهِ
فِي الدُّنْيَا ، مَعَ مَا أَوْعَدَ اللَّهُ بِهِ مِنْ عِقَابٍ شَدِيدٍ ، وَعَذَابٍ أَلِيمٍ لِمَنْ
يَتَعَامَلُونَ بِالرَّبَا ، ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ مِنْهُ تَوْبَةً نَصُوحًا بِشُرُوطِهَا ، فَمَنْ أَكَلَ
الرَّبَا بُعِثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَجْنُونًا يَتَخَبَّطُ ! فَمَنْ حَدِيثَ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِيَّاكَ وَالذَّنُوبَ الَّتِي
لَا تُغْفَرُ ، ثُمَّ ذَكَرَ مِنْهَا : « وَآكَلُ الرَّبَا ، فَمَنْ أَكَلَ الرَّبَا بُعِثَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مَجْنُونًا يَتَخَبَّطُ ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرَّبَا لَا يَقُومُونَ
إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ (١) .

والربا من السبع الموبقات التي أمرنا الهادى ﷺ باجتنابها ، والحذر منها ، لأنها تجلبُ لصاحبها غضب الرب ، وتسببُ هلاكه ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يا رسول الله ، وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » .

وقد دعا رسول الله ﷺ باللعن ، والطرده من رحمة الله على كل الأطراف التي تشترك في عقد الربا . . لعن آكله ، ومؤكله ، والذي يشهد على العقد ، والذي يكتبه . . فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ومؤكله » .

وعن جابر رضى الله عنه قال : لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ، ومؤكله ، وكاتبه ، وشاهديه ، وقال : هم سواء . وآكله هو الآخذ للزيادة ، ومؤكله هو الدافع لها .

أيها المؤمنون :

إن المؤمن يرضى بما قسم الله ، ويذعنُ لأمره ، ويطيعه سبحانه ، ويقفُ عند حدوده ، ويسعى لتحصيل المال من وجوهه المشروعة . ولا يتعامل بالربا لعظيم خطره ، وسوء عواقبه . . والتعامل بين المؤمنين ينبغي أن يقوم على رعاية المصلحة ، وحب الخير . . وما أجمل القرض يقدمه المسلم لأخيه المسلم عند حاجته بلا فائدة تعودُ على صاحب المال وبلا زيادة عند السداد . . إن هذا الأسلوب من التعامل يجمع القلوب على المحبة ، ويثيبُ الله عز وجل عليه ، ففي الحديث الشريف : « قرض مرتين يعدل صدقة مرة » .

نسأل الله عز وجل الرزق الحلال الطيب ، والتوفيق لطاعته ،
إن ربى سميعُ الدعاء .

عن عمرو بن الأحوص رضى الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول في حجة الوداع : « ألا إن كلَّ ربا من ربا الجاهلية موضوعٌ ، لكم رءوسُ أموالكم لا تَظْلِمُونَ ولا تُظْلَمُونَ » .

وعن أبي سعيد رضى الله عنه قال : « جاء بلالٌ رضى الله عنه إلى رسولِ الله ﷺ بتمرٍ بَرْنِيٍّ فقال له : من أين هذا ؟ فقال : كان عندنا تمرٌ ردىء فبعثُ منه صاعين بصاع لمطعمِ النبي ﷺ ، فقال : عند ذلك (أَوْه) عَيْنُ الرَّبِّا ، عَيْنُ الرَّبِّا ، لا تفعل ، ولكن إذا أردتَ أن تشتريَ فبعِ التمرَ بَيْعاً آخرَ ثم اشترِ به » .

فاتقوا الله - عبادَ الله - وتحروا الكسب الحلال ، واحذروا مقت الله وغضبه في المعاملات المحرمة ، وتوبوا إليه لعله يرحمكم .

صلة الرحم

أما بعد :

فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ ، تَقُولُ : مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ » .

أيها المؤمنون :

صلة الرَّحِمِ معناها : مَبَرَّةُ الْأَهْلِ وَالْأَقَارِبِ وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ .
إِنَّ كُلَّ أُمَّةٍ تَتَكُونُ مِنْ أُسْرِ وَقِبَائِلَ وَعَشَائِرَ ، فَإِذَا تَأَلَّفَتِ الْأُسْرُ ، وَتَمَاسَكَتِ الْعَشَائِرُ وَالْقِبَائِلُ وَعَمَّهِمُ الْحُبُّ وَالْإِخَاءُ سَعِدُوا وَانْتَضَمَتِ أُمُورُهُمْ ، وَقَوِيَتْ شَوْكَةُ الْأُمَّةِ وَتَقَدَّمَتْ وَارْتَفَعَتْ رَايَتُهَا تَظَلُّلُ أَبْنَاءِهَا الْمُتَعَاوِنِينَ الْمُتَأَخِّينَ الْمُتَرَاحِمِينَ الْمُتَعَاطِفِينَ .

إِنْ قَرِيبُكَ جِزْءٌ مِنْكَ ، مَنْسُوبٌ إِلَيْكَ ، مُتَّصِلٌ بِكَ رَغِبْتَ أَمَّ لَمْ تَرْغَبْ ، لَهُ عَلَيْكَ حَقُوقٌ وَاجِبَةٌ الرَّعَايَةُ ، وَعَلَيْكَ لَهُ وَاجِبَاتٌ يُلْزَمُ أَدَاؤُهَا .

وَلَأَجْلِ أَنْ يَكُونَ بِنَاءُ الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ قَوِيًّا مَتَمَسِكًا مُتَسَانِدًا أَفْرَادُهُ أَوْصَى الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِالْأَقَارِبِ وَلِنَتَدَبَّرَ قَوْلَ الْحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ ﴾ (١) الْآيَةُ .

فَبَدَأَتْ الْآيَةُ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ جَاءَ الْأَمْرُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقَارِبِ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ الْإِحْسَانُ إِلَى الْيَتِيمِ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجَنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ .

إن من حق القريب على قريبه أن يساعده بماله إذا افتقر وأن يُجِدَّه وقت الحاجة ويُفَرِّجَ كُرْبَتَهُ ، وينفُسَ عنه غُمَّتَهُ ، وإن كان هذا هو حقُّ كلِّ مسلم فهو بالقريب أولى وأجدر .

قال تعالى : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ (١) . وَأَمَرْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِتَقْوَاهُ فِي الْأَرْحَامِ فَانصِلُهُمْ ، وَلَا نَقْطَعُهُمْ ، وَنَتَوَدَّدُ إِلَيْهِمْ وَنُدْخِلُ السُّرُورَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝ (٢) . ومن حق ذوى الرَّحْمِ الْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ بقدر الطاقة ، والشفقة عليهم ، وتقديمُ النصيحة لهم وإفشاء السلام عليهم ، وعيادة مرضاهم ، والسؤال عنهم ، وشهودُ جنازتهم ، ومقابلةُ الإساءة منهم بالإحسان إليهم .

ومن كان ذا مال فأقاربه أولى الناس بصلته وبره وصدقته . قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ؟ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الْيَقِينِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۝ (٣) :

والرسول ﷺ يقول : « أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ ، الصَّدَقَةُ عَلَى ذِي رَحْمٍ كَاشِحٍ » [أى مبغض] .

وعن حكيم بن حزام رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ » .

فالمسلمُ فى نظر الإسلام كالشجرة الحانية الوارفة الظلال تُظِلُّ الْأَقْرَبَ فَلِأَقْرَبَ فَيَبْدَأُ بِمَنْ يَعُولُ كَالْأَبْنَاءِ وَالْآبَاءِ وَالْأَخَوَاتِ وَالْعَمَاتِ وَالْإِخْوَةِ وَالْأَعْمَامِ وَغَيْرِهِمُ الْأَقْرَبُ فَلِأَقْرَبَ .

وقد ورد عن النبي ﷺ أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ صَدَقَةً مِنْ مُسْلِمٍ وَلَهُ قَرَابَةٌ مُحْتَاجُونَ إِلَى بَرِّهِ وَعَظْفِهِ ثُمَّ يَصْرِفُهَا بَعِيداً عَنْهُمْ . يقول ﷺ : « يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ، وَالَّذِي بَعَنِي بِالْحَقِّ ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَدَقَةً مِنْ رَجُلٍ وَلَهُ قَرَابَةٌ مُحْتَاجُونَ إِلَى صِلَتِهِ ، وَيَصْرِفُهَا إِلَى غَيْرِهِمْ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وقد ورد في التنبيه إلى فضل تفقد الأقارب الضعفاء وبرهم قولُ رسول الله ﷺ : « مَنْ كَانَ لَهُ أَقَارِبُ ضَعْفَاءُ وَلَمْ يُحَسِّنْ إِلَيْهِمْ ، وَيَصْرِفْ صَدَقَتَهُ إِلَى غَيْرِهِمْ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ مِنْهُ صَدَقَتَهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . وقال ﷺ : « الصَّدَقَةُ عَلَى الْمُسْكِينِ صَدَقَةٌ وَعَلَى ذِي الْقَرَابَةِ اثْنَتَانِ : صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ » .

والمسلم الفقير عليه أَنْ يَصِلَ رَحِمَهُ بِالزِّيَارَةِ وَإِلْقَاءِ السَّلَامِ عَلَيْهِمْ وَالسُّؤَالِ عَنْهُمْ لَجَلْبِ مُحَبَّتِهِمْ ، وَتَوْثِيقِ الصَّلَةِ . يقول ﷺ : « صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ » .

وَمِنْ حَقُوقِ الرَّحْمِ تَقْدِيمُ الْهَدَايَا ، وَالنَّصِيحَةِ وَالْإِشْرَادِ لِلْخَيْرِ وَالْحَقِّ وَالصَّوَابِ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ ﴾ (١) . وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ۖ ﴾ (٢) .

وَامْتَدَحَ اللَّهُ رَسُولَهُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۖ ﴾ (٣) .

(٢) طه : ١٣٢ .

(١) التحريم : ٦ .

(٣) مريم : ٥٥ .

أيها المؤمنون :

هذه أوامر الله ، وتوجيهاتُ رسوله تنطق بأن صلةَ الرَّحْمِ قُرْبَةٌ عاليةٌ ، وعملٌ جليلٌ عظيمُ الأجر عند الله . . فهل سأل المسلم نفسه : إلى أى حدٍّ هو متمسكٌ بتعاليم دينه ؟ . إلى أى حد هو بارٌّ بوالديه ؟ . إلى أى حد هو عطوفٌ على أهله رحيمٌ بهم ساعٍ فيما يصلحهم ، مشغولٌ بأمورهم ، متجاوز عن هفواتهم ، واصل لهم وإن قطعوه ؟ .

إن صلة الرحم تسبب سعةَ الرزق ، كما أنها سببُ البركة في العمر ، ويُرشدنا الحبيب المصطفى ﷺ إلى ذلك فيقول : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » .

وصلةُ الرحم من ثمراتِ الإيمانِ الصحيح وعلامةٌ على الصدق والإخلاص . فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » .

إن صلة الرحم ومساندةَ الأهل والدفاعَ عنهم بالحق والعدل أمر واجب وفي الوقت نفسه إنه ليس من الخير ولا من البر أن يُعين المسلم قريباً له على شرٍّ أو يساعده على الهروب من حق ، فالله عز وجل يقول : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ ﴾ (١) .

ويقول سبحانه وتعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ » (٢) .

فحذارِ أن تُعين أخاك على ظلم أو تشهد له بالباطل .

وإذا كان الإسلام حُبَّ إلينا صلّة الرحم ، وحثنا على البر بهم والتودد إليهم وجعل ذلك من القربات فإنه نهى عن قطيعة الرحم وجعل ذلك من أسباب غضب الله على عبده ، ويلعن الله المرء الذى إذا استغنى تكبر على أهله ، وقطع رحمه ، ولنتدبر قوله تعالى :

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴾ (١) .

وفى قاطع الرحم المهمل شأن أهله كالأخت والخالة والأخ والعم ونحوهم يقول الرسول ﷺ : « لا يدخل الجنة قاطع » .
وقال صلى الله عليه وسلم : « أَسْرَعُ الْخَيْرِ ثَوَابًا الْبِرُّ وَصَلَةُ الرَّحِمِ ، وَأَسْرَعُ الشَّرِّ عَقُوبَةُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ » .
أيها المؤمنون :

إن القريب قطعة من قربه فينبغى أن يفرح لفرحه ويحزن لألمه ويشاركه سراءه وضراءه ولا يمنع عنه نصحه وإرشاده ولا يحسده على ما آناه الله من فضله .

كما أن المسلم لا ينبغى له أن يقابل إساءة أهله بالإساءة أو قطيعتهم بالقطيعة ، لأنه بذلك يعيب شرهم معه ويرضى لنفسه ما عابه عليهم ، وهو يستطيع أن يكسب قلوبهم باستمراره فى الإحسان إليهم ، فالشر لا يدفع شراً ، وليس من الحق ولا من الصواب ما أوعز به الشيطان إلى بعض النفوس فزين لهم المثل « الأقارب كالعقارب » فهذا المثل ليس صحيحاً وإنما هو من تزيين إبليس ليفسد فى الأرض ويباعد القلوب .

فاتقوا الله عباد الله فى الأقارب وصلوهم يرحمكم الله ويبارك لكم

قال ﷺ عن ربه : « أنا الله وأنا الرحمن ، خلقتُ الرحمَ ، وشققتُ لها اسماً من اسمي ، فمنْ وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته » .

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ وسلم قال : « إذا كان أحدكم فقيراً فليبدأ بنفسه ، وإن كان فضل فعلى عياله ، وإن كان فضل فعلى ذوى قرابته أو قال : ذوى رحمه ، وإن كان فضلُها هذا وها هنا . . . » .

وقال ﷺ « لا يزالُ يُستجابُ للعبدِ ما لم يدعُ بإثمٍ أو قطيعةٍ رحمٍ » .
فانقوا الله - عباد الله - وبروا آباءكم وأمهاتكم وصلوا أرحامكم ،
وتوبوا إلى الله توبة نصوحا فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

للخطبة الثانية :

جاء في مسند الإمام أحمد :

عن أبي أسيد وهو مالك بن ربيعة الساعدي قال : بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ : إذ جاءه رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله هل بقيَ عليَّ من برِّ أبوي شيءٌ بعد موتهما أبرهما به ؟ قال : نعم خصال أربع : الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقيهما ، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما ، فهو الذي بقي عليك بعد موتهما من برهما .

وفي المسند :

عن المقدم بن معد يكرب أن النبي ﷺ قال :
« إن الله يوصيكم بأمهاتكم ، إن الله يوصيكم بأمهاتكم ، إن الله يوصيكم بأمهاتكم ، إن الله يوصيكم بأمهاتكم ، إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب » .
وعن رجل من بني يربوع قال : أتيتُ النبي ﷺ وهو يكلم الناس يقول : « يد المعطى (العليا) أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك » .

ومن أقواله صلى الله عليه وسلم :

* « لا يُجَالِسُنَا اليومَ قاطعُ رحمٍ » .

* « إنَّ الرحمةَ لا تنزلُ على قومٍ فيهم قاطعُ رحمٍ » .

* « إنَّ اللهَ ليعمرُ لقومَ الديار ويثمرُ لهم الأموالَ وما نَظَرَ إليهم منذ خلقهم بغضًا لهم ، قيل وكيف ذلك يا رسولَ الله ؟ قال : بِصِلَتِهِمْ أرحامَهُمْ » .

طوبى لمفاتيح الخير

قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ . . . ﴾ (١) .

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال : « إِنَّ هَذَا الْخَيْرَ خَزَائِنٌ ، وَلَتَاكَ الْعِزَّةُ مِفَاتِيحُ ، فَطُوبَى (٢) لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ ، وَمَغْلَقًا لِلشَّرِّ ، وَوَيْلٌ لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ وَمَغْلَقًا لِلْخَيْرِ . . . » .

يا أحباب رسول الله ﷺ :

الإسلامُ يَحْتُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى التَّنَاصُرِ وَالتَّحَابِّ وَالْإِخْلَاصِ وَيَأْمُرُهُم بِالْمُعَاوَنَةِ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ . . ﴾ كَمَا يَأْمُرُهُم بِالْمُعَاوَنَةِ عَلَى تَرْكِ مَا يُغْضِبُ اللَّهَ وَالْكَفَّ عَمَّا يَجْلِبُ سَخَطَهُ ، أَيْ يَأْمُرُهُم بِالتَّقْوَى ثُمَّ نَهَاهُمْ عَنْ أَنْ يَكُونُوا أَعْوَانًا لِلشَّرِّ وَالْفُسَادِ ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ (١) ﴾ .

وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ السَّابِقِ يَحْتُ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى ﷺ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بَابٍ عَظِيمٍ مِنْ أَبْوَابِ الْبِرِّ ، بِهِ تَسْوَدُّ الْمَحَبَّةُ وَتَقْوَى الرُّوَابِطُ بَيْنَ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ ، ذَلِكَ هُوَ سَعْيُ الْقَادِرِينَ فِي مَصَالِحِ النَّاسِ ، وَالْمُسَاعَدَةُ عَلَى إِيْصَالِ الْخَيْرِ لَهُمْ ، وَالْعَمَلُ عَلَى دَفْعِ الشَّرِّ عَنْهُمْ .

وَقَدْ وَصَفَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَهْلَ الْمُرُوءَاتِ بِأَنَّهُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا ، عُرِفَتْ عَنْهُمْ السَّمَاةُ وَسَعَةُ الصَّدْرِ ، يَقْصِدُهُمْ

(١) المائدة : ٢

(٢) طوبى : بضم الطاء وفتح الباء من الطيب ، يقال : طوبى لك وطوباك ، وطوبى اسم شجرة في الجنة .

الناس في مصالحتهم ، فيبذلون لهم من وقتهم وسعيهم وجاههم ما يحقق لهم الخير ، أو يدفع عنهم الضرر ، ولهذا العمل وفقهم الله ، فهو يسوقهم إلى الخير كما يسوق الماء إلى الأرض الجرز (١) فتنبه ما شاء الله من نبات وثمر ، ولهذا أخبر الرسول ﷺ بأن هؤلاء « هم الآمنون من عذاب الله » .
ولنتدبر قول الهادي الحبيب ﷺ :

عن ابن عمر رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ :
« . . . إِنَّ لِلَّهِ خَلْقًا خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ ، يَفْزَعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ ، أُولَئِكَ الْآمِنُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ . . . » .

عن علي كرم الله وجهه قال : قال لي رسول الله ﷺ « يا علي ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْمَعْرُوفَ ، وَخَلَقَ لَهُ أَهْلًا فَحَبَّبَهُ إِلَيْهِمْ وَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ فِعَالَهُ ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ طُلَّابَهُ ، كَمَا وَجَّهَ الْمَاءَ فِي الْأَرْضِ الْجَدْبَةَ لِتَحْيَا بِهِ ، وَيَحْيَا بِهِ أَهْلُهَا إِنَّ أَهْلَ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا ، هُمُ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ » .
وروى عن الهادي الحبيب ﷺ أنه قال :

« . . . مَنْ قَضَى لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ حَاجَةً كُنْتُ وَاقِفًا عِنْدَ مِيزَانِهِ ، فَإِنْ رَجَعَ وَإِلَّا شَفَعْتُ لَهُ . . . » .

فهذه بشارات نبوية كريمة ينبغي أن يفرح بها أولئك الذين يسر الله لهم خدمة الناس ، والسعي في مصالحتهم ، ومعاونة أصحاب الحاجات حتى يتحقق لهم ما يأملون من جلب منفعة أو دفع مضرّة . . . إن أصحاب المروءات ينبغي لهم أن يفرحوا بالبشارات النبوية ، ويستقبلوا حاجات الناس التي توجه إليهم على أنها نعم قد أنعم الله بها عليهم ، على أنها منازل عليا قد ارتضاها لهم ، وشكروا النعمة في هذا المجال أن يبذلوا كل جهد في سبيل القيام بما ندبهم الله له ، وجعلهم أسبابه ومفاتيحه .

(١) الجرز : أرض جرز لا نبات بها .

فطوبى لمن يساعد أخاه المسلم بجاهه أو بماله حتى يدرك ما يرجوه من
خير ، جاء من حديث شريف :

« مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ . . . » .

أى يسر الله له أموره ، وأعانه ، ودفع عنه المكروه .

وقال الرسول ﷺ من حديث : « والله في عون العبد ما كان العبد
في عون أخيه » .
أيها المؤمنون :

إن كل إنسان منا يستطيع أن يكون مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر ،
بالمال يفعل ذلك من آتاه الله المال ، وبالرأى يفعل ذلك من آتاه الله
سدّاد الرأى ، وبالقلم يفعل من آتاه الله القلم ، ويسر له القدرة على
التعبير عما في النفس ، وبالجاه يفعل من آتاه الله الجاه ، والزوجة
تفعله في بيت زوجها والابن مع أبيه ، والأب مع ابنه ، والصاحب مع
صاحبه ، والجار مع جاره .

فمن استطاع بما له أن يدفع حاجة محتاج فهو مفتاح للخير ،
مغلاق للشر ، ومن استطاع بجاهه ونفوذه أن يحقق الخير للإنسان
أو يوصله إلى حق فهو مفتاح للخير مغلاق للشر ، وإذا آتاك الله قلماً
تدافع به عن الحق ، وتدعو إلى الخير والفضيلة ، وتدفع به في صدق
الإلحاد والباطل ، فأنت مفتاح للخير مغلاق للشر ، والزوجة إذا
استطاعت أن ترق قلب زوجها على أهله ورحمه حتى يصلهم ببره
وإحسانه فهي مفتاح للخير مغلاق للشر ، وكذلك من يجمع القلوب
على المحبة ، والجار الذى يأمن جاره بوائقه (١) ، والإنسان الذى يسعى

(١) بوائقه : دواهي ومفرده « البائقة » أى الداهية ويدخل في المعنى الشر والظلم .

لأصحاب المطالب العادلة ليقضى لهم مصالحهم هؤلاء مفاتيح للخير .
وهكذا نجد في ميادين الحياة المتعددة فرصاً لعمل الخير ودفع الشر ،
حتى ولو بالكلمة الطيبة ، والإرشاد لما فيه الخير ، والرسول ﷺ يقول :
« الدالُّ على الخير كفاعله . . . » .

وروى عن عمر رضى الله عنه مرفوعاً : « أفضّل الأعمال إدخال
السروِر على المؤمن : كسوت عورته ، أو أشبعت جوعته أو قضيت له
حاجة . . . » .

ومن حديث بن عمر : « أَحَبُّ الأعمال إلى الله عز وجل سرور
تُدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة ، أو تَطْرُد عنه جزعاً . أو تقضى
عنه ديناً . . . » .

فطوبى للمؤمن الصالح الذى يُفَرِّجُ عن أخيه كربة ، ويدفع عنه
المضرة ، ويجلب له خيراً وينصح له ، ويقف إلى جانب إخوانه في
عسرتهم ، ويفتح قلبه وصدّره لأصحاب الحاجات ، ويكون دائماً ساعياً
في الخير ، مُجِيباً للحق ، معاوناً على البر والهدى .

ولقد كان النبي ﷺ إذا قديم عليه أحدٌ وهو في صلاته خَفَّفَ في
صَلَاتِهِ ، وأقبل عليه فقال : أَلَاكَ حاجة ؟ فإذا فرَغَ من حاجته عاد إلى
صَلَاتِهِ .

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :
« إِنَّ أَحَبَّ الأعمال إلى الله تعالى بعد الفرائض إدخال السروِر على المسلم . » .
وفي حديث روته عائشة رضى الله عنها : « مَنْ أَدْخَلَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ
من المسلمين سروراً لم يَرْضَ اللهُ له ثواباً دون الجنة . . . » .

وفي الحديث : « طُوبَى لِمَنْ أَجْرَى الْخَيْرُ عَلَى يَدَيْهِ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ

أَجْرِي الشَّرَّ عَلَى يَدَيْهِ . « وقد حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ الْمُسْلِمَ عَلَى أَنْ يَشْفَعَ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ فَقَالَ : « إِنِّي أُوتِيَ ، وَأُسْأَلُ ، وَتُطْلَبُ إِلَى الْحَاجَةِ ، وَأَنْتُمْ عِنْدِي ، فَاشْفَعُوا لِي تُجْرُوا ، وَيَقْضَى اللَّهُ عَلَى يَدَي نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ » .
[متفق عليه]

وقال : ﷺ : « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ نَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلَامَةٍ طَيِّبَةٍ » .

وفي الحديث : « خصلتان ليس فوقهما شيء من الشرِّ : الشرك بالله والضُّرُّ لعبادِ الله ، وخصلتان ليس فوقهما شيء من البرِّ : الإيمان بالله والنفعُ لعبادِ الله » .

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا فَالْتَأَثُّبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ .

اللهم اجعلنا من أهل المعروف .

الزنى وآثاره السيئة

الحمد لله حرم الزنى ليظهر العباد ، والصلاة والسلام على من سلمت نفسه من الفساد ، سيدنا محمد الداعي للرشاد ، وأشهد أن لا إله إلا الله لا يحرم علينا إلا الفواحش والضرر ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله نبهنا إلى مزالق الخطر ، صلى الله على سيدنا محمد وعلى كل حر كريم .

عباد الله :

شرف المرأة طهارة عرضها ، وبياض صحتها ، ونقاء ذيلها ، سعادة المرأة في العفة والصيانة ، والكرامة والحرص على السمعة ، قيمة المرأة لبأؤها وعزتها ، ميزان المرأة نزاهتها وترقيتها ، بل إن سعادة الرجل وسعادة الأسرة وسعادة الأمة كلها في عرض المرأة وحسن سلوكها ، كل خطأ قد يمكن إصلاحه ، كل داء قد يوجد له دواؤه ، ومن أساء لجار أو صديق أمكنه الاعتذار ، من تسبب في ضرر فحين عليه معالجة المضار ، من اغتصب شيئاً فإنه يستطيع رده لأهله ، إلا عرض المرأة إذا خدش ، وشرقها إذا نزل ، وسمعتها إذا مُسَّتْ هيئات أن تعود لسلامتها ، وأن ترجع لنصوعها ، ومن اغتصب شرف امرأة كيف يرد ما اغتصب ، وهل تحيا الكرامة إذا ماتت ؟ وهل يعود المقبور بعد دفنه ؟ العرض مرآة يظهر عليها كل شيء حتى التنفس يؤثر على المرأة ، والعرض زجاج شفاف تخدشه الشبهة ، وتكسره الريبة والتهمة ، فإن كسر لا يلتئم ، وإن غولج والتأم ظل مكان الكسر واضحاً ، ينطق بالجرم ويشهد بالإثم ، وإن كان متأسكاً ، ولقد كان العرب في الجاهلية يعتزون

بشرف نسائهم ، ويقفون دون أعراضهم أسوداً كاسرة ونموراً مفترسة ، يغسلون إهانة أعراضهم بأسنة الرماح وحاد السيف ، ولا ينامون على إهانة ولا يصبرون للعار والذل أبداً ، فجاء الإسلام يقوى فيهم الحفاظ للعرض ، والغيرة على النساء ، ويمتدح الشهم الكريم ، ويندّد بالديوث الذميم ، لتبقى الأعراض مصانةً والشرف موفوراً .

لكنّ الإنسان ركبت فيه الشهوات البهيمية والذات البدنية ، وهو في الغالب الكثير عبدٌ لشهواته مُطيعٌ لذاته ، وفي النادر القليل يتغلب على هواه ، ويعصى نفسه الأمانة بالسوء ؛ خلق الله له آلة الجماع ، وعُصَمَ الوقاع ، وجعل طلبه للمرأة إجبارياً ، وشوقه لها طبعياً لا مفرّ منه ولا مَحِيص ، إلا إذا كان به مرض يصرفه ، ليضمن الله بذلك بقاء النوع الإنساني ، وعمار الأرض بالتناسل والولادة ، وجعل الله لارتباط الذكر بالأنثى نظاماً هو الزواج ، يستحل به امرأة تكون له خاصة ، ليبني معها بيت السعادة والنعيم .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) .

ولكنّ دافع الشهوة شديداً ، ولا يصدّها إلا من كمل عقله ، وسَلِمَ دينه ، واستقام خلقه ، فأخضع نفسه لقلبه ، وسلّط عقله على عواطفه ، ومثّل هذا في الرجال قليل .

كيف يرضى المسلم لنفسه الوقوع في الحرام ؟ أو يقبل الاستجابة لدعوة شيطانه فيتمرغ في الآثام ؟ كيف يستبيح امرأة قد حرّمها عليه ربه ؟ ويتمتع بها بدون زواج ؛ أو يشتري عرضها بقليل من المال !

وبكثير من القول المعسول والخداع والإضلال ؟ وكيف يفر المسلم من ميدان الشرف ، إلى بؤر الفساد والتلف ، كلما تحركت شهوته ، ألا يدري أن الزنى مصدرُ المرضِ والوباء ، ، هل يظن الزانى أنه غير مقيد وأنه حر طليق ، وهو عبد لكل امرأة ، وتابع لكل خليعة . عرضةٌ للأمراض السرية ، والعلل التي تُنغصُ عيشه ، وتقضُّ مضجعه ، من سيلانٍ وزُهريٍّ وقُرَحٍ آكلة وتشويشٍ وغيره ، مع ضياع المال فيما يغضب الله وفقدان الكرامة ، وانہيار الأخلاق وذهابِ الحياء ، والجرأة في الفجور ، والتسكع على الأرصفة ، وأبوابِ الدور ، والتعرض للمهانة وأحياناً للضرب والمحاكمة ، أليست هذه قيوداً أشدَّ من قيود الزواج ؟ وهل من الرجولة أن يفر الرجل من واجب العائلة ، لتستعبده كل متهتكة فاجرة ؟

لقد حرمت كلُّ الشرائع السماوية الزنى لعظيم ضرره ، وشدة خطره ، وحتى لا تختلط الأنسابُ ، ولا تضيع الأولاد ، ولا يُرمى اللقطاء في الطرقات بدون شفقة ولا رحمة ، عرضةٌ للموت والعُدم ، مما نخجل منه الحياء ، ويندى له جبين الأخلاق ، وانكمش من هوله الأدب .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (١) .

وليست علة تحريم الزنى في ضياع الأنساب والأموال فحسب ، بل ، إن التحريم لحفظ العرض وهو تاجُ المرأة ، وصونِ الشرف وهو إكليلُ النساء والرجال جميعاً ، وإبقاءً على الحياء أن يبيد ، واستمساكاً بالفضيلة أن تزلزل وتميد ، وحرصاً على الحرمات أن تُنتهك ، وتحريضاً على الزواج لئلا ينصرف الناس عنه . أيقاس الأمرُ بضرره المادى فقط وقد

وضحت أضرارُ الزنى المادية ؟ إن من يجروُ على هذه الفاحشة ، ولا يحس خجلاً ولا ندماً ، يجروُ على حقوق وطنه فلا يحس حياءً ولا ألماً ، وقد قال ﷺ : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى ، إذا لم تستح فاضنع ما شئت » .

الزنى فى نظري الإسلام جريمةٌ منكّرةٌ ، وكبيرةٌ فاحشة ، جعل لها حداً فى الدنيا ، زجراً وتأديباً وعبرة ، وجعل لها عقاباً عظيماً فى الآخرة ، جعل الرجمَ للمتزوج إذا زنى ، والجلدَ للأعزب ، ونهى عن استعمال الرأفة مع الزناة ، وقد أمر بالرأفة حتى مع الحيوان ، ولكن الزانى تسفل عن الحيوان فلم يتخذ له زوجة يربها ، ومن الحيوان ما يربى أليفته ، ويصون صلتها ، ولا يخونها مع غيرها .

الدين الذى يحبُّ السترَ على عورات الناس ، يُوجب حدَّ الزناة فى جَمْع حاشد ﴿ الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهدا عذابهما طائفةٌ من المؤمنين * الزانى لا ينكح إلا زانيةً أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشركٌ ، وحُرِّمَ ذلك على المؤمنين ﴾ (١) .

عباد الله :

تداركوا المرأةَ فهى ربةُ بيتكم وشريكةُ حياتكم وأُمُّ أولادكم وموضعُ شرفكم ، صونوا المرأةَ ولا تعرضوها بتعرضكم لها فى الطرقات ، تطرون شكلها ، وتغازلونها ، وتملقون لها وتتوددون ، وتدعونها للفاحشة ولا تخجلون ، ثم تدمون النساءَ ولا تتخرجون ، وتعرضون عن تزويجها تعففاً وأنتم لعفتها مضيعون ، أيرضى أحدكم أن تزنى زوجته أو بناته ؟

فإن لم يَرْضَ الفسادَ لأَهله فكيف يَرْضاه لَأَيِّ امرأة ، وهى مهما بعدت
فهى مسلمةٌ أو إنسانةٌ مثله أيا كان دينُها أو مذهبها .
يقول الله يصف عباده ﴿ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ،
يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾ (١) .
وقال ﷺ « مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ تَضَمَّنْتُ
لَهُ بِالْجَنَّةِ » .

وقال أيضًا : لا يزنى الزانى حينَ يزنى وهو مؤمنٌ ، ولا يسرقُ السارق
حين يسرقُ وهو مؤمنٌ ، ولا يشربُ الخمرَ حين يشربُها وهو مؤمنٌ .
وقال سعد بن عبادة لرسول الله ﷺ لو وجدتُ مع أهلى رجلاً
أُمهله حتى آتَى بأربعةٍ شُهَداءَ ؟ قال : نعم ، فقال سعد : كلا ، والذي
بعثَكَ بالحقِّ إن كنتُ لأعجله بالسَّيفِ قبل ذلك فقال : اسمعوا إلى
ما يقول سيّدكم إنه لغيورٌ ، وأنا أغيرُ منه ، والله أغيرُ منى .

الرشوة من مفاتيح الشر

أما بعد :

فقد قال الله تعالى : ﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

وفي حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :
« من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته » .

عباد الله :

أمر الله عز وجل عباده المؤمنين بالتعاون على الخير ، وحثهم على
التناصر والتآخي والسعى في المصالح ، والتعاون على اجتناب الشر ودفع
الضرر ، ونهاهم أن يعاونوا على إثم ، أو يتناصروا على شر .
قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
وَالْعُدَاوَىٰ ﴾ (٢) .

والمؤمن مفتاح للخير ، مغلاق للشر ، تدفعه مروءته لمعاونة إخوانه
عند حاجتهم والسعى لهم في قضاء مصالحهم ، ولا يرجو من وراء ذلك
إلا ثواب الله عز وجل .

وقد جعل الإسلام قوام (٣) أعمال الناس بالأمانة والذمة ، وجعل
انتظام الروابط والصلوات بالوفاء وحسن السمعة ، كما جعل سعادة
الفرد والمجموع في الحياء وشرف النفس ، ومُجَانَبَةِ القبائح ، والدنيا ،
فالناس لا يستغنون عن التعامل والتبادل والأخذ والعطاء والتعاون
والتساند في جميع شئون حياتهم ، فإذا لم تكن المعاملة على الصدق

(١) الحج ٧٧

(٢) المائدة ٢

(٣) قوام : بكسر أوله تقول : قوام الأمر أى نظامه وعماده ، وفلان قوام أهل بيته
وقيامهم أى الذى يقيم شأنهم - وقوام الأمر أيضا - ملاكه الذى يقوم به وقد يفتح أوله .

والأمانة ضاعت الثقة ، وساءت الظنون ، وتقطعت الصلات ، وإذا لم يؤد كل إنسان واجبه نحو الآخرين بضمير نقي ، وطهارة نفس تعرضت الحقوق للضياع ، واضطربت الأعمال .

ومن صفات المؤمنين الصالحين أنهم أمناء على المصالح ، أوفياء بالمعهد ، متقنون للأعمال ، مراقبون لله في كل ما يصدر عنهم من قول أو عمل يبسطون أيديهم بالمعروف ، فإذا وكل إليهم عمل نهضوا بمسؤولياته ، وقاموا بتبعاته على خير وجه وأكمله ، لا يضيع لديهم حق ، ولا يتأخر عمل ، أغنى الله نفوسهم بالحلال الطيب من الرزق لا يأكلون الحرام ، ولا يمدون أيديهم للسحت ، لإيمانهم بأن المال الذي يأتي عن طريق غير مشروع كالرشوة يذهب البركة ، ويُفسد الأخلاق ، ويهدم العفة والنزاهة ، ويُميت الضمير ، ويجلب غضب الرب سبحانه وتعالى وكيف لا يُبغض المؤمن الرشوة ونحوها وهو يقرأ قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتَذُلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ
لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١)

كيف لا يُبغض المؤمن الرشوة وينزعه نفسه عنها ، وهو يعلم أن المرتشي إنسان فقد حياته ومروءته وأمانته وأضاع ذمته ، وأيقظ مطامعه ، وسيطرت عليه أهواؤه وأغضب ربه ، ولم يزرع لأمنه حقوقها وديونها في عُنقه .

إنَّ المال الذي يأتي عن طريق الرشوة حرام يذهب بالبركة ويسبب الطرد من رحمة الله لفاعليه ، والساعين فيه .

وقد جاء من الحديث الذى روى عن ابن مسعود رضى الله عنه
موقوفاً بإسناد صحيح :

« والرشوة بين الناس سُحْتٌ » أى حرامٌ يُهْلِكُ البركة .

أيها المؤمنون :

إن المؤمنَ يعلمُ تماماً أن الرشوةَ ما دخلتُ فى أمرٍ إلا جعلتُ نُورَهُ
ظلاماً وطريقه قاتماً ، فالرشوة والعياذُ بالله ، تَطْمِسُ الحقَّ ، وَتَحْجُبُ
العدلَ ، وتكون سبباً فى ضياع الحقوق وإعطاء مَنْ لا يَسْتَحِقُّ ما ليس
له ، كما أن الرشوة تُساعدُ على إخفاء الجرائم ، وتستترُ القبائحَ ،
وتقلبُ الوقائعَ ، وبالرشوة قد يفلتُ المجرمُ ويُدانُ البريء ، ولهذا كانت
الرشوة فى نظرِ أهلِ الدنيا خيانةً وطنيةً ، وهى فى رأى الشرعِ إثمٌ عظيمٌ ،
وقد جاء فى الحديث الصحيح أن رسولَ الله ﷺ قال :
« لَعَنَ الله الراشِيَّ والمُرْتَشِيَّ » .

والراشِي هو الذى يُعطى الرشوة ، والمُرْتَشِي هو الذى يأخذُ
الرشوة ، والمُرْتَشِي ملعونٌ ومطروودٌ من رحمة الله ، وكذلك الراشِي
خصوصاً إذا قصَدَ بتقديم الرشوة أذيةً مسلمٍ أو الحصولَ على شيءٍ
لا يَسْتَحِقُّه .

وقد جاء فى حديث آخر أن اللعنة على الرائش أيضاً ، والرائش هو
الشخص الذى يسعى بين الراشِي والمُرْتَشِي لتسهيل توصيل الرشوة وما
يتصلُ بذلك .

وما ذلك إلا لأنَّ الرشوةَ خطرُها جسيمٌ ، وآثارُها قبيحةٌ على الفرد
وعلى المجموع ، فهى قد تُقدِّمُ غيرَ الكفءِ على الكفءِ ، وترفعُ الخاملَ ،
وتخفضُ المجدَّ العاملَ فتساعدُ على إضعافِ عزائم المجدين ، وعلى نشرِ
الخمول والتراخي فى أداء الأعمال .

ولكى يزداد الأثرُ القبيحُ للرشوة وضوحا علينا أن نتصورَ حراسَ الحدودِ لأمةٍ من الأممِ يَقْبَلُونَ الرشوةَ من تجارِ الموادِّ المخدرةِ ومهربِها إلى الداخلِ - مثلاً - ؟ فماذا يترتبُ على ذلك من المفسادِ والجرائمِ ؟
كما علينا أن نتصورَ مرابطينَ على ثغورِ أمةٍ من الأممِ يَقْبَلُونَ رشوةً من أعدائِها ، ويسمَحُونَ لهم - مثلاً - بالتقاطِ صورٍ ، أو الاطلاعِ على مواطنِ ضَعْفٍ ، أو الحصولِ على أَىِّ معلوماتٍ ، نتصورُ هذا وما يترتبُ عليه من المفسادِ والآثارِ البالغةِ السوءِ لنذكرَ مَدَى قبحِ الرشوةِ ، ومدى أهليةِ فاعليها ، والساعين فيها لَمَقَّتِ اللهُ وغضِبِهِ . . .

إن الرشوةَ ما دخلتِ عملاً إلا أَفْسَدَتْهُ ، ولا قلباً إلا أَظْلَمَتْهُ ، ولا جَيْباً إلا أَفْقَرَتْهُ ، ولا بَيْتاً إلا خَرَبَتْهُ ، ما دخلتِ الرشوةُ على إنسانٍ إلا بالخسارةِ وَتَزَعِ الْبَرَكَةِ .

إن المؤمنَ يتَعَفَّفُ عن الحرامِ ، ويكتفى بالحلالِ ، ويقنعُ برزقه ، ويرضى بعطاءِ ربِّه ، ويقفُ عند حدودِ أمرِ اللهِ ونهْيِهِ ، محسناً التوكلَ عليه وحده ، لأنه يعلمُ أنه سَيُحَاسَبُ على المالِ الحلالِ ، وسيعَذَّبُ على الحرامِ ، ويؤمنُ بأنَّ المالَ يتخلفُ عن صاحبه عند الموتِ ، وأنه لن يَصْحَبَهُ إلا عمله ، ولن يرافقه سوى فعلِهِ . . . كما أن المؤمنَ يعلمُ أن الدنيا ليست غايةً مقصودةً لذاتها وإنما هى مزرعةٌ للآخرةِ ، وسبيلٌ إليها ، فالحريصُ عليها ذليلٌ ، وآكلُ الحرامِ فيها مردودُ الدعاءِ لا تُفْتَحُ له أبوابُ السماءِ ، ، ويتوبُ الله على مَنْ تَابَ ، فَفَضَّلُهُ واسعٌ :

قال الحبيب المصطفى ﷺ : « لا دِينَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، ولا صَلَاةَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ » .

وقال : « مَنْ أَصَابَ مَالاً مِنْ حَرَامٍ فَوَصَلَ بِهِ رَجِماً ، أو تَصَدَّقَ بِهِ أو

- ٢٣٥ -

أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، جَمَعَ اللَّهُ ذَلِكَ جَمِيعًا ثُمَّ قَذَفَهُ فِي النَّارِ » .
فَطُوبَى لِمَنْ تَجَنَّبَ الْحَرَامَ ، وَابْتَعَدَ عَنِ الشَّبَهَاتِ وَقَنَعَ بِالْحَلَالِ الطَّيِّبِ .
نَسَأَلُ اللَّهَ التُّقَى وَالْهُدَى وَالْعِفَافَ وَالْغِنَى ، وَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -
وَتُوبُوا إِلَيْهِ ، وَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ تَوَّابٌ غَفَّارٌ رَحِيمٌ .

لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ؟

﴿ وَيَوْمَ يُخْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (١) .

هذا مشهد من مشاهد يوم القيامة ، يوم تُبْلَى السرائر ، وتُكشَفُ الخبايا حيث يُرَى الذين كَذَّبُوا رَسَلَ اللَّهِ ، وخالفوا أَمَرَ اللَّهِ ، يُسَاقُونَ ويُدْفَعُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وقد أُوقِفَ أَوَائِلُهُمْ لِتَلَحُّقِهِمْ وَأَوَاخِرُهُمْ .

وفي هذا الموقف العظيم يكون على المرء شاهدٌ من نفسه ، يَنْطِقُ بِمَا فَعَلَ ﴿ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك : كنا عند رسول الله ﷺ فضحك ، فقال : « هل تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ » ؟ قلنا : اللَّهُ ورسوله أعلم ، قال : « مِنْ مُحَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبِّهِ يَقُولُ : يَا رَبِّ ، أَلَمْ تُعْزِنِي مِنَ الظُّلْمِ ، قَالَ : يَقُولُ ، بَلَى ، قَالَ : فَيَقُولُ فَإِنِّي لَا أُجِيزُ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي ، قَالَ : يَقُولُ : كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا ، وبالكِرام الكَاتِبِينَ شُهَدَاءَ ، قَالَ : فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ ، فيقالُ لَأَرْكَانُهُ : انْطِقْ ، فتَنطِقُ بِأَعْمَالِهِ قَالَ : ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ ، قَالَ : فيقول بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعَنَكُنَّ كُنْتُ أَنَا ضَلُّ » .

وزيادة في تبكيتهم يقال لهم : إنكم ما كنتم تتقون في الدنيا أن تشهد عليكم جوارحكم في الآخرة فتتركوا المعاصي خوفاً من الشهادة ، أو ما كنتم تظنون ﴿ أَنَّ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ ﴾ بَأَن يَقُول : سمعتُ

الحقّ وما وعيتُ وسمعتُ ما لا يجوزُ من المعاصي ، ﴿ ولا أَبْصَارُكُمْ ﴾
فتقول : رأيتُ آياتِ اللَّهِ وما اعتبرتُ ونظرتُ فيما لا يجوزُ ،
﴿ ولا جلودُكُمْ ﴾ فتقول أجزاءً منها : بَاشَرْتُ الْمَعَاصِيَ : ولنتدبر
قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا لِيَجْلُدِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا : أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ
كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١) .
أى أن الله هو الذى رَكَّبَ الحياةَ فيكم بعد أن كنتم نُطْفًا فَمَنَ
قَدَّرَ على ذلك قَدَرَ على أن يُنطقَ الجلودَ وغيرها من الأعضاء .

﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ
ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢) .
فليتقِ المرءُ ربه ، وليخشِ يوماً تُبلى فيه السرائر ، وتكشفُ الخبايا
ولا يستطيعُ العبدُ جحودَ ذنوبه إذ تشهد عليه الأرض ، وتشهد الأيام
والليال ، وتشهد الجوارح ، وما أحسن قول من قال :

الْعُمُرُ يَنْقُصُ وَالذُّنُوبُ تَزِيدُ وَتُقَالُ عَشْرَاتُ الْفَتَى فَيَعُودُ
هَلْ يَسْتَطِيعُ جُحُودَ ذَنْبٍ وَاحِدٍ رَجُلٌ جَوَارِحُهُ عَلَيْهِ شُهُودُ
وَالْمَرْءُ يُسْأَلُ عَنْ سِنِيهِ فَيَسْتَهْجِي تَقْلِيلُهَا وَعَنِ الْمَمَاتِ يَجِيدُ
وعن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال : « لَيْسَ مِنْ يَوْمٍ يَأْتِي
على ابنِ آدَمَ إِلَّا وَيُنَادِي فِيهِ : يَا ابْنَ آدَمَ أَنَا خَلَقْتُ جَدِيدٌ ، وَأَنَا فِيمَا
تَعْمَلُ غَدًا عَلَيْكَ شَهِيدٌ ، فَاعْمَلْ فِي خَيْرٍ أَشْهَدُ لَكَ بِهِ غَدًا ، فَإِنِ
لَوْ قَدْ مَضَيْتَ لَمْ تَرَنِي أَبَدًا ، ويقول الليل مثل ذلك » .

(١) فصلت : ٢١ .

(٢) فصلت : ٢٢ و ٢٣ .

ولنتدبر صورةً من صور الموقف العظيم وفيها يقول الرب لعبده من عباده : « أَظُنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ ، فيقول : أَيْ رَبِّ ، آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ ، وَرَسَلِكَ ، وَصَلَّيْتُ وَصَمْتُ وَتَصَدَّقْتُ ، وَيُثْنِي (١) بِخَيْرِ مَا اسْتَطَاع . فيقول : أَهَذَا هُنَا مَنْ يَشْهَدُ لَكَ ؟ فيقول : لَا . فيقول : الْآنَ يُبْعَثُ عَلَيْكَ شَاهِدٌ ، فَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ : مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ ، فَيُقَالُ لِفَخِذِهِ : انْطِقْ : فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلِحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ ، وَذَلِكَ لِيُعْذَرَ مِنْ نَفْسِهِ - أَيْ لِيُزِيلَ اللَّهُ عَذْرَهُ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ بِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ وَلِشَهَادَةِ أَعْضَائِهِ عَلَيْهِ بِحَيْثُ لَمْ يَبْقَ لَهُ عَذْرٌ - وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي سَخِطَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ . »

فعلى المؤمن أن يحذر أعمال المنافقين وصفاتهم فهم لا يخلصون العمل لله عز وجل ، وإنما يعملون للدنيا ، حتى العبادات يؤدونها لغرض دنيوى ، لهذا كثرت معاصيهم وجرائهم على اقتحام حدود الله . وعلى المؤمن أن يبادر بفعل الخيرات ، وأن يكثر من الصالحات وأن يتوب من ذنبه ، ويندم على ما فرط منه عسى أن يبدل الله سيئاته حسنات ، وأن يوفقه لأداء الطاعات ، ولا يرجئ التوبة وفعل الخير إلى غد ، فالإنسان لا يضمن الغد وما أحسن قول من قال :

مَضَى أَمْسُكَ الْأَدْنَى شَهِيدًا مُعَدَّلًا وَيَوْمُكَ هَذَا بِالْفِعَالِ شَهِيدًا (٢)
فَإِنْ تَكُ بِالْأَمِيرِ اقْتَرَفْتَ إِسَاءَةً فَتَنْ (٣) بِإِحْسَانٍ وَأَنْتَ حَمِيدٌ
وَلَا تُرْجِ فِعْلَ الْخَيْرِ مِنْكَ إِلَى غَدٍ لَعَلَّ غَدًا يَأْتِي وَأَنْتَ فَاقِدٌ (٤)
واعلم - أيها المؤمن - أنك مُطَالَبٌ بِشُكْرِ النِّعَمِ عَلَى كُلِّ نِعْمَةٍ لَهُ ،

- (١) يُثْنِي : يمدح .
(٢) شَهِيدًا مُعَدَّلًا : أى شاهدًا مقبول الشهادة لعدله .
(٣) فَتَنْ : أى اجعل الثانية بمعنى أتبع السيئة الحسنة تمحها .
(٤) وَلَا تُرْجِ : أى لا ترجئ وتؤخر .

مطالب بشكر الحواس والطعام والشراب وما نِعِمَّتْ به في حياتك قبل أن تُسأل عنها وتُحاسَب ، ولنتدبر الحديث الذي رواه أبو سعيد وأبو هريرة رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : « يُؤْتَى بالعبد يوم القيامة فيقول الله تعالى له : أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمَالًا وَوَلَدًا وَسَخَّرْتُ لَكَ الْأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ ، وَتَرَكْتُكَ تَرَأْسًا وَتَرْتَعُ ، أَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلَاقِي يَوْمِكَ هَذَا ؟ فيقول : لا . فيقول له : اليوم أنساكَ كما نَسِيتَنِي . »

فالعاقِل لا ينسى حقوق ربه ، ولا يغفل عن ذكره وشكره ولا ينسى عن طاعته ، ويراقب الله في السر والعلن مؤمناً أن الدنيا إلى زوال وأن المرة محاسب على كل صغيرة وكبيرة ، وأنه في حاجة إلى رحمة ربه يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، ولا ينبغي للعاقِل أن تلهيه الأمانى حتى يخرج من الدنيا ولا حسنة له اتكالا على المغفرة والرحمة بدون عمل ، فهؤلاء هم المفاليس بعد الدنيا كما يقول عمر رضى الله عنه . ثم تلا : ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١) .

وفي الحديث : « لَا يَزُولُ قَدَمًا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَع : عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَا عَمِلَ بِهِ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيْمَا أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيْمَا أَبْلَاهُ » .

نسأل الله التوفيق لما يحبه ويرضاه ، واتقوا الله — عباد الله — واخشوا غضبه وانتقامه من العصاة ، وتوبوا إليه فإنه سبحانه توابٌ رحيمٌ .

رعاية اليتيم ومسؤوليتنا عنه

قال الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمُ إِنَّا اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا - وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى - » .
أيها المؤمنون :

اليتيم هو من فقد والده صغيراً ، فالآجال بيد الله سبحانه وتعالى يقبضها حيث يشاء ، وقد يموت الرجل عن أطفال قصر وعيال رضع ، فيحرمون من عطف الأبوة وحنانها وهم صغار ضعاف في حاجة إلى المعين والراعى والمجير .

هؤلاء اليتامى هم أحق الناس بالشفقة ، وأولاهم بالحب والرعاية ، حيث فقدوا المعين وتعرضوا للذل المؤلم والجحمان المهين ، لذلك أوصى الله سبحانه وتعالى خيراً باليتامى وأمرنا بالإحسان إليهم ، وحسن التصرف معهم ، والمحافظة على أموالهم والقيام على تربيتهم ، والعناية بتهذيب نفوسهم ، حتى يكونوا أفراداً نافعين ، وأعضاء في المجتمع صالحين .

فما أجدر اليتيم بالرعاية والعطف والشفقة والبر ، إنه إنسان صغير حُرْم من حنان الأب وهو في مطلع حياته ، إنه طفل لا يُصْلِحُهُ إِلَّا السرور ، والمرح والهدايا والبشاشة والرحمة ، فطوبى لمن يُعْوِضُهُ حنان الأب ورقته ورحمته .

لقد عني القرآن الكريم بأمر اليتيم أشدَّ عنايةً مستقصياً أحواله
مبيناً أحكامه ، وجاء ذلك في آيات كثيرة .

أمر بالإحسان إليه ، والرفق به والعطف عليه ، فقال تعالى :
(وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ) الآية (١) .

وذكر النبي ﷺ بأنه كان يتيماً ، يستثير بهذا التذكير عطفه
وعطف المسلمين على اليتامى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾ (٢) .

ونهاى الله عز وجل عن إذلال اليتيم وإهانته فقال : « فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا
تَقْهَرْ » (٣) . أى فلا تذلّه ولا تتكبر عليه ولا تحقره ، بل المطلوب من
المؤمن أن يعنو على اليتيم ويرأف بحاله ويرفع نفسه بالأدب ، ويهذب
بمكارم الأخلاق ، ليكون عضواً نافعاً في الجماعة المسلمة .

وقد جعل القرآن الكريم زجر اليتيم وتعنيفه والتعاضم عليه من
التكذيب بالدين وعدم التصديق وضعف اليقين ، ولنتدبر قول الحق
تبارك وتعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ
وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمُسْكِينِ ﴾ (٤) .

و ﴿ يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴾ أى يدفعه ، ويزجره زجراً عنيفاً إذا جاء يطلب
منه حاجةً احتقاراً له واستهانةً بأمره وتكبُّراً عليه لِفَقْدِهِ النصير ،
وخلوً ظهره من المُجير ، واليتيم مظهر الضعف والحاجة ، فالمستهين به
قاسٍ مستهينٌ بكل ضعيف ، محتقرٌ لكل محتاج ، مخدوعٌ بدينه ،
لأد عن يوم الدين .

(٢) الضحى ٥

(١) النساء ٣٦

(٤) الماعون ١ - ٣ .

(٣) الضحى ٧

وقد وبَّخ القرآنُ أقواماً وبَّينَ فسَادَ مُعْتَقَدَاتِهِمْ ، وسوءَ مَسَالِكِهِمْ
لأنَّهم لا يُكْرِمُونَ الْيَتَامَى ، ولا يَرْغُبُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً فِي الْعَطْفِ عَلَى
الضَّعِيفِ وَإِطْعَامِ الْمَسْكِينِ . . ولتندبر قول الله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ
لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾ (١) .

وكان الآيات تقول لهُؤُلَاءِ : إذا لم تُكْرِمُوا الْيَتِيمَ ، ولم يوصِ بَعْضُكُمْ
بَعْضاً بطعامِ الْمَسْكِينِ ، فقد كذبت مزاعمُكم في أنكم من قوم صالحين .
وقد أمر القرآنُ بإصلاحِ الْيَتِيمِ في كافَّةِ أحواله ، في نفسه ، وفي
خُلُقِهِ ، وفي تربيته وتعليمه وبإصلاحه في ماله .

يقول الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ﴾ (٢) .
أى العمل على إصلاحِ أحوالهم بالتربية والتهديب والتدريب لاكتسابِ الخبرة
وتنميةِ أموالهم وتشميرِها بالطرق الشرعية ونحو ذلك مما يعودُ على الْيَتِيمِ
بالصلاح في نفسه وجسمه وغير ذلك .

يا وَصِيًّا صُنْ الْمُوصَى عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ كَى لَا تُضَامَا
عَلْمُوهُمْ وَبِالْغُوا فِي هِدَاهِمُ إِنْ حَفِظَ الْيَتِيمَ صَارَ لِرِزَامَا
عباد الله :

واللهُ الَّذِي حَرَّمَ إِهَانَةَ الْيَتِيمِ بِكَلِمَةٍ : حَرَّمَ بِالْأَوَّلَى مَالَهُ ، ومالُ الْيَتِيمِ
أولى بالرعاية والحفظ والاستثمار .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى
يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ (١) .

ومعناها : النهى عن قربان مال الْيَتِيمِ بِأَى نوع أو حال من حالات
القربان اللهم إِلَّا عند السعى لاستثمار مال الْيَتِيمِ واستعماله على وجه هو
أحسن الوجوه بما ينفع الْيَتِيمَ في حاضره ومستقبله ، كالإنفاق منه على

تربيته وتعليمه وحفظ ماله باستثماره في زراعة أو صناعة أو في تجارة .
أما إهمال شأن اليتيم ، وإهمال ماله ، وتجميده أو الإسراف فيه بما
لا يكسبه خيراً ، ولا يدفع عنه شراً فذلك مُحَرَّمٌ ومنهى عنه .

قال تعالى : ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ
مِّنْهُمْ رُّشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا
وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا
دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (١) .

وفي التحذير من أكل أموال اليتامى يقول سبحانه : ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ
أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ
إِنَّهٗ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ (٢) أى إثمًا عظيمًا .

ثم يحذّر القرآن المسلمين من إهمال شأن اليتيم فيأمر الأوصياء
أَن يعنوا باليتامى كما يعنون بأولادهم وكما يحبون أَن يُصان أولادهم
من بعدهم .

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ
فَلْيَقُولُوا اللَّهُ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (٣) .

وأوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام : يا داود كُنْ لِلْيَتِيمِ
كَالْأَبِ الرَّحِيمِ ، وكن للأرملة كالزوج الشفيق ، واعلم أَنك كما
تزرع تحصد .

ثم ينذر الظالمين في أموال اليتامى بنارٍ تلهب في بطونهم ويتسخن
جسودهم بنار جهنم ، ولنتدبر قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ
يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ
سَعِيرًا ﴾ (٤) .

وفي التحذير من ظلم اليتيم قيل :

يَا وَصِيًّا عَلَى الْيَتَامَى أَكُولًا كُلُّ مَالِ الْيَتِيمِ أَكْلًا حَرَامًا
جِئْتُ إِذَا وَعَن قَرِيبٍ سَتَفَنِي وَالذَّرَارَى تَلْقَى خُطُوبًا جِسَامًا
وَيَقُولُ الْأَنَامُ ظَلُمْتُ أَبِيكُمْ كَابِدُوهُ وَأَنْتَ تَصْلِي ضَرَامًا
وَأَنْتَ وَالْمَوْتُ تَقْسَوَانِ عَلَيْهِ أَيْهَا النَّاسُ رَحْمَةً بِالْيَتَامَى

قال السدّي : يُبعث آكلُ مالِ اليتيم يومَ القيامة ، ولهبُ النار يخرجُ من فيه ، ومن سمعه ، وأنفه ، وعينه ، يعرفه من رآه بآكل مال اليتيم .

هذه بعضُ مظاهر عناية الإسلام باليتيم : عُنى به من جهة ذاته ، فنهى عن ازدرائه واحتقاره وإهانته ، وعُنى به من جهة ماله فأمر بالمحافظة عليه واستثماره وبإعطائهم أموالهم كاملةً عند بلوغهم ، وعُنى به من جهة تربيته وتربيته على التصرف بما ينفعه حتى يبلغ أشده . . . فطوبى لمن اتقى الله في اليتامى ، وأحسن إليهم وأكرمهم .

ومِمَّا أوحى الله إلى يعقوب عليه السلام : « إِنِّي لَمْ أُحِبَّ شَيْئًا مِّنْ خَلْقِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ » .

قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَبَضَ يَتِيمًا مِنْ بَيْنِ مُسْلِمِينَ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ أَلْبَتَّةَ إِلَّا أَنْ يَعْمَلَ ذَنْبًا لَا يُغْفَرُ » .

وقال ﷺ : « مَنْ عَالَ ثَلَاثَةَ مِنَ الْيَتَامَى كَانَ كَمَنْ قَامَ لَيْلَهُ وَصَامَ نَهَارَهُ وَغَدَا وَرَاحَ شَاهِرًا سَيْفَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَكَانَتْ أُنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ أَخْوَانٌ كَمَا أَنَّ هَاتَيْنِ أُخْتَانِ - وأشار بالسبابة الوسطى - » .

فاتقوا الله في اليتامى ، واخشوه ، وراقبوه في كل قول وعمل ، وتوبوا إليه سبحانه توبة نصوحاً ، فالتائبُ من الذنب كمن لا ذنب له .

تلخطة الثانية :

إِنَّ إِكْرَامَ الْيَتِيمِ فِي بَيْتِ مُسْلِمٍ يَسَبِّبُ الْبَرَكَةَ .
فعن أبي موسى رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ما قعد يَتِيمٌ
مع قوم على قصعتهم ، فيقربَ قصعتهم شيطانٌ » . والبيت الذى يُكْرِمُ
اليتيمَ يكونُ موضعَ رحمةٍ من الله ورعايته .
فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :
« إِنَّ أَحَبَّ الْبُيُوتِ إِلَى اللَّهِ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ مُكْرَمٌ » .
وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « خَيْرُ بَيْتٍ
فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ
فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ » .
والعطف على اليتامى يُهْدِبُ النفوس ويرقق القلوب القاسية ، فقد
يروى أبو هريرة أَنَّ رجلاً شكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قسوةَ قلبه ، فقال :
« امْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ وَأَطْعِمِ الْمُسْكِينَ » .
ويحذِّرُنَا الحبيبُ الهادى من أَنْ نكونَ سبباً فى بكاءِ يَتِيمٍ ، فيقول
ﷺ : « إِيَّاكُمْ وَبُكَاءَ الْيَتِيمِ فَإِنَّهُ يَسْرِى فِي اللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ » .
عن عمرو بن دينار عن جابر رضى الله عنه : أَنَّ رجلاً قال :
يارسول الله ، فيم أضرب يَتِيمِي ؟ قال : « مَا كُنْتَ ضَارِباً مِنْهُ وَلَدَكَ ،
غَيْرَ وَاقٍ مَالَكَ بِمَالِهِ ، وَلَا مُتَأَثِّلٌ (١) مِنْهُ مَالاً » .
وعن أبي هريرة رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : « اجْتَنِبُوا
السَّبْعَ الْمَوْبِقَاتِ ! قَبِيلٌ : وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : الشُّرْكُ بِاللَّهِ ، وَالسَّحَرُ ،
وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ،
والتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ » .
(١) المتأثِّل : الجائع .

يامعاذ أحسن خلقك للناس

أيها المؤمنون :

أثنى الله عز وجل على نبيه وخاتم رسله محمد ﷺ فقال له :
(وَأَنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (١) .

والخلق العظيم الذى أثنى الله به عليه هو أدب القرآن الذى ظهر
فى منطقته ﷺ ، وفى مسالكه ، وفى معاملاته للقريب والبعيد ، وفى
رفقه بأئمة وإكرامه إياهم ، وفى سعة صدره وحلمه ، وفى سهولة طبعه ،
وانبساط وجهه للناس ، وفى إقباله على محدثه بذوق رفيع وأدب عال ،
كما ظهر الخلق العظيم فى عفة عند القدرة ، وفى صلاته من قطعه ،
وفى تواضعه للفقير والمسكين والأرمل واليتيم ، كما ظهر الخلق العظيم
فى مشاركته ﷺ أهله فى مهنهم ، ورفقه بخديمه ومعاونتهم بنفسه
فى أعمالهم . . فقد جمع الله عز وجل لنبيه فى نفسه العظيمة كل محاسن
الآداب ، ومكارم الأخلاق .

ولذا فإن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها حين سئلت : كيف كان
خلق رسول الله ﷺ ؟ قالت : كان خلقه القرآن . ولما سأها ابن
أختها عن خلقه ﷺ ، قالت له : أما تقرأ سورة « المؤمنون » ؟ .
قال : بلى . قالت : اقرأ . فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ
الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَبَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ
مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ *
إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ

وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ *
وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١﴾ .
فلما وصل إلى هذه الآية قالت له عائشة : هكذا كان خلق رسول
الله ﷺ .

وحين نزلت هذه الآيات من سورة « المؤمنون » استقبل رسول
الله ﷺ القبلة ، ورفع يديه وقال : « اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلَا تُنْقِصْنَا ،
وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا ، وَأَعْظِمْنَا وَلَا تَحْزِمْنَا ، وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا ،
وَارْضَ عَنَّا وَارْضِنَا ، ثُمَّ قَالَ : لقد أنزل على عشر آيات من أقامهن
دخل الجنة » .

وفي هذه الآيات تشويق للمؤمنين الصالحين الصادقين للتجلى بأعظم
الفضائل التي تسعد المؤمن في حياته الدنيوية : وتُؤَيِّدُهُ للسعادة الأخروية ،
فمن أقام هذه الفضائل وحققها في نفسه فاز ونجا .

فقد تضمنت الآيات تشويق المؤمنين للخوف من الله وخشيته ،
وذلك بطاعته والخشوع والخضوع والتذلل بين يديه . كما شوقت
إلى عفة اللسان وجديته فلا ينطق إلا بخير ولا يقول إلا حقاً وحسناً ،
وإلى السخاء والجود وبذل المال في وجوه الخير ، كما حرّضت الآيات
على طهارة الذليل وحفظ الفروج من الحرام ، وعلى الوقوف عند حدود
الله في الحلال والحرام ، وأعلت الآيات أيضاً من شأن الأمانة بحفظها
ورعايتها ومن شأن العهود والمواثيق وضرورة رعايتها والوفاء بها ،
كما أكدت فضل الصلاة ولزوم المحافظة عليها بأدائها في أوقاتها
والمداومة عليها .

أيها المؤمنون :

إنَّ التدبّرَ لهذه الآياتِ من سورة « المؤمنون » يرى أنَّها جمعت
خَيْرَي الدُّنْيَا والآخِرَةِ ، ولهذا لفتَ المصطفى ﷺ أُمَّتَهُ إِلَى أَنَّ مَنْ
عَمِلَ بِمَا جَاءَ فِيهَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

ونحن - المسلمين - قد أُمِرْنَا بِالِاقْتِدَاءِ بِالنَّبِيِّ ﷺ ، فهو أَسْوَتُنَا
الْحَسَنَةُ ، وَقَدَوْتُنَا الطَّيْبَةُ ، فِي عِبَادَاتِهِ ، وَأَخْلَاقِهِ ، وَمَسَالِكِهِ الَّتِي أَتَى
اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا ، فَقَدْ سُمِّيَ خُلُقُهُ عَظِيمًا ، لِأَنَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ اجْتَمَعَتْ
كُلُّهَا فِي نَفْسِهِ الطَّاهِرَةِ ، وَقَدْ قَالَ ﷺ : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ
الْأَخْلَاقِ » .

وما أَسْجَدْنَا إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَمَحَاسِنِ الْآدَابِ ، فَهِيَ زِينَةُ
الْمُؤْمَنِ ، وَدَلِيلُ حَسَنِ إِيْمَانِهِ ، وَأَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ،
كَمَا قَالَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى ﷺ .

وروى عنه عليه الصلاة والسلام أَنَّهُ قَالَ : « أَدَبَنِي رَبِّي تَأْدِيبًا
حَسَنًا » إِذْ قَالَ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١) .
وهذه الآية الكريمة موجزة اللفظ ، ولكنها عظيمة المعنى ، سامية
فِي مَرَامِيهَا ، وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ آدَابٍ وَفَضَائِلَ ، فَفِيهَا حَثٌّ عَلَى
الْعَفْوِ عَمَّنْ أَسَاءَ وَعَلَى الرِّفْقِ بِالْمُؤْمِنِينَ وَالتَّوَاضُّعِ لَهُمْ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ :
﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ أَمَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ فَقَدْ تَضَمَّنَ الْحُضَّ عَلَى
صَلَةِ الْأَرْحَامِ ، وَعَلَى تَقْوَى اللَّهِ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَالتَّعَاوُنِ عَلَى نَشْرِ
الْخَيْرِ وَقَمْعِ الشَّرِّ ، ثُمَّ تَحَضُّسُ الْآيَةِ عَلَى التَّخَلُّقِ بِالْحِلْمِ ، وَتَجَنُّبِ السَّفَهَاءِ
وَالْأَشْرَارِ وَالتَّنَزُّهِ عَنْ مَنَازَعَتِهِمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

فَبِاتِّبَاعِ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ يَعِيشُ الْمُؤْمِنُ وَقُورًا حَلِيمًا مَحْبُوبًا دَاعِيًا لِلْخَيْرِ مُبْغِضًا لِلْإِثْمِ وَالشَّرِّ، مُقَرَّبًا مِنْ رَبِّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى .
وورد أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ في هذه الآية :
« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُكَ أَنْ تَغْفِرَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ » .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ :

إِنَّ سَعَادَةَ الْفَرْدِ وَالْجَمَاعَةِ مُقْتَرَنَةٌ بِحُسْنِ الْخُلُقِ ، وَإِنَّ الشَّقَاءَ إِنَّمَا يَكُونُ إِذَا سَاءَ الْخُلُقُ ، لِذَا فَقَدْ بَنَى الْإِسْلَامُ لِلْفَضَائِلِ الْعَالِيَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ صِرْحًا عَالِيًا ، وَجَعَلَ الْخُلُقَ الْكَرِيمَ مِنْ أَسْبَابِ رَحْمَةِ اللَّهِ بِالْمُؤْمِنِ وَقُرْبِهِ مِنَ الْحَبِيبِ الْمَصْطَفَى ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ :
« مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَدِيءَ » .

وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ فَقَالَ :
« تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ » .

وَمِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ الْكَرَمُ وَالسَّخَاءُ وَالْبَشَرُ وَطَلَاةُ الْوَجْهِ ، وَكَفُّ الْأَذَى وَاحْتِمَالُ مَا يَكُونُ مِنَ النَّاسِ ، وَكُظْمُ الْغِيْظِ لِلَّهِ ، وَلِينُ الْقَوْلِ ، وَكُلُّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْمَرْوَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى عُلُوِّ الْهَمَّةِ وَكَرَمِ الشَّمَائِلِ .. وَهَذَا أَبُو جُرَيْجٍ يَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَعْلَمَهُ شَيْئًا يَنْفَعُهُ اللَّهُ بِهِ فَقَالَ لَهُ : « اتَّقِ اللَّهَ ، وَلَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ مُنْبَسِطٍ ، وَأَنْ تُفْرَغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِثْنَاءِ الْمُسْتَسْقَى ، وَإِنْ أَمْرُكَ بِسَبِّكَ بِمَا لَا يَعْلَمُ مِنْكَ فَلَا تُسَبِّهِ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ أَجْرًا ، وَوَعَلِيهِ زُرًّا ، وَلَا تُسَبِّنْ شَيْئًا مِمَّا خَوَّلَكَ اللَّهُ تَعَالَى » .

قال أبو جري : فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ شَاءً وَلَا بَعِيرًا .
نَسَأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرْزُقَنَا حَسَنَ الْخَلْقِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -
وَسَلُوهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ ، وَتَوَبُّوا إِلَيْهِ تَوْبَةً نَصُوحًا
فَالثَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ .

* * *

للخطبة الثانية :

ومن الوصايا الجامعة التي ينبغي لنا أن نتدبرها وأن نحققها في
نفوسنا وَمَسَالِكُنَا قَوْلُ نَبِيِّنا ﷺ : « أَمَرَنِي رَبِّي بِتِسْعٍ : الْإِخْلَاصِ
فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَالْعَدْلِ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ ، وَالْقَصْدِ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ ،
وَأَنْ أَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي ، وَأَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي ، وَأُعْطِيَ مَنْ حَزَمَنِي ،
وَأَنْ يَكُونَ نُطْقِي ذِكْرًا ، وَصَمْتِي فِكْرًا ، وَنَظَرِي عِبْرَةً » .
وكان من دعاء النبي ﷺ : « اللَّهُمَّ حَسِّنْ خُلُقِي كَمَا حَسَّنْتَ
خُلُقِي » .

وفي الحديث الذي رواه جابر يقول النبي ﷺ : « إِنْ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ
وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا ، وَإِنْ أَبْغَضَكُمْ
إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَاوُونَ وَالتَّشَدُّقُونَ وَالتَّمْفِيهِيُّونَ » ،
قالوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا التَّمْفِيهِيُّونَ ؟ قال : « الْمُتَكَبِّرُونَ » .

الخمرة أم الكبائر *

الحمد لله الذى أنعم على عباده بنعمة العقل والإدراك ، ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد قطع أسباب الفساد والهلاك ، أحمد الله تعالى وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله أمر بحفظ العقول ، والأبدان ، والأموال ، وأشهد أن محمدا رسول الله حذرنا طريق الضلال ، صلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه الأبطال .

أما بعباد : فيا أيها المؤمنون :

الإنسان فى الدنيا سلاحه عقل سليم ، وصحة قوية ، ومال يغنيه ، وكرامة وشرف يُعليه ، والدين حارس على أتباعه ، حريص على سعادتهم ، حرم عليهم ما يضر بعقولهم وأبدانهم ، ويذهب أموالهم وشرفهم ، ولكن الشيطان يُغري الناس بالمحرم الممنوع ، والنفس تتشوق للبعيد ، ولو كان فيه هلاكها ودمارها فى الدنيا ، وعذابها وسعيرها فى الآخرة ، حرم الله شرب الخمر لإفسادها العقول ، وضياع الأموال وتهدم الأبدان ، وفقدان الكرامة ، وتدهور الأخلاق ، فمُدمِن الخمر ماله للخيل والعنوين ، والفقر والحاجة ، والضعف والعلل ، ونكم من رجل مُجيد نافع أرسلته الخمور لمستشفى المجانين ، وكم من بيوت أُغلقت ، وعائلات تعذبت وتشردت ، لأن كبيرها عاقر الخمر ، وترك أهله فى حاجة للخبز المجرد ، والقوت الضرورى ، وكم من رجال

« مختارة من مجموعة خطب الشيخ محمود على أحمد خطيب مسجد الرفاعى بالقاهرة فى العقد السابع من القرن الرابع عشر الهجرى والعقد الخامس من القرن العشرين الميلادى وكان رحمه الله من أفاضل الوعاظ والخطباء .

أَشْدَاءُ أَقْوِيَاءَ هَدَمْتَهُمُ الْخَمْرُ وَطَحْنَتَهُمْ ، فَصَارُوا مَجْمَعًا لِلْعَالِ ، وَكَشَكْرًا
تَلَّاسِقًا ، كَمَنْ مِنْ رَجُلٍ فَاضِلٍ صَيَّرَتْهُ الْخَمْرُ سَفِيهَاً بِذِيئًا ، لَا يَسْتَحْيِي مِنْ
أَقْبَحِ الْقَوْلِ .

حَرَمَ الْإِسْلَامُ الْخَمْرَ لِيَمْنَعَ التَّبَاغُضَ وَالتَّقَاتِلَ ، فَإِنَّ السَّكِيرَ يَسُبُّ
وَيُلْعَنُ وَيُؤْذَى وَيَضْرَبُ وَيَعْتَدَى عَلَى عِفَافِ النِّسَاءِ فَيَزْنِي وَيَفْسُقُ ،
وَإِنْ لَزِمَ الْأَمْرُ يَسْرِقُ وَيَنْهَبُ ، وَيَقْتُلُ النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَهَا اللَّهُ ، فَتَكُونُ
الْجَرَائِمُ وَالْمَصَائِبُ وَالنِّزَاعُ وَالْعِدَاوَةُ ، وَالتَّقَاطُعُ الْمَقْوُوتُ ، حَرَمَ الدِّينُ
الْخَمْرَ لِأَنَّهَا تُنْسِي ذِكْرَ اللَّهِ ، وَكَيْفَ يَذْكُرُ اللَّهُ شَخْصًا يَنْسِي نَفْسَهُ
وَكِرَامَتَهُ ، يَنْسِي بَيْتَهُ وَأَوْلَادَهُ ، يَنْسِي وَاجِبَهُ وَدِينَهُ . حَرَمَ الدِّينُ
الْخَمْرَ لِأَنَّهَا تَصُدُّ عَنِ الصَّلَاةِ ، وَهِيَ عَمُودُ الدِّينِ وَعَلَامَةُ الْإِيمَانِ .
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ
عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ) إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ
بَيْنَكُمْ الْعِدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ
الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (١) ، مَتَى سَكِرَ الْمَرْءُ وَانْتَشَى ، فَلَا يَبَالِي
بِمَا يَقُولُ وَلَا بِمَا يَفْعَلُ ، وَلَا يَبَالِي بِزْنِهِ وَلَا بِفَاحِشَتِهِ ، وَلَا يَعْبَأُ بِعِرْضِهِ
أَوْ عِفَافِهِ ، فَالسَّكِيرُ لَا يَتَعَفَّفُ عَنْ مَنَكِرٍ ، وَلَا يَخْجَلُ مِنْ تَهْنُكٍ .
عِبَادَ اللَّهِ :

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « الْخَمْرُ أُمُّ الْخَبَائِثِ » .

يَقُولُ السَّكَارَى إِنَّ الْخَمْرَ تُلْهِجُ الْمَدْمُومَ وَالْأَحْزَانَ ، وَتَجْلِبُ الْمَسْرَةَ
وَالْفَرَحَ ، وَفَاتِهِمُ أَنَّهُ فَرَحٌ مَزِيْفٌ مَغْشُوشٌ ، وَسُرُورٌ كَاذِبٌ ، يَغْتَابُهُ
هَبْوَطٌ وَحَسْرَةٌ ، وَرُكُودٌ وَذَلَّةٌ : وَهَلْ خُلِقَ الرَّجُلُ لِيَفْرَّ مِنَ الْمَدْمُومِ ،

فيقع في محرم يضاعفُ همَّه ، ويزيدُ غَمَّه ، يقولون إنها تُثَوِّى الجسمَ ،
وتنفيدُ الصحة . وتُحدِّثُ في الوجه احمراراً ونضرة ، وفاتهم أن للخمر ردَّ
فعلٍ يصحُّبه اصفرارٌ وهُزالٌ ، وقِيءٌ وكسلٌ ، وفاتهم أن الطبَّ أثبت أن
الخمرَ سببٌ لالتهاب الكبد ، والكلبي ، والشللي ، والصرع ، والجنون ،
وضعفِ النسل ، دخلت الخمرُ القرى فانصرف الفلاحُ والمزارع عن
الرى والحرث ، دخلت الخمرُ قلوبَ العمال والصناع ففترت الهممُ ،
وانحلت عزائمُ الرجال ، فقلَّ الإنتاج ، وضعفت حركةُ التعامل ، لذلك
كانت أمُّ الكبائر ، وأمُّ الخبائث ، أوجب فيها الدينُ ثمانين جلدَةً
زجراً وردعاً ، وحفظاً للعقول والأموال ، والأخلاق والأعراض ووقايةً
وصوناً » ضربَ رسولُ الله في الخمرِ بالجريد والنعالِ ، وجلدَ أبو بكر
أربعين » ، يقولون ليس في الدين ذكر للكنياك والوسكى والشمبانيا ،
وديننا يضعُ الأصولَ لتشملَ الفروعَ ، ويضعُ القواعدَ العامةَ ، ويحرِّمُ
الشيءَ لعله الضررُ ، والرسولُ ﷺ يقول: « كلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وكلُّ خمرٍ
حرامٌ ؛ ومن شربَ الخمرَ في الدنيا وماتَ وهو يُدْمِنُها لم يشربْها في
الآخرة » ، تمكنت الخمرُ من نفوس العرب قبل الإسلام ، لا يخلو منها
بيتٌ ولا يتركها إنسانٌ حتى أتقن النساءُ صنْعها . وتمدح الرجالُ بها
في أشعارهم وكانت لهم فيها منافع ، يتجرون بها ويربحون منها ،
فكان من حصافة الإسلام أن تدرجَ في تحريمها وترقى في منعها ، فنزل
أولاً قول الله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ
وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ (١) فتركها قوم لإثمها الكبير ، وشربها
آخرون لنفعها الحقيق ، ولما صلى بعضهم وهو سكران فهلَّى وخلط
نزل قول الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى

حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ» (١) ولتقاربِ أوقاتِ الصلاة ، ما كانوا يشربون إلا بعد العشاء ، لبعدها عن الفجر ، فلما قَلَّ شربُها ، وأعرض الكثيرُ عنها ، وتمشَّى الإيمانُ في القلوب ينيرُها ويَهْدِيها .

قال عمر رضى الله عنه ، اللهم أنزل لنا في الخمر بياناً شافياً ، فنزل التحريمُ الباتُ القاطعُ بقوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (٢) .

ثم أقيم الحدُّ على كل شارِبٍ فأنعدم شربُها أو كاد ، حتى إذا أهملت الحدودُ الشرعية (٣) . وضعفَ وازعُ الدين ، واختلط المسلمون بالإنفنج ، يقلدوهم في السوء ، ويتشبهون بهم في الشر ، صارت الخمرُ تُشربُ بلا خوفٍ ولا حياء .

فاتقوا الله في دينكم ، وعقولكم ، وأموالكم ، وأعراضكم ، وساعدوا الحكومة بالإعراض عن الخمر تهتدوا .

قال ﷺ « لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يُسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ » .

(٢) المائدة ٩٠ ، ٩١

(١) النساء ٤٣

(٣) الخطبة أُلقيت في مصر بعد تطبيق القوانين الفرنسية لا الشرعية وهذا حال معظم الدول الإسلامية .

أَخْلِصُوا الْعَمَلَ لِلَّهِ ، وَأَحْسِنُوا إِلَى مَنْ أَمَرَ اللَّهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ

قال الله تعالى من سورة النساء :

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ
وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا
فَخُورًا ۝ (١) .

أيها المؤمنون :

أَجْمِعْ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ مِنَ الْمُحْكَمِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ ،
وَبَدَأَهَا سُبْحَانَهُ بِالْأَمْرِ بِالْعِبَادَةِ لَهُ وَالنَّهْيِ عَنِ الْإِشْرَاقِ بِهِ ، وَالْعِبَادَةُ
عِبَارَةٌ عَنْ تَوْحِيدِهِ وَإِلْزَامِ النَّفْسِ شَرَائِعَ دِينِهِ ، وَأَصْلُهَا : الْخُضُوعُ
وَالْتَذَلُّ وَمِنْ مَعَانِيهَا الطَّاعَةُ ، وَلَنْ تُؤْتِيَ الْعِبَادَةُ ثِمَارَهَا ، وَلَنْ يَتَحَقَّقَ
الْمَقْصُودُ مِنْهَا لِلْعَابِدِ إِلَّا إِذَا كَانَتِ الْأَعْمَالُ فِيهَا خَالِصَةً لِلَّهِ تَعَالَى ، صَافِيَةً
مِنْ شَوَائِبِ الشَّرِكِ ، .

قال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۝ (٢) .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۝ (٣) .
فَمَا كَانَ مِنْ صَلَاةٍ أَوْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نَذْرٍ أَوْ خَوْفٍ أَوْ رَجَاءٍ أَوْ تَوَكُّلٍ
أَوْ اسْتِغَاثَةٍ وَاسْتِعَانَةٍ وَدَعَاءٍ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ وَنَحْوِهِ فَهُوَ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَكُلُّ
عَمَلٍ مِنْهَا يَتَوَجَّهُ بِهِ صَاحِبُهُ لِغَيْرِ اللَّهِ ، فَعَمَلُهُ بَاطِلٌ لِمَا فِيهِ مِنَ الشَّرِكِ ، وَمَا

كان تقديم أهل الجاهلية القرابين للأصنام إلا لاعتقادهم أنها تقربهم إلى الله زُلتى مع إيمانهم بوجود الله ، وبأنه الخالق الرازق المنعم ، وما أخرجهم هذا الاعتقاد من دائرة الشرك والمشركين لتقديمهم العبادة والخضوع والتذلل والخوف والرجاء لغير الله تعالى .

والعمل الذى يُخالطه رياءٌ ويرجوه صاحبه السعته وحسن الصيت . لا يكون خالصاً لله .

وقد جاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه » .

وجاء فى سنن ابن ماجه عن أبى سعيد بن أبى فضالة الأنصارى وكان من الصحابة قال ، قال رسول الله ﷺ : « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد : من كان أشرك فى عمل عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عند غير الله فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك » .

والرياء على هذا النحو مُبطلٌ للأعمال مُضيعٌ لثمرتها ، فينبغى للمؤمن أن يراقب نفسه ، وأن يستعين بالله عليها ، وأن يجعل نيته خالصةً لمن يبدئه الأمر ، وأن يطلب بعمله الدار الآخرة .

نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص فى السر والعلن ، وأن يحفظنا من الشرك ومزالقه .

عباد الله :

ثم أمر الله عز وجل فى الآية الكريمة بالإحسان إلى الوالدين بعد الأمر بعبادته وحده ، وعدم الإشراك به سبحانه وتعالى ، والإحسان إلى الوالدين وبرهما من أعظم القربات إلى الله عز وجل ، وعقوق

الوالِدَيْنِ وَالْإِسَاءَةُ إِلَيْهِمَا ، وَإِهْمَالُ شَأْنِهِمَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَجْلِبُ غَضَبَ اللَّهِ عَلَى فَاعِلِهِ .

قال العلماء : فَأَحَقُّ النَّاسِ بَعْدَ الْخَالِقِ الْمَنَانِ بِالشُّكْرِ وَالْإِحْسَانِ وَالتَّزَامِ الْبِرِّ وَالطَّاعَةِ وَالْإِذْعَانِ ، مَنْ قَرَنَ اللَّهُ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِمَا بِعِبَادَتِهِ ، سَبَّحَانَهُ وَقَرَنَ بِطَاعَتِهِ وَشُكْرِهِ الشُّكْرَ لَهُمَا ، وَهُمَا الْوَالِدَانِ .
يقولُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ (١) .

وعن ابن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ
« رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ وَسُخْطُهُ فِي سُخْطِ الْوَالِدَيْنِ » .

وبعد الأمر بهرِّ الوالدين والإحسانِ إليهما بالقول والعمل أمر سبَّحَانَهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى ذَوَى الْقُرْبَى فَهُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِالْبِرِّ وَالْمُودَّةِ وَالصَّلَةِ لِأَنَّهُمُ الْأَهْلُ ، وَمِنْهُمْ تَتَكُونُ أُسْرَةُ الْإِنْسَانِ فَإِذَا مَا كَانَتْ الْأُسْرَةُ مُتَسَاعِدَةً مُتَعَاوِنَةً صَالِحَةً كَانَتْ الْأُمَّةُ قَوِيَّةً صَالِحَةً ، وَأَرْحَامُ الْإِنْسَانِ كَالْإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ وَالْأَعْمَامِ وَالْعَمَّاتِ وَالْأَخْوَالِ وَالْخَالَاتِ وَنَحْوَهُمْ هُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِالصَّدَقَاتِ إِذَا كَانُوا فَقَرَاءً ، وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُسْلِمَ أَنْ يَبْدَأَ بِنَفْسِهِ ثُمَّ بِمَنْ يَعُولُ كَأَبْنَائِهِ وَوَالِدِيهِ وَزَوْجِهِ ثُمَّ بِالْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ تَحْقِيقًا لِلتَّرَاحُمِ وَالْمُودَّةِ وَقُوَّةِ الرَّابِطَةِ بَيْنَ الْأَهْلِ ، وَصَلَةُ الرَّحِمِ وَمُودَتُهُمْ وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْقُرْبَاتِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْ أَسْبَابِ الْبَرَكَةِ فِي الْعُمُرِ وَالْمَالِ .

كما أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى وَالرُّفَقِ بِهِمْ وَرِعَايَةِ أَحْوَالِهِمْ ، وَمِنَ الرُّفَقِ بِهِمْ تَعْلِيمُهُمْ وَتَوْجِيهِهُمْ الْوَجْهَةَ الصَّالِحَةَ

وتثميرُ أموالِهِم والقيامُ على كُلِّ أُمُورِهِم بما يَعُودُ عَلَيْهِم بالنفعِ في دينِهِم ودُنْيَاهُم .

وينبغي للمؤمنِ القادرِ أَنْ يَرعى اليَتامى والفقراءَ وَيَأْثِرَ السَّعَادَةَ المَجْتَمِعَ الذى لَا يَضِيعُ فِيهِ اليَتامى ، لأنَّهُم يَجِدُونَ القلوبَ الحانيةَ ، والنفوسَ الشاكِرةَ والرعايةَ الواجبةَ .

أَمَرَ اللهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْمَساكِينِ وَهُمْ أَهْلُ الْمَسْكَنَةِ وَالضَّعْفِ مِنَ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ غِنًى يُغْنِيهِمْ وَقَدْ لَا يَفْطِنُ لَهُمُ الْإِلَهُمُ النَّاسُ لَعَدَمِ تَعَرُّضِهِمْ لِلسُّؤَالِ ، فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ الْقَادِرِ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ هَؤُلَاءِ وَيُقَدِّمَ لَهُمْ مِنْ زَكَاتِهِ وَصَلَاتِهِ ، وَأَنْ يَحَقِّقَ لَهُمُ الْمَجْتَمِعَ حَدَّ الْكِفَايَةِ الَّتِي تَلِيْقُ بِالْمُؤْمِنِ بِحَسَبِ ظُرُوفِ زَمَانِهِ وَمَكَانِهِ وَمُسْتَوَى الْمَعِيشَةِ فِي بَلَدِهِ .

وَبَعْدَ الْأَمْرِ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدِينَ وَذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَساكِينِ ، أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْجَارِ أَيْ بِحِفْظِهِ وَالْقِيَامِ بِحَقِّهِ ، وَمِنْ حَقِّهِ إِكْرَامُهُ وَكَفُّ الْأَذَى عَنْهُ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ إِذَا غَابَ ، وَزِيَارَتُهُ إِذَا مَرَضَ ، وَإِقْرَاضُهُ إِذَا اسْتَقْصَكَ وَتَقْدِيمُ الْعَوْنِ لَهُ عِنْدَ الْحَاجَةِ ، وَإِعَانَتُهُ إِذَا اسْتَغَاثَ ، وَالتَّوَدُّدُ إِلَيْهِ بِالْهَدَايَا خُصُوصًا لِأَقْرَبِ الْجِيرَانِ بَابًا لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِرَجُلٍ قَالَ لَهُ إِنْ لِي جَارَيْنِ فإِلَى أَيِّهِمَا أَهْدِي ؟ قَالَ : « إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكَ بَابًا » . . .

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَعَائِشَةَ عِنْدَ تَفْرِيقِ لَحْمِ الْأُضْحِيَّةِ : « اِبْدِئِي بِجَارِنَا الْيَهُودِيَّ » ذَلِكَ أَنَّ وَصَاةَ الْإِسْلَامِ بِإِكْرَامِ الْجَارِ عَامَةٌ تَتَنَاوَلُ الْمُسْلِمَ وَغَيْرَ الْمُسْلِمِ ، وَقَدْ شَمِلَ الْأَمْرُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْجَارِ الْجَارَ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ وَالَّذِي لَهُ رَحْمٌ ، وَالْغَرِيبَ وَالْمُسْلِمَ وَالْكَافِرَ .
(وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجَنْبِ) .

أما صاحبُ بالجَنَبِ : فهو الرفيقُ في السفرِ ، وقال بعضُ الصحابةِ إنه الزوجةُ وقال ابنُ جُريج : هو الذى يصحبك ويلزمك رجاء نفعك ، وهؤلاء جميعاً ممن ينبغى للمؤمنِ الإحسانُ إليهم والآيةُ تعمُّهم . والله أعلم .

ثم أمر الله عزَّ وجلَّ بالإحسانِ إلى « ابنِ السبيلِ » قيل : هو الضيفُ ينزلُ بك ، وهو أيضاً المسافرُ الذى يجتازُ بك ماراً ، ومن الإحسانِ إليه إعطاؤه وهدايته وإرشاده .

أيها المؤمنون :

وأمر الله عز وجل في الآية بالإحسانِ إلى من يكونُ تحت يدِ المؤمنِ وفي خدمته ﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ والإحسانُ إليهم إنما يكون بالرفقِ بهم والتواضع لهم ، وإكرامهم . . وقد جاء في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « إخوانكم خولكم ، مَلَكَكُمْ اللهُ رِقَابَهُمْ ، فَاطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ ، وَاكْسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ وَلَا تَكْلِفُوهُمْ مِنْ الْعَمَلِ مَا لَا يُطِيقُونَ ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ » فطوبى لِمَنْ تَوَاضَعَ لِمَنْ تَحْتَ يَدِهِ مِنْ إِخْوَانِهِ وَأَحْسَنَ مُعَامَلَتَهُ ، وَكَلَّفَهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يُطِيقُهُ .

وقد ذمَّ الله عزَّ وجلَّ كلَّ ذى صفةٍ تحملُ صاحبها على الأنفة من الفقراء والجيرانِ والخدمِ وغيرهم ممن أمر الله بالإحسانِ إليهم والتواضع لهم ، فقال في ختام الآية :

﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ فنفى سبحانه محبته ورِضاهُ عمن يكونُ من صفته الكِبَرُ والبَذَخُ والتطاوُلُ على الناسِ والتكبرُ عليهم .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَسَتَكُونُ فِتْنٌ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ - أَيْ
شديدة متتابعة - يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا ، وَيُمْسِي كَافِرًا ، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا ،
وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بَعَرَضِ الدُّنْيَا » .

عن أبي بكرة تُفيع بن الحارث رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ :
« أَلَا أُنبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ ؟ - ثلاثًا ، قلنا : بلى ، يا رسول الله ،
قال : الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعَقْوُقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَكَانَ مُتَكِنًا فَجَلَسَ فَقَالَ :
أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وشهادةُ الزور » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت .
نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنَا مَحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -
وَوَحِّدُوهُ سُبْحَانَهُ وَأَحْسِنُوا إِلَى مَنْ أَمَرَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، تَفُوزُوا بِرِضْوَانِ
اللَّهِ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ .

القِسْمُ الْخَامِسُ

- ٤٢ - عموم رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .
- ٤٣ - في مولد النبي صلى الله عليه وسلم
« طلع الليلة فجر أحمد »
- ٤٤ - الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .
- ٤٥ - هجرة النبي صلى الله عليه وسلم .

عموم رسالة النبي ﷺ

أما بعد :

فعن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال :
« والذي نفس محمد بيده ، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار . . »

أيها المؤمنون :

من الأيمان التى كان النبي ﷺ يُكثِر الحَلِفَ بها ويواظبُ عليها
« والذي نفس محمد بيده » لأنه يدلُّ على زيادة تعظيم المخلوف به ،
فقد وصفه بأنَّ ذاته فى يده ، وفى قبضته وتحت تصرف قدرته ،
وأن المخلوق لا حولَ له ولا طولَ ، وذلك منتهى الخضوعِ أمامَ عَظَمَةِ
الخالقِ وجبروته .

ولمَّا أقسم ﷺ لتأكيد الخبر ، ليتمكنَ الحُكْمُ فى النفس
أشدَّ تَمَكُّنً والمخلوف عليه قوله ﷺ « لا يَسْمَعُ بي أحدٌ من هذه
الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلتُ بما إلا كان
من أصحاب النار » .

ولمَّا خَصَّ فى الحديث اليهودى والنصرانى ، وإن كان الحكم عامًّا
يتناولُ غيرهما ، لأنَّ اليهودَ والنصارى لهم كتابٌ سماوىٌّ فإذا كان هذا
شأنهم مع أن لهم كتاباً سماوياً فغيرهم ممن لا كتابَ لهم أولى .
والمرادُ بالأمة فى الحديث الشريف الإنسُ والجنُّ ، فكلُّ مَنْ علم
بمبعثه ﷺ سواء كان موجوداً فى زمنه أو وُجِدَ بعده إلى يوم القيامة

وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانُ بِهِ ، والدخولُ في طاعته ﷺ فإذا مات ولم يؤمن به ، وبقي متمسكاً بدينه وشريعته التي نُسخت بمبعثه ﷺ ، أو بقي بلا دينٍ قد أوجب على نفسه النار ، لأنه لم يدخل في الدين الصحيح الذي ارتضاه الله ديناً .

ولإنما كانت شريعةُ خاتم الأنبياء ناسخة لباقي الشرائع لصلاحيتها لكلِّ زمان ومكانٍ ولتأييدها بمعجزةٍ باقيةٍ مستمرة إلى أن تُؤذَنَ الدنيا بالزوال وهي معجزةُ القرآن الكريم .

أبها الناس :

إن الرسولَ الحبيبَ ﷺ مبعوثٌ إلى الثقلين باتفاقِ المسلمين ، وقد استمعت الجنُّ للقرآن وولَّوا إلى قومهم مُنذرين وكان من خبر ذلك أن النبي ﷺ لما صَلَّى الصبحَ بأصحابه بوادى نخلة وهو موضعٌ على يَلْتَيْنِ من مكة ، مرَّ بهم أولئك النفرُ من الجن : وسمعوا رسولَ الله ﷺ يقرأ القرآن فاستمعوا إليه مصغيين متدبرين فأمنوا به ، ورجعوا إلى قومهم مُنذرين .

وأخبر الله عز وجل نبيَّه بذلك في القرآن بقوله سبحانه وتعالى :
(وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا : يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (١) .

وفي الآيات يحضُّ النفرُ الذين أسلموا من الجن قومهم على الإيمان بالقرآن كما آمنوا بالتوارة التي أنزلت على موسى من قبل ، وأنهم إن لم يؤمنوا ويُجيبوا دأعي الله محمداً ﷺ لا يعجز ربُّهم عن أخذهم بالنكال والعذاب وليس لهم من دونه من نصراء يدفعون عنهم عذابه .

وأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ يخبره بأمر هؤلاء النفر من الجن ، لأنه لم يكن عالماً بهم ولا شاعراً بمكانهم . . . أنزل عليه قوله تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَكِنْ نُشْرِكُ بِرَبِّنَا أَحَدًا * وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ (١) .

وقد أوحى الله عز وجل إلى أنبيائه بصفة النبي محمد ﷺ وبصفة زمانه الذي يُبعث فيه وأوجب عليهم وعلى أتباعهم الإيمان به واتباعه ﷺ إذا هم أدركوه :

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٢) .

وعلى هذا ، فلا بد من الإيمان بأن محمداً هو رسول الله ﷺ إلى جميع الخلق ، إنسيهم وجنهم ، عربهم وعجمهم ، علمائهم وعُبادهم ، مُلوَكهم وسوقتهم ، وأنه لا طريق إلى الله عز وجل لأحد من الخلق إلا بمتابعة النبي ﷺ وطاعته والعمل بما جاء به من عند ربه سبحانه وتعالى .

قال الحق تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١) .

فهذا خطابٌ عامٌ لجميع البشر من العرب والعجم ، وجهه إليهم محمد بن عبد الله النبي العربي بأمر الله تعالى يُنبئهم به أنه رسول الله عز وجل إليهم كافة . . فهو كقوله تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ . (٢) .

ورسولنا الحبيب ﷺ أَرْسَلَهُ رَبُّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٣) .

أيها المؤمنون :

إن كلَّ من آمن بالحبيب المصطفى ، واتَّبَعَ النُّورَ الذي جاء به وأطاعه فهو من أولياء الرحمن المهتدين .

أما من عصى رسولَ محمدًا ﷺ ، وخالف ما جاء به وكفر بالحق الذي دعا إليه فهو من أولياء الشيطانِ المغضوبِ عليهم وهو من أهل النار وبئس المصير .

وقد جاءت الأحاديثُ الصحيحةُ باختصاصه ﷺ بالرسالة العامة كحديث جابر رضي الله عنه قال ﷺ : « أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي :

نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا

فأيُّما رجلٍ من أمتي أذَرَكَتُهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ ، وَأَحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ
تَحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَأَعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ،
وَيُبْعَثُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً .

فالحبيب المصطفى ﷺ أرسله ربه لجميع العالمين وجعل هداية
رسالته باقية إلى يوم الدين وهو خاتم الأنبياء والمرسلين .

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ
النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ (١) ﴾ .

فصلواتُ الله وتحياته المباركة الطيبة على خاتم النبيين ونسأله
سبحانه أن يجعله شفيعنا يوم الدين .

مولد النبي ﷺ ”طلع الليلة نجم أحمد“

أما بعد : فيا عباد الله :

عن أبي موسى رضى الله عنه قال : سمعت النجاشيَّ صاحبَ الحبشة رحمه الله تعالى يقول : « أشهد أن محمداً رسولُ الله ، وأنه الذي بشر به عيسى عليه السلام ، ولولا ما أنا فيه من المالك ، وما تحمّلت من أدور الناس لأنيتُه حتى أحمل نعليه » [أخرجه أبو داود]

نعم . . لقد بشر الأنبياءُ كلهم بظهور الهادي الحبيب ﷺ
وفي الليلة المباركة نادى رجلٌ من أهل الكتاب قائلاً :

طلعَ الليلة نجمُ أحمد : أمّا الليلةُ فهي ليلةُ الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل .

وأما قائلُ هذه العبارة فهو حَبْرٌ يهوديٌّ ، سَمِعَهُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ، يَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ عَلَى حَصْنٍ بِبِشْرَبَ : يَا مَعْشَرَ يَهُودٍ حَتَّى إِذَا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ قَالُوا لَهُ : وَيْلَكَ ، مَا لَكَ ؟ قَالَ طَلَعَ اللَّيْلَةَ نَجْمٌ أَحْمَدُ الَّذِي بِهِ وُلِدَ .
وكان حسانُ رضى الله عنه وقتها غلاماً ابنَ سبع سنين أو ثمان ، ويعقلُ كُلَّ ما سَمِعَ كما حَدَّثَ عن نفسه .

وكان أهلُ الكتاب يعلمون أنَّ نبيّاً من العرب قد قَرُبَ زمانُهُ ، ويترقَّبون مولده ، وينظرون بعثته ، ولهم في ذلك علاماتٌ عرفوها من كتبهم قال ابن إسحاق : وحَدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا : فَإِنْ مِمَّا دَعَانَا إِلَى الْإِسْلَامِ مَعَ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَهُدَاهَا لَنَا ، مَا كُنَّا

نسمعُ من رجالِ يهود ، كُنا أهلَ شركٍ أصحابَ أوْثان ، وكانوا أهلَ كتابٍ عندهم عِلْمٌ ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرورٌ ، فإذا نلنا منهم بعضَ ما يكرهون قالوا لنا : إنه قد تقاربَ زمانُ نبيٍّ يُبعثُ الآنَ نقتلكم معه قتلَ عادٍ وإِرمَ ، فكنّا كثيراً ما نسمعُ منهم ذلك ، فلمّا بُعثَ رسولُ الله ﷺ أجابناه حينَ دعانا إلى الله تعالى ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به ، فبادرناهم إليه فآمنّا به ، وكفروا به ، ففينا وفيهم نزلت هؤلاآ الآياتُ من البقرة :

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَاعْتَنَى اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

وَحَدَّثَ سلمةُ بنُ سلامةَ الأنصاريُّ رضى الله عنه قال : كان لنا جارٌ يهوديٌّ ، فخرج علينا يوماً من بيته حتى وقف في جمعٍ من الناس ، وأنا يومئذٍ مِن أَحَدَثٍ مَّنْ فِيهِمْ سَنًا ، فذكر اليهوديُّ القيامةَ والبعثَ والحسابَ والميزانَ والجنةَ والنارَ .

قال سلمة : فقال ذلك لِقَوْمِ أَهْلِ شَرِكٍ وَأَوْثَانٍ لا يرون أَن بَعْثًا كَائِنٌ بَعْدَ الْمَوْتِ ، فقالوا له : ويحك يا فلانُ أَو تَرَى هذا كائناً ؟ قال : نعم . فقالوا له : ويحك يا فلانُ ، وما آيةُ ذلك ؟ قال : نبيٌّ مبعوثٌ من نحوِ هذه البلاد ، وأشار بيده إلى مكةَ واليمن . فقالوا : ومتى نراه ؟ قال سلمة : فنظر إلىَّ وأنا من أَحَدَثِهِمْ سَنًا ، فقال : إِنَّ يَسْتَنْفِذُ هذا الغلامُ عُمَرَهُ (٢) يدركهُ . قال سلمة : فوالله ما ذهب الليلُ

(١) البقرة : ٨٩ .

(٢) إِنَّ يَسْتَنْفِذُ هذا الغلامُ عُمَرَهُ يدركهُ : المقصود ، إِنَّ يَعْشَى هذا الغلامُ العُمُرَ الَّذِي هُوَ مُتَوَسِّطُ أَعْمَارِ جِيلِهِ وَكَانَ ما بَيْنَ السَّتينِ والسَّبعينِ فَإِنَّهُ يَرَى النَّبِيَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

والنهار حتى بعث الله محمداً رسول الله ﷺ ، واليهودى حتى بين أظهرنا فآمننا به وكفر به بغياً وحسداً .

ولما حاصر الرسول ﷺ بنى قريظة - مُنصرفه من غزوة الخندق - قال جماعة من شبابهم : يا بنى قريظة والله إنه للنبي الذى كان عهد إليكم فيه ابن الهيثبان . فقالوا : ليس به . قالوا : بلى والله ، إنه هو بصفته ، فنزلوا ، وأسلموا ، وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهلهم . وابن الهيثبان هذا عالم صالح من يهود الشام ، قديم على المدينة المنورة قبيل الإسلام بسنين ، ثم لما حضرته الوفاة قال :

« يا معشر يهود ، ما ترونه أخرجنى من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قال الراوى وهو من يهود المدينة : قلنا إنك أعلم . قال : فإني قد قدمت هذه البلدة أنتظر خروج نبي قد قرب زمانه ، وهذه البلدة مهاجرة ، فكنت أرجو أن يبعث فاتبعه ، وقد أظلم زمانه ، فلا تسبقن إليه يا معشر يهود » ، ثم ذكر لهم شيئاً من علامات نبوته ﷺ .

أيها المؤمنون :

ولد رسول الله ﷺ بين قوم هم أهل شرك وأصحاب أوثان شاع فيهم الجهل ووقعوا أسرى الأوهام والأباطيل ، وكانوا قبائل متفرقة لا تجمعهم صلة دينية ولا مصلحة اقتصادية ، ولا تضمهم رابطة سياسية فكانوا يعيشون في حيرة وعمى ، وكانت الحروب تتقذ نيرانها بين قبائل الجزيرة عشرات من السنين من جراء سباق حصان ، أو خيانة في رهان ، أو نحو ذلك من الأسباب التافهة .

ولم يكن حال الناس خارج الجزيرة العربية أحسن مما كانت عليه حال العرب ، فقد انتشرت المساوى والمفاسد في كل مكان ، وعم الجهل

ونشبت العداوات ، وتوارت الفضائل ، وغرق الناس في بحار الضلال ، وصاروا أسرى الأهواء حتى ضجبت الأرض مما تنوء به من شر وبغي وهمجية وعُدوان .

حينئذ لطف الله بعباده فكان مولد الهادي الحبيب ﷺ إيذاناً بميلاد نور جديد ، الناس كانوا إليه في لهف شديد ، كان مولده بشيراً ببعث الخير الذي طال ترقبه ، إذ بمولده قرب أوان إرسال خاتم النبيين والمرسلين ، لينقذ الناس من الضلال الذي خيم على العقول والنفوس . ذلك أن رسالته ﷺ هي الرسالة الساوية الخاتمة ، فلا رسول بعده ولا نبي ، كما أن رسالته عامة للإنس من كل جنس ولسان ، وللجن ، ورسالته ﷺ هي النعمة التامة إذ تضمنت خيري الدنيا والآخرة .

إن الله تعالى بشر جميع النبيين بظهوره ﷺ وأخذ عليهم الميثاق أن يؤمنوا به ويتبعوه إن هم أدركوه قال تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ لِصِرِّي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (١) .

روى أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له : « يا رسول الله : أخبرنا عن نفسك ؟ قال : « نعم أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى أخى عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام » .

وتأويل هذا النور ما فتح الله على المسلمين من تلك البلاد ،

(١) آل عمران : ٨١ : وإصرى أى عهدى .

وانتشار الإسلام في الشام وفي غيرها من أقطار الأرض ، فقد استضاءت تلك البلاد وغيرها بنور رسالته ﷺ .

أيها المسلمون :

لقد شب رسول الله ﷺ في بيئة جاهلية ولكن الله عز وجل كَلَّاهُ بعنانيته وحفظه من أقدار الجاهلية وطهره من دنسها ، لِمَا يُرِيدُ به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أن كان رجلاً ، فكان ﷺ أفضل قومه مروءةً ، وأحسنهم خلقاً ، وأكرمهم حسباً ، وأحسنهم جواراً ، وأعظمهم حِلْماً ، وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمانةً وأبعدهم عن الفُحْشِ والأخلاق التي تُدنُسُ الرجال ، تنزهاً وتكرماً ، كما كان ﷺ أتمَّ الناس أدباً حتى ما كان اسمه بين قومه إلاَّ الصادق الأمين ، لِمَا جَمَعَ اللهُ فيه من الأمور الصالحة ، والأخلاق العالية الفاضلة .

إن الحبيبَ المأدَى ﷺ بعثه الله على فترةٍ من الرسل . . فترة ضلَّ فيها الناس ، وفقدوا رشادهم ، وهاموا في أودية الأباطيل ، فاصطفاه ربه واختاره من بين خلقه لِيُبَلِّغَهُمْ آخِرَ كَتَبِهِ ، وَيَهْدِيَهُمْ بَآخِرِ شَرَائِعِهِ ، فكان ﷺ النورَ للضالين الحيارى ، بصَّرَهُمْ سبيلَ النجاةِ وطريقَ الحقِّ والفلاح ، وكان الرحمةَ المهداةَ للعالمين الذين قست عليهم الحياة ، أنقذهم الله به فعرفوا ربهم وعبدوه ، وعرفوا الخيرَ وأحبُّوه ، وآمنوا بالحقِّ ونصروه ، وقَدَّرُوا العدلَ ورفعوا منارَه ، وأدركوا قيمةَ العلمِ وبنَّوا صروحَه ، وعاشوا على الحبِّ والإخاء والسلام .

صلاةُ الله ورحمته وبركاته على رسولِ الحبِّ والحقِّ والخيرِ والمأدَى .
أخرج البخارى بسنده ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : أن هذه الآية التي في القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً

وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١﴾ . قال في التوراة : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا
وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَحِزْزًا لِلْأُمِّيِّينَ ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي ، سَمِّيتُكَ
الْمُتَوَكِّلَ ، لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ ، وَلَا سَخَّابٍ بِالْأَسْوَاقِ ، وَلَا يَدْفَعُ
السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يَقِيمَ بِهِ
الْمَلَّةَ الْعُوجَاءَ ، بَلَّانَ يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَيَفْتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمَيَّا ،
وَأَذَانًا صَمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا » .

فاتقوا الله عباد الله ، وسلوه العفو والعافية في الدنيا والآخرة ،
وتوبوا إليه لعله يرحمكم

الصلاة على النبي ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

أيها المؤمنون :

صلاة الله على نبيه : ثناؤه عليه عند الملائكة المقربين ، ورحمته به وفضله عليه .

وصلاة الملائكة عليه : دعاؤهم واستغفارهم له .

ومعنى قولنا : اللهم صل على محمد : عظم - يارب - محمداً .
والمراد تعظيمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته ،
وفي الآخرة بإجزال مثوبته وتشفيعه في أمته وإبداء فضيلته بالمقام المحمود .

والله عز وجل شرف نبيه محمداً ﷺ ، وأعلى منزلته ، فهو سيد
وُلْدِ آدَمَ ، وخاتمُ النبيين ، وإمام المتقين ، وهو أفضلُ أُولَى العزم من
الرسل ، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا ، وهو صاحب المقام المحمود الذي
يغبطه به الأولون والآخرون ، وصاحب لواء الحمد ، وصاحب الحوض
المورود ، وشفيع الخلائق يوم القيامة ، وصاحب الوسيلة والفضيلة
الذي بعثه ربه بأفضل كتبه ، وشرع له أفضل شرائع دينه ، وجعل
أمته خير أمة أُخرجت للناس ، وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن
ما فرقه فيمن قبلهم ، وهو القائل : « أنا أول من تنشقُّ عنه الأرض ،
فأكسى الحلة من حُلل الجنة ، ثم أقوم عن يمين العرش فليس أحدٌ

من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى». وقال : « آتَى بَابَ الْجَنَّةِ فَاسْتَفْتَحُ ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : أنا محمد . فيقول : بك أُمِرْتُ أَلَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ » .

والآية الكريمة السابقة شَرَّفَ اللهُ بها رسوله محمداً ﷺ حياته وموته ، وذكر منزلته عنده في الملائكة الأعلَى بأنه سبحانه يُثْنَى عليه عند الملائكة المقربين ، وأن الملائكة تصلى عليه ، ثم أمر الله تعالى أهل الأرض بالصلاة والتسليم عليه ، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً .

أيها المؤمنون :

في الآية الكريمة يأمر الله عباده المؤمنين بالصلاة والتسليم على نبيه محمد ﷺ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » . وعن كعب بن عجرة أن الصحابة سألوه ﷺ : قد عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ . فكيف نُصَلِّيُ عَلَيْكَ ؟ قال : « قولوا : اللهم صلِّ على محمد وعلى آلِ محمد كما صليتَ على إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آلِ محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد » .

والصلاة على النبي ﷺ فرض على المكلف في العمر مرة ، وهي في كل حين من السنن التي لا يصح تركها ، ولا يُغْفَلُهَا إِلَّا مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ ، وقد جاء في الحديث أن جبريل قال له : « إِنَّهُ مَنْ ذُكِرَتْ عَنْده فلم يصلِّ عليك فأبعده الله وَأَسْحَقَهُ » . ومن حق الرسول الحبيب ﷺ علينا أن نطيعه ، وأن نأخذ عنه ونقتدى به ، وأن نوقرَه ونُكثِرَ من الصلاة عليه ، وقد نبّه العلماء إلى أنه لا يفوت المسلم الصلاة عليه في كل

مجلس مرة على الأقل ، وقد أخبرنا الحبيب المصطفى ﷺ أن القوم إذا جلسوا مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيه فإن هذا المجلس يكون حسرة عليهم يوم القيامة ، ومن ذلك قوله ﷺ : « ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ، ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم » .

وإذا أراد المسلم الدعاء نُدب له أن يصلي على النبي في أول الدعاء وآخره ، وقد جاء عن علي رضي الله عنه قوله : « كلُّ دعاء محبوب حتى يصلي على محمد ﷺ » . وقد جاء عن عمر مثله : « أن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك ﷺ » . وتؤكد الصلاة عليه ﷺ عندما يجرى ذكره .

قال الحبيب الهادي ﷺ : « من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار ، فأبعده الله » . وفي حديث : « البخيل من ذكرت عنده ثم لم يصل على » . وفي رواية : « بحسب امرئ من الشر أن أذكر عنده فلا يصلي على » . وفي هذا وردت الأحاديث التي تدل على وجوب الصلاة عليه ﷺ كلما جرى ذكره ، وهو مذهب طائفة من العلماء ، وقد جاء من حديث له ﷺ قوله : « إن الله تعالى وكلَّ بِي مَلَكَيْنِ فلا أذكر عند مسلم فيصلي عليّ إلا قال ذلك المَلَكَانِ غَفَرَ اللهُ لك ، وقال اللهُ تعالى جواباً لِذَيْنِكَ المَلَكَيْنِ : آمين . ولا أذكر عند مسلم فلا يصلي عليّ إلا قال ذلك المَلَكَانِ لا غفر اللهُ لك ، وقال اللهُ تعالى وملائكته لِذَيْنِكَ المَلَكَيْنِ : آمين » .

وهذا يدل على عِظَمِ إِسَاءَةِ مَنْ لَا يصلي على الحبيب المصطفى ﷺ وخصوصاً إذا جرى ذكره أمامه ، وعلى عِظَمِ فَضْلِ وَثَوَابِ الصلاة عليه ،

ومما يؤكد عظم فضل الصلاة على الحبيب الهادي ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ صَلَاةً عَلَيَّ » . ويقول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : « مَنْ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ سَبْعِينَ صَلَاةً » .

ومعنى هذا أن المصلي على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم تفيض عليه الرحمة من الله عز وجل ما دام مُشْتَغِلاً بهذه الصلاة ، ثم إن الملائكة تصلي على مَنْ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فتدعو له بصالح الدعوات ، ورفيع الدرجات ، وغفران الذنوب ، وستر العيوب ، وتفريج الكرب ، كما تدعو له أن يلحق به في جنات الفردوس في درجته الصالح من آبائه وأزواجه وأبنائه وأحفاده كما جاء في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١) .

ومما ينبغي أن يلتفت إليه المسلم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد النداء للصلاة ، فعن عبد الله بن عمرو قال : إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِذَا سَمِعْتُمْ مُؤَذِّنًا فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مِنْ صَلَّيْ عَلَى صَلَاةٍ أَى وَاحِدَةٍ .. صَلَّى اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِ عَشْرًا ، ثُمَّ سَلُّوا لِي الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ » .

وفي مسند الإمام أحمد التنبيه إلى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد والخروج منه ، وروى في ذلك حديثا عن فاطمة رضي الله عنها قالت : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ صَلَّى عَلَيَّ »

محمد وسلّم وقال : اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك .
 وإذا خرج من المسجد صلى على محمد وسلّم وقال : اللهم اغفر لي ذنوبي
 وافتح لي أبواب فضلك . وفي التشهد الأخير من الصلاة يُسن أن
 نصلّي على النبي ﷺ ، وجمهور العلماء على أن الصلاة عليه في التشهد
 الأخير سنة مستحبة ما عدا الشافعيّ فله قولٌ بوجوبها ، وأوجب على
 تاركها في الصلاة الإعادة . وهذا رأى انفرد به الشافعيّ رضي الله عنه ،
 وبه قال إسحاق بن راهويه إذا تعمّد المصلّي تركها دون نسيان .

ومعلوم أننا في صلاة الجنّاة نصلّي على النبي ﷺ بعد التكبيرة
 الثانية ، وما تجدر الإشارة إليه أنه يستحب الإكثار من الصلاة على
 النبي ﷺ يوم الجمعة وليلة الجمعة .

قال ﷺ : « من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه
 قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا على من الصلاة فيه ،
 فإن صلاتكم معروضة عليّ » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
 « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قُبُرى عيداً ، وصلُّوا عليّ فإنَّ
 صلاتكم تبلغني حيثما كنتم » .

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : « أيُّما رجل
 مسلم لم يكن عنده صدقة فليقل في دعائه : اللهم صلّ على محمد
 عبدك ورسولك وصلّ على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات
 فإنها زكاة » .

فأكثروا من الصلاة على الحبيب المصطفى وسلّوا الله أن يجعله
 شفيعنا يوم الدين وأن يرزقنا حسن الاقتداء به ، واتقوا الله وتوبوا
 إليه لعله يرحمكم .

هجرة النبي ﷺ

قال الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (١) .

أيها المؤمنون :

في هذه الآية الكريمة يذكر الله فضله على نبيه وحبيبه محمد ﷺ ، حين كان بمكة ومكرت به قريش ليشكرن نعمة الله عز وجل في نجاته من مكرهم . . وما أتاح الله له من حسن العاقبة .

ذلك أن الحبيب الهادي صلى الله عليه وسلم عاش في مكة قبل الهجرة ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى التوحيد ويعمل على اقتلاع الشرك من جذوره ويوجه النفوس إلى عبادة الله وحده : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾ (٢) . ﴿ وَاللَّهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (٣) .

ولكن معظم قادة قريش ومن تبعهم أصموا آذانهم عن سماع كلمة الحق : وأعلنوا جمودهم على ما كان عليه آبائهم . . فسفه الحبيب الهادي ﷺ عقولهم ، وقبح تقليدهم لآبائهم وتحدث إليهم بخطاب الله عز وجل في قوله : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، قَالُوا : بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ » (٤) .

وفي قوله سبحانه : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ

(٢) الجن : ٢٠ .

(١) الأنفال ٣٠

(٤) البقرة : ١٧٠ .

(٣) البقرة : ١٦٣ .

الرَّسُولِ قَالُوا : حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١﴾ .

بمثل هذا الخطاب كان لسانُ الوحي يَقْرَعُهُمْ وَيُؤْنِبُهُمْ فما هو إلا أن هاج هائجُهُمْ ، فطاشت ألبابُهُمْ ، وخرجت أحقادُهُمْ ، وراحوا يتفننون لرسولِ اللهِ ﷺ في طرق الإيذاءِ وَيَعْرِضُونَ عَلَيْهِ مُغْرِيَاتِ الدُّنْيَا لِيَكْفَ عَمَّا هو بسبيله . وما ذَرَوْا أن دُنْيَاهُمْ كُلُّهَا ، ومتاعَهُمْ جميعُهُ إنما هو دَبَرٌ أَذِنَهُ ﷺ وتحت قدمه ، وأن قُرَّةَ عينِهِ وراحةَ نفسه أن يُعْلِيَ كلمةَ الحقِّ وأن يَغْسَلَ أَدْرَانَ الْإِنْسَانِيَةِ ، وأن يُقِيمَ دولةَ التوحيدِ النقيَّ الخالص ، وأن يدعمَ الفضيلةَ وأن يُوَدِّيَ رسالته كما أمره اللهُ . لهذا أخذ ﷺ يتلقى المحنَ ، ويستقبلُ الإيذاءَ صابراً محتسباً ، داعياً أصحابَهُ إلى الصبرِ والتسليمِ لِأَمْرِ اللهِ حتى يقضى اللهُ أَمْرًا كان مفعولاً .

ولنتدبر هذا الحديثَ الذي رواه البخاريُّ عن قيس قال : سمعتُ خباباً يقول : أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو متوسدٌ ببردةٍ وهو في ظلِّ الكعبةِ ، وقد لقيتنا من المُشركين شدة . فقلت : أَلَا تَدْعُو اللهَ ؟ . فقعد وهو مُحَمَّرُ الوجهِ . فقال عليه السلام : « قد كانَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ لِيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عَظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَيُوضَعُ الْمَنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَلِيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ ، مَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَالذُّبَابَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنِّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ » .

يمثل هذا الأسلوب العالى كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يُرَبِّي أَصْحَابَهُ عَلَى الصَّبْرِ مَا كَانَ يَشْعُرُ بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ لَمَّا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنَ الْإِيْذَاءِ وَالتَّعْذِيبِ وَنَحْنُ لَا نَنْسَى أَبَدًا قَوْلَهُ لَا لِي يَاسِرُوهُمْ يُعَذِّبُونَ أَشَدَّ مَا يَكُونُ التَّعْذِيبُ : « صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةُ » .

أيها المؤمنون :

ثُمَّ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَنْتَشِرَ الدَّعْوَةُ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بَعْدَ طَوِيلِ احْتِبَاسِهَا فِي مَكَّةَ ، فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ مِنَ الْبُعْثَةِ ، اجْتَمَعَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْخَزْرَجِ وَالْأَوْسِ بِالنَّبِيِّ ﷺ لَيْلًا عِنْدَ الْعُقْبَةِ الْكُبْرَى وَبَايَعُوهُ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَفِي الْعَامِ التَّالِي حَضَرَ إِلَى مَكَّةَ لِمُبَايَعَةِ الْهَادِي الْحَبِيبِ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا وَامْرَأَتَانِ ، وَبَايَعُوا الرَّسُولَ ﷺ عِنْدَ الْعُقْبَةِ الْكُبْرَى - كَذَلِكَ - عَلَى النُّصْرَةِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الْعُقْبَةِ الثَّانِيَةِ خَيْرًا وَبَرَكَةً إِذْ هَيَّأَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ بِهَا لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ دَارَ هَجْرَةٍ يَخْرُجُونَ إِلَيْهَا لِيَجِدُوا الْأَمْنَ وَفَيْضَ اللَّهِ لَهُمْ هَؤُلَاءِ الْإِخْوَةَ الْمَخْلُصِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَأَوْوَهُمْ وَنَصَرُوهُمْ وَقَاسَمُوهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَدِيَارَهُمْ ، وَآتَرُوهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِكَثِيرٍ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَفَتَحَ اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ ، فَبَدَّلَ خَوْفَهُمْ أَمْنًا ، وَلَقَدْ مِنَ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ ، تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ ، وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

أحباب محمد :

أَحَسَّتْ قَرِيْشٌ مَبْلَغَ الْخَطَرِ الَّذِي يَهْدِدُهَا مِنْ بَيْعَةِ الْعُقْبَةِ الثَّانِيَةِ ، فَقَدْ بَايَعَ الْأَنْصَارُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَرْبٍ مَنِ يَحَارِبُونَهُ ، وَبَايَعَهُمْ

رسولُ اللهِ على أن يكونَ واحداً منهم يحاربُ من حاربهم ويُسلم مَنْ سَلِمهم ، فخاف القُرَشِيُّونَ أن يتفاقم أمره ، ويعظم شأنه وبخاصة بعد أن رَأَوْا المسلمين يتسللون تِباعاً من بينهم ، ويلتحقون بإخوانهم الأنصارِ من أهل المدينة ، فأحست قريشُ بوادِرِ الخطرِ في هذه الهجرة ، فجعلت تحُولُ بينَ المسلمين وبين ما يُريدون منها ، وتمنعُ من تستطيع أن تمنعه منهم ، فلم تستطعُ أن تمنعَ إلّا عدداً قليلاً من المستضعفين .

فلما رَأَوْا ذلك حَذِرُوا خروجَ رسولِ الله ﷺ ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا في دارِ الندوةِ يتشاورون ما يصنعون في أمرِ رسولِ الله حينَ خافوه . فقال أبو البَخْتَرِيُّ : رأيي أن تحبسوه في بيتٍ وتشلُّوا وثاقه ، وتسدُّوا بابَه غيرَ كُوةٍ تلقون إليه طعامه وشرابه منها ، وتتربصوا به رَبِيبَ المَنُونِ ، فقال واحد منهم : بِشَسِ الرَّأْيُ ، يأتِيكم مَنْ يُقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم ، فقال هشامُ بنُ عمرو : رأيي أن تحمله على جمل ، وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنعوا واسترحمتم ، فقالوا أيضاً : بِشَسِ الرَّأْيُ ، يُفسِدُ قوماً غيركم وَيُقَاتِلُكم بِهِمْ ، فقال أبو جهل : أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غُلَاماً وتُعْطُوهُ سيفاً صارماً فيضربوه ضربةَ رجلٍ واحدٍ فيتفرَّقَ دمه في القبائلِ ، فلا يَقْوَى بنو هاشم على حربِ قريشٍ كلَّهم ، فإذا طلبوا العقل - الدية - عقلناه ، واسترحنا ، فوافقوا على ذلك وتفرَّقوا على رأي أبي جهل مُجْتَمِعِينَ على قتلِ رسولِ الله ﷺ ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ ﴾ .

ونزل الوحيُ على رسولِ الله ﷺ وأخبره بما دارَ في دارِ الندوةِ وأمره ألاَّ يبيتَ في مضجعه وأذنَ اللهُ له في الهجرة ، فأمر الرسولُ

عَلَىٰ بَنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالنَّوْمِ فِي مَضْجِعِهِ وَقَالَ لَهُ : « أَتَشِخُّ بِبُرْدِي (١) فَإِنَّ لَن يَخْلُصَ إِلَيْكَ أَمْرٌ تَكْرَهُهُ » . وَأَمْرُهُ كَذَلِكَ بَرْدُ الْوَدَائِعِ وَالْأَمَانَاتِ إِلَى أَصْحَابِهَا .

وَبَاتَ فَتَيَانُ قَرِيْشٍ عَلَىٰ بَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُتَرَصِّدِينَ ، وَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ بَيْنِهِمْ ، وَقَدْ أَعْمَاهُمُ اللَّهُ عَنْهُ ، حَتَّى لَحِقَ هُوَ وَصَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْغَارِ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا ثَارُوا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَوْا عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بُهَتُوا ، وَخَيَّبَ اللَّهُ سَعْيَهُمْ ، فَقَالُوا : أَيْنَ صَاحِبُكَ يَا هَذَا ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ : لَا أَدْرَى ، فَاقْتَفَوْا أَثَرَ الرَّسُولِ ﷺ ، فَلَمَّا بَلَغُوا الْجَبَلَ اخْتَلَطَ عَلَيْهِمْ ، فَصَعِدُوا الْجَبَلَ ، فَهَرَّوْا بِالْغَارِ ، فَرَأَوْا نَسِجَ الْعَنْكَبُوتِ عَلَىٰ بَابِهِ فَعَادُوا خَائِبِينَ وَقَدْ أَبْطَلَ اللَّهُ مَكْرَهُمْ . فَمَكَثَ الْحَبِيبُ الْهَادِي ﷺ فِي الْغَارِ ثَلَاثَ لَيَالٍ ، تَحْرُسُهُ الْعَنَاءُ الْإِلَهِيَّةُ وَتُرْعَاهُ وَتُرَدُّ عَنْهُ كَيْدَ الْمُشْرِكِينَ ، وَكَانَ يَنْقُلُ إِلَيْهِ أَخْبَارَ الْقَوْمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ حِينَ يَسْمَعُ دَبِيبَ أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَ الْغَارِ يَشْتَدُّ خَوْفُهُ عَلَىٰ حَيَاةِ الرَّسُولِ ﷺ فَيَبْكِي وَيَقُولُ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَىٰ مَوْضِعِ قَدَمَيْهِ لِأَبْصَرْنَا ! » . وَكَانَ الرَّسُولُ يُهْدِي مِنْ رُوحِ أَبِي بَكْرٍ وَيَقُولُ لَهُ : « لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ

مَعَنَا ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا ؟ » .

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَاللَّهُ

(١) البرد من الثياب جمعه برود وأبراد ، والبردة كساء أسود مربع فيه صفرة كانت تلبسه الأعراب والجمع برد بفتح الراء .

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١١﴾ .

أيها المؤمنون :

إن الهجرة لم تكن فرارا بل كانت انتصاراً ، لأنها كانت انتقالاً بالدعوة إلى آفاقٍ واسعةٍ وإلى مجالٍ تَأْمَنُ فيه الدعوةُ على نفسها ، وليستطيعَ المؤمنون أن يجدوا تربةً طيبةً تنمو فيها شجرةُ التوحيد . . . ويبْنُوا دولةَ الإيمانِ ، بعد فترةِ التمحيصِ والاختبارِ التي نَجَحَ فيها المهاجرون وخرجوا منها أقوى عَزْماً وأشدَّ صِلَابَةً ، وأصابَ عُوداً ، وكانوا مع إخوانهم الأنصارِ جندَ الحقِّ ، وأعوانَ الخيرِ ، ودعاةً إلى الهدى .

قال رسول الله ﷺ فيما رواه ابن سعد عن عمرو بن حبان الكلبي :
« أنا النبيُّ الأُمِّيُّ الصادقُ الزَكِيُّ ، الويلُّ لمن كذَّبني ، وتولَّى عني ، وقتلني ، والخيرُ لمن آوَانِي ، ونصرني ، وآمَنَ بي ، وصدق قولي ، وجاهدَ معي » .

فاتقوا الله — عبادَ الله — وسلُّوه من فضله يُعْطِكم ، واستغفروه
يغفر لكم .

القِسمُ السادسُ

- ٤٦ - الزواج وبناء الأسرة الصالحة :
- ٤٧ - لكي تدوم العشرة بين الزوجين .
« واجبات الزوجة »
- ٤٨ - اتقوا الله في الطلاق .
- ٤٩ - استوصوا بالنساء خيراً .
« الخطبة الثانية »

الزواج وبناء الأسرة الصالحة

أما بعد : فيا أيها المؤمنون :

قال الحق تبارك وتعالى من سورة الروم :

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَفِرُونَ﴾ (١)

أيها المؤمنون :

في الزواج محبة وشفقة واستقرار وهدوء بال ، كما أنه الوسيلة الطبيعية السليمة الحكيمة لبقاء النوع واستمرار الحياة ، وبناء الأسرة في ظل الأبوين اللذين يقومان برعايتها ، والحذب عليها حتى تصير دعامة صالحة لبناء المجتمع المتناسك الصالح .

وجاءت الآية الكريمة التي استمعنا إليها في معرض الدلالة على كمال قدرة الله تعالى ، وكمال رحمته بعباده ، ومن علامات ربوبيته ووحدانيته ورحمته أَنْ خَلَقَ النساءَ لِيَسْكُنَ إِلَيْهِنَّ الرجالُ ، وجعل بينهما الميل الطبيعي ، وهَيَّاَ لِكُلِّ مِنْهُمَا ما يُمَكِّنُهُ مِنْ أَدَاءِ وَظِيفَتِهِ تحقيقاً للحكمة ، فسُبْحَانَ الخالق المنعم الوهاب عظيم الرحمة بالعباد .

ولهذا كان الإعراض عن الزواج مخالفاً لطبيعة الأشياء ، وليس له من سبب إلا العجز أو الانحراف عن الصراط السوي ، أما ما يتعلل به بعض القادرين من فساد الزمان ، وعدم وجود الفتاة التي تصلح للوفاء بمسئوليات الأسرة والحياة الزوجية فإنه من الإسراف في تصور

الأُمُورِ ومن المبالغة التي يُملِئها الهوى أحياناً والوهم أحياناً ، إذ ما زال المسلمون بخير - والحمد لله - ولم تخلُ الحياة من المعادن الطيبة ، والتربية الصالحة ، وهذا الأمر - أيضاً - يدعو إلى ضرورة النصيح بالعناية بتربية البنات ، وتنشئتهن على الصلاح والتقوى ، وتبصيرهن بالحقوق والواجبات ، وأخذهن بالحزم في أمر الدين ، وتعليمهن ما يقومُ سلوكهن ويُبَعِّثُهُنَّ على التمسك بالفضيلة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

والرسول ﷺ يدعو إلى العناية بتأديب البنت فيقول : « مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ ، أَوْ بَنَتَانِ ، أَوْ أُخْتَانِ ، فَادَّبَهُنَّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ وَزَوَّجَهُنَّ ، فَلَهُ الْجَنَّةُ » .
وفي الحديث إشارة حسنة ولفتة كريمة إلى أن يختار الولي لبناته أو لأخواته الأزواج الصالحين .

ولعل من أسباب التأخر في الزواج ما تفرضه بعض العادات التي درجَ عليها بعض الناس إما بفرضٍ مهوٍ ليست في مقدور الشاب مع المغالاة في الشروط ، وإما بالنظر إلى موضوع الكفاءة بما لا يتفق مع روح الشريعة ومراميها .

وينبغي لنا نحن المسلمين أن نعي جيداً قول الحق تبارك وتعالى من سورة النور :

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى (١) مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢) .
ففي الآية توجيةً للأولياء بالسعي لتزويج من لا زوج له تحقيقاً

(١) الأيامي : جمع أيم وهي التي لا زوج لها . .

(٢) النور : ٣٢ .

للحكمة من الزواج بإعفاف النفس ، وتكثير النسل ، وبناء الأمة .
الصالحة ، وفي الآية الإشارة إلى المبادرة بتزويج أهل الصلاح مع التوجيه
إلى أن الفقر لا ينبغي أن يكون سبباً يحول دون تحقيق الزواج ،
فالغنى والفقر بيد الله ، وإذا صدقت النية وتم الزواج فإن الله عز وجل
يفتح للزوجين أبواب رحمته وفضله ، ويسر لهم السبل ، ويرزقهم
العفاف وغنى النفس ، ولذا كان ابن عمر يقول : عَجِبْتُ لِمَنْ لَا
يَرُغِبُ فِي الْبَاءَةِ - يقصد الزواج - : ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ
فَضْلِهِ ﴾ .

ومن حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة كلهم
حق على الله عونه : المجاهد في سبيل الله ، والناكح يريد العفاف ،
والمكاتب يريد الأداء » .

ثم إن كل مسلم ينبغي له أن يسمع ويتدبر جيداً قول الحبيب
الهادي ﷺ :

« خيرُ النساءِ أحسنهنَّ وجوهاً وأرخصهنَّ مهراً » .

وقوله ﷺ :

« مِنْ بَرَكَاتِ الْمَرْأَةِ سُرْعَةُ تَزْوِيجِهَا ، وَسُرْعَةُ رَحْمَتِهَا ، وَيُسْرُ مَهْرِهَا » .

لنتدبر ذلك التوجيه النبوي لنعلم أن التشديد على طالب الزواج
ليس من مصلحة الفتيات ، وليس من أسباب سعادتهن في الحياة
الزوجية ، ذلك أن الشاب إما أن ينصرف ويرجع عن عزمه ، وإما
أن يضطرب حاله بتكليفه نفسه ما لا يطيق ، وما لا تحتمله قدرته
المالية ، فلا تستقر حياة البنت بعد الزواج إلا بعد معاناة وصبر ،
وزمن ، مع ما قد يكون عليه الزوج فترة من حياته من ضيق النفس ،

وانة باض الصدر ، مما قد تنعكس آثاره على زوجته .
والحبيب المادى ﷺ ينصح المسلمين ، وهو كما وصفه ربه
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا رُفُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) يقول لهم ، يتول لكل ولى :
« إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ ، إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ
فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِضٌ » قالوا : يا رسول الله ، وإن كان فيه ؟ -
أى وإن كان فقيراً أو ليس من ذوى الوجاهة والحسن أو نحو ذلك
فما يبحث عنه الْمُتَعَنِّتُونَ الْمُتَشَدِّدُونَ من الأولياء - فأجابهم الرسول مؤكداً
أن الاستقامة والخلق الحسن هما أساس الاختيار فقال :
« إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ » .

قال ذلك ثلاث مرات - ليقرر المعنى فى النفوس - فالدين والخلق هما
أحسن ما يدعو إلى اختيار الزوج فذلك أهنأ للزوجة ، وأدعى إلى
الاستقرار ، وراحة البال ، ولا شك أن الزواج الذى يتم على هذا النحو
يكون سبباً فى إعانة الشاب على الاستمرار فى طريق الاستقامة والصلاح .
يا عباد الله :

إن الزواج ارتباط روحى ، وقرب قلبى ، ودعم للحياة الاجتماعية ،
ليس المال فيه إلا وسيلة لتنظيم الأسرة ، وسبباً من أسباب استقرارها ،
فلا ينبغي للمسلم أن يجعله الغاية التى إليها يقصد ، ولها يبتغى ، وليذكر
الأولياء جيداً أن الحبيب المصطفى ﷺ زوّج ابنة عمته القرشية
لزید بن حارثة خادمه ، وكان من أسباب ذلك كسر الأنفة والشموخ
على بنى البشر مع ما فى ذلك من تطبيق عملي للمواخاة بين المسلمين .
وإذا كان النصح يتوجه إلى الفتاة وإلى وليها بتحرى صلاح الخاطب

واستقامته ودينه بالدرجة الأولى ، فإن النصيح - أيضاً يتوجه إلى الشاب
بأنه لا ينساق وراء الهوى العارض فيبهره الجمال بلا دين ، فيندفع مثلاً
للزواج بغير مسلمة لأجل ذلك مع ما قد ترتب على ذلك في غالب
الأحوال من المتاعب والمفاسد والتجاربُ خيرة برهان ، والرسول يُحذّر
من الاندفاع وراء الجمال وحده بغض النظر عن الدين والبيئة الصالحة
فيقول : « إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدَّمَنِ ، قيل : يا رسول الله وما خضراء
الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبتِ السوء » وفي الحديث : « وَلَأَمَّةٌ
خَرْمَاءُ - أي مشقوقة الأنف والأذن - ذاتُ دينٍ أَفْضَلُ »

بل على الشاب أن يتحرى التربية الصالحة ، والجو (١) الأسرى
المستقر والعائلة التي عُرف عنها الاستقامة ، وأن يجعل دين الفتاة
وخلقها الطيب في أعلى قائمة مطالبه فإن تحقّق مع ذلك الجمال أو المال
أو الحسب كان خيراً وبركة ، أمّا البحث عن الجمال بلا دين ، أو
النظر إلى الزواج نظرة الشخص إلى سلعة مُربحة ، أو السعى لاكتساب
جاه ، دون نظر للعواقب فهذه أمور لا تُعين على تحقيق الغاية من
الحياة الزوجية السعيدة المستقرة ، وليتدبر كلُّ شاب قول الحبيب
المصطفى ﷺ :

« مَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً لِعِزِّهَا لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا ذُلًّا ، وَمَنْ تَزَوَّجَهَا لِمَالِهَا
لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا فَقْرًا ، وَمَنْ تَزَوَّجَهَا لِحَسَبِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا دَنَاءَةً ،
وَمَنْ تَزَوَّجَهَا لَمْ يُرِدْ بِهَا إِلَّا أَنْ يَغُصَّ بَصَرَهُ ، وَيُحْصِنَ نَفْسَهُ بَارَكَ اللَّهُ
لَهُ فِيهَا ، وَبَارَكَ لَهَا فِيهِ » .

(١) الجو : ما بين السماء والأرض ، والاستعمال هنا مجازي والمقصود به ما في الأسرة
من علاقات متعددة وروابط وآداب .

وقوله عليه السلام : « لا تَتَزَوَّجُ الْمَرْأَةُ لِحِمَالِهَا فَلَعَلَّ جَمَالَهَا يُرْدِيهَا ،
ولا لِمَالِهَا فَلَعَلَّ مَالَهَا يُطْغِيهَا ، وَإِنَّمَا تُتَزَوَّجُ الْمَرْأَةُ لِدِينِهَا » .
أيها المؤمنون :

لِيَتَّقِيَ اللَّهُ الْأَوْلِيَاءُ فِي الْبَنَاتِ ، ولتنظر الفتاة إلى الزواج نظرة
تتفق مع مبادئ الدين وأهدافه ، وليَسْعَ الشاب إلى الزواج ساجداً
الفضيلة والخلق الكريم والدين والتربية الصالحة أول ما يطلبه في فتاة
أحلامه ، والرسول عليه السلام يقول :
« فَاظْفَرْ يَدَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ » .

وعلى الشباب أن يَعِفَّ ، وَيَتَّقِيَ ما حَرَّمَ اللَّهُ حتى تتيسر له أسباب
الزواج يقول الله تعالى :

﴿وَلَيْسَتَعْفِيفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (١)..
والاستعفاف واجب لأجل أنه إمساك عما حَرَّمَ اللَّهُ واجتناب
المحارم واجب .

ويستعين المؤمن بالصوم لِيَتَّقِيَ إِرَادَتَهُ على نفسه ، ويراقب ربه .
قال ابن مسعود رضي الله عنه : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ شَبَابًا لَا
نَجِدُ شَيْئًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ
مِنْكُمْ الْبَاءَةَ (٢) فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَمْ
يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ (٣) » .

(١) النور ٣٣ .

(٢) الباءة : التزويج والنكاح ومن معانيه القدرة على مؤن الزواج .

(٣) الوجاء : بكسر الواو والمد ، وأصله الغمز ومنه وجأ أنثيه غمزها حتى رضها ،
واللهي هنا على تشبيه الصوم برض عروق الأنثيين في أن كلا منهما يقطع الشهوة ويكسرهما ،
ويطفيئ حرارتها .

وفي الحديث الذي رواه سعد بن أبي وقاص : أن رسول الله ﷺ :
قال : « مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ : الْمَرَأَةُ الصَّالِحَةُ ، الْمَسْكَنُ الصَّالِحُ ، وَالْمَرْكَبُ
الصَّالِحُ » .

فَاتَّقُوا اللَّهَ — عِبَادَ اللَّهِ — وَتُوبُوا إِلَيْهِ وَسَلُّوهُ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ لَعَلَّه
يَرْحَمُكُمْ .

لكي تدوم العشرة بين الزوجين واجبات الرّوجة

قال الله تعالى في سورة البقرة :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ ﴾ (١)

أيها المؤمنون :

الحياة الزوجية حقوق وواجبات وتعاون ومودة ورحمة . . وقد جعل الله عز وجل للنساء من حقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن ، فعلى الرجل أن يُحسِنَ عشرتها بما هو معروف من عادة الناس أنهم يفعلونه لنسائهم ، والمرأة كذلك تُحسِنُ عِشرَةَ زوجها بما هو معروف من عادة النساء أنهن يفعلنه لأزواجهن من طاعة وتزني وتَحَبُّبٍ وغير ذلك. وتكوينُ الرجلِ يُؤَهِّلُهُ لأنَّ يكونَ جندياً قوياً المِرَّاس ، يَنْهَضُ بمسؤولية الحماية والصيانة والجهاد ، والضرب في الأرض والقيام بأعمال فوق طاقة التكوين العام للمرأة ، فأساس طبيعة الرجل الخشونة وقوة الجسم والنفس . والغالبُ على تكويني المرأة النعومة والرقّة والضعف الذي يجعلها مُجَبَّبةً إلى نفس الرجل .

وتكوينُ الرجلِ يُؤَهِّلُهُ لأنَّ يكونَ المسؤولَ الأولَ في الأسرة يتحملُ تبعات النفقة من طعام وكساء ومسكن وغير ذلك من المطالب الأساسية للأسرة ، والتي لا غنى عنها كالدواء ونحوه .

ومن هنا كانت للرجل منزلة ليست للمرأة ، فهو القائم عليها بالإنفاق والحماية والصيانة ، وهو الأكثرُ جَلَدًاو هو الأقوى على مغالاة الحوادث ومواجهة العقاب . .

يقول الحق تبارك وتعالى من سورة النساء :

﴿الرجال قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (١) .

فالرجال هم الذين يقومون بصيانة النساء ، والدفاع عنهن وتقديم الصِّدَاقِ لَهُنَّ والإنفاقِ عليهن ، وتدبير المسكن الملائم للمرأة ، فكان من حقِّ الزوج على زوجته أَنْ تطيعه فيما لَا يُغْضِبُ اللَّهَ عز وجل . . . وقد أثنى اللَّهُ على الْمُؤْمِنَاتِ الصَّالِحَاتِ الْمُطِيعَاتِ لِأَزْوَاجِهِنَّ الْحَافِظَاتِ لِلشَّرَفِ فِي غِيَابِ الزَّوْجِ فَقَالَ :

﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (٢) .
والقانتات هنَّ الطائعات إِذَا أُمرْنَ بما ليس فيه معصيةُ اللَّهِ ، والحافظات للغيب هن اللاتي يحفظن أزواجهن حال غيابهن ، فلا تصدرن عنهنَّ خيانةً في النفس أو المال . .

روى أَبُو أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :

« مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ إِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبْرَّتْهُ - أَيْ نَفَذَتْ مَا حَلَفَ لَهَا عَلَيْهِ - وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ » أَيْ أَخْلَصَتْ لَهُ وَحَفِظَتْهُ فِي شَرَفِهِ وَمَالِهِ .

فَأَحْسَنُ ثَمَرَةٍ يَجْنِيهَا الْمَرْءُ فِي حَيَاتِهِ أَنْ تَكُونَ لَهُ زَوْجَةٌ صَالِحَةٌ ذَاتُ خُلُقٍ وَدِينٍ تُطِيعُ زَوْجَهَا ، وَتَسْرُهُ بِمَا يَرَى عَلَيْهَا مِنْ نِظَافَةٍ وَحُسْنِ هِنْدَامٍ وَجَمَالِ هَيْئَةٍ ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا فِي أَمْرِ مَشْرُوعٍ أَبْرَّتْهُ ، وَنَفَذَتْ مَا حَلَفَ عَلَيْهِ لَا تُعَانِدُ ، وَلَا تَكَابِرُ ، وَتُخْلِصُ لَهُ فِي حَضُورِهِ وَغَيْبِهِ . .

إن الزوجة التي تكون على هذا النحو من الأدب والتربية ومعرفة الحقوق والواجبات لتعد كنزاً عظيماً ، ويمثل هذه الأخلاق تلوام الحياة الزوجية ، وتضع السعادة أجنحتها على الأسرة .

وقد أكد الحادي الحبيب عليه الصلاة والسلام حق الرجل في أن تكون زوجته مطيعة له تحقيقاً للتعاون والتآلف ، ودعماً للحياة الزوجية ، ومن ذلك قوله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة : « لو كنتُ امرأةً أحداً أن يسجدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأة أن تسجدَ لزوجها » .

وفي رواية قيس بن سعد :

« لو كنتُ امرأةً أحداً أن يسجدَ لأحدٍ لأمرتُ النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله عليهن من حق » .
أيها المؤمنون :

وقد جاء التأكيد لعظم حق الرجل على زوجته في الحديث الذي روته أم المؤمنين عائشة قالت :

سألت رسول الله ﷺ : « أي الناس أعظم حقاً على المرأة ؟ قال : زوجها ، قالت : فإن الناس أعظم حقاً على الرجل ؟ قال : أمه » .

وعلى الزوجة ألا تمنع نفسها من زوجها حين يطلبها ، وألا تصوم إنطوعاً إلا بإذنه وألا تتصدق من ماله إلا بإذنه .

وقد جاء في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « حق الزوج على زوجته ألا تمنعه نفسها ولو كان على ظهر قتب ، بوالا تصوم يوماً واحداً إلا بإذنه إلا لفريضة ، فإن فعلت أثمت ولم يتقبل منها ، وألا تعطى من بيتها شيئاً إلا بإذنه . فإن فعلت كان له الأجر وعليها الوزر ، وألا تخرج من بيته إلا بإذنه فإن فعلت لعننا الله وملائكته غضب حتى تتوب أو ترجع وإن كان ظالماً » .

وروى أبو هريرة. رضى الله عنه أن رسول الله عليه الصلاة والسلام
تقال : « إذا دعا رجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء فبات غضبان
للعنن الملائكة حتى تصبح » .

وليس للمرأة أن تأذن لأحد من الأقارب والأجانب بدخول البيت
ما دام الزوج يكره ذلك ، وقد جاء من خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع :
« ألا إن لكم على نساءكم حقاً ولنساءكم عليكم حقاً ، فلما
سألكم على نساءكم ، فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن
في بيوتكم لمن تكرهون » . والمراد لا يدخلن من يكرهه الزوج ولا
يغيبن الأزواج .

وكما يقوم الرجل بأعباء السنى والعمل والنفقة ، ينبغي للزوجة أن
ترعى البيت وتقوم بخدمته وتدير شئونه ، ولقد كانت أزواج
النبي ﷺ وبنته فاطمة ، وأزواج أصحابه يقمن بخدمة البيوت
والقيام على تهيئة الطعام ، وتقديمه وكل ما يساعد على إيجاد جو من
الراحة والاستقرار في الأسرة .

ولقد شكت بنت سيد الخلق ما تلقى في يديها من الرحى ، وكانت
أسماء بنت أبي بكر تقوم بالعجين ، وتغلف فرس زوجها ، وتحش له ،
وتسقيه ، وتنقل له النوى على رأسها . .

وتلك نماذج عالية لنساء امتزن بمكارم الأخلاق ، وصديق المودة
للزوج ، والقيام على كل ما يدخل السرور على نفسه .

يا أهل الإسلام :

إن من واجب المرأة المؤمنة أن تسعى دوماً لإرضاء زوجها ، وإدخال
المسرة على قلبه بالطاعة ، وبالهئية الحسنة ، فلا تستعبد عند عودته

إلى داره بثياب المهنة والخدمة في البيت وإنما تُعَدُّ لذلك أجمل ثيابها وتحاول أن يشم منها زوجها طيباً ، وأن يسمع حسناً ، وألا يرى ما لا يسره ويرضيه ، وألا تكون سبباً لإغضابه أو إيذائه .

قال أبو هريرة : قيل لرسول الله ﷺ : « أي النساء خير ؟ قال : التي تسره إذا نظر ، وتطيعه إذا أمر ، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره » .

وما أعظم ثواب المرأة المؤمنة التي تموت وزوجها عنها راض .
فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :
« أيما امرأة ماتت وزوجها راضٍ عنها دخلت الجنة » .
أما المرأة التي تؤذي زوجها الصالح فالحور العين تدعو عليها .

كما روى معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال :
« لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين :
لا تؤذيه ، قاتلك الله ، وإنما هو دخیلٌ عندك ، يؤشك أن يفارقك .
إلینا » .

فاتقوا الله — عباد الله — وصونوا الحياة الزوجية عن العبث وأسباب النزاع ، وتوبوا إليه توبة نصوحاً لعله يرحمكم .

اتقوا الله في الطلاق

أما بعد :

فعن محارب بن دثار رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
 « مَا أَحَلَّ اللَّهُ شَيْئًا أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنَ الطَّلَاقِ » [أخرجه أبو داود]
 وفي رواية : « أَبْغَضُ الْحَالِلِ إِلَى اللَّهِ الطَّلَاقُ » .

أيها المسلمون :

شرع الله الزواج لمقاصد سامية ، وأغراض شريفة وغايات كريمة ،
 وجعله الله نعمة من نعمه العظمى ، وآياته الكبرى ، به تتحقق خلافة
 الإنسان في هذه الأرض ، وعمارته لهذه الدنيا .
 يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ
 بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ ﴾ (١) .

وجعل الإسلام الحياة الأسرية شركة بين الزوجين تقوم على المودة
 والتفاهم ، ومعرفة كل منهما بحقوقه وواجباته ، وقيام كل منهما
 بما يجب عليه نحو الآخر لتدوم العشرة ، وتظللها السكينة والهدوء
 ولينبت الأولاد نباتا حسنا في محيط أسرة مستقرة واعية تخشى ربها
 وتقيم حدوده بطاعته أولا ، ثم برعايته كل واحد حقوق صاحبه ثانيا ،
 فالزوجة سكن وراحة تزيل الهموم عن زوجها وتدخل السعادة إلى قلبه
 بطاعتها وتواضعها له ، ووضعها نفسها في خدمته ورعايته بيته وأمانتها لما
 تحت يديها لا تشغله إلا بواجباته في السعي والضرب في الأرض يتبغى

عن فضل الله ما يجعل أسرته مستورة الحال هائثة البال .

والله عز وجل يقول :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ (١) .

أى : ولهن من حقوق الزوجية مثل ما للرجال عليهن فيحسن الرجل عشرتها بما هو معروف من عادة الناس أنهم يفعلونه لنسائهم كذلك تحسبن عشرته بما هو معروف من عادة النساء أنهن يفعلنه لأزواجهن من الطاعة والتحجب والتزيين ونحو ذلك .

وللرجال منزلة ليست لمن وهى قيامه عليها وعلى الأسرة بالإنفاق وكونه من أهل الجهاد ومجالد الحياة ، ولقيامه بحماية الأسرة والوفاء بتمطالبها فى حدود القدرة .

إن الزوجين إذا أقاما حدود الله كان الزواج سكوناً للزوجين ، ومودةً ورحمةً بينهما ، أما الزواج الذى يفقد هذا المعنى ، وينظر فيه كل من الزوجين إلى صاحبه كأنه غريمه أو خصيمه ، فهو أشبه بقيد كرية ضم اثنين على الرغم منهما فهما يعيشان جارين بالاسم ، متنافرين بالروح .

ولذلك حرص الشارع الحكيم على أن تبقى العلاقة بين الزوجين قوية متينة ، وأن تظل الحياة فى بيتها صافية سعيدة وتحققاً لهذه الغايات أرشدنا الدين إلى أمور منها :

أنه أمر أولى الشأن إذا خافا مغبة الشقاق والنزاع بين الزوجين أن يبعثوا حكماً من أهله ، وحكما من أهلها إن يريدوا إصلاحاً ، ويجتهدا حتى التوفيق وإزالة أسباب الخلاف يوفق الله بينهما ، والله عز وجل يقول :

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ (١) .
ومن شأن هذا العمل أن يكون علاجًا تُدَلِّفُ به أسباب الشر ،
وعوامل الفساد فكم من خلاف قد انبنى على أسباب تافهة أو أوهام
خاطئة لا تلبث أن تزول إذا عُرضت على أهل الخير والعلم والإصلاح
فى جو من الهدوء والإخلاص .

ومن أسباب استمرار الحياة الزوجية أن يُحَسِّنَ الزوجُ معاشرَةَ
زوجته وألا ينساق وراء العاطفة فيكرة زوجته لما يتعممه من عيب
فيها ، أو لما يُجَسِّمُهُ الشيطان من نقص قد يُغْتَفَرُ بجانب المزايا ، وإلى
ذلك يُرشدنا الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا
وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٢) .

ومن أسباب استدامة المودة أن يعي الزوجان حقيقة الطلاق فى
الإسلام وأنه أبغض حلال إلى الله عز وجل وأن الدين نفر منه تنفيرًا
عظيمًا ، فلا ينبغى للرجل أن يُقَدِّمَ عليه ولا ينبغى للمرأة أن تطلبه
من الزوج من غير بأس وضرورة لا مناص من الفكاك منها ، ذلك أن
طلب الطلاق خصوصًا من المرأة رفض للنعمة ، وقطع للصلة وإفساد
لعلاقة مستقرة ﴿ والله لا يحب الفساد ﴾ .

وقد جاء من حديث رواه جابر : « أَنَّ سَرَايَا إِبْلِيسَ - وَجَنُودَهُ -
حِينَما يَعُودُونَ إِلَيْهِ فَيَقُولُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ : فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ :
مَا صَنَعْتَ شَيْئًا ، ثُمَّ يَجِئُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ : مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ

بينه وبين امرأته فيؤذنيه منه ويقول : نِعَمَ أَنْتِ فَيَلْتَزِمُهُ « ذلك أن أقرب جنود إبليس إليه هو أعظمهم فتنة .

وقد جاء النذير والوعيد الشديد للمرأة التي تسعى إلى تدمير بيتها بيدها وتطلب طلاقها من زوجها من غير ضرورة شرعية ، ومن غير أن يعمل كل ما أمر به الشرع للتوفيق والإصلاح . . . ففي حديث ثوبان رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة » .

والشخص الذي يسعى بالإفساد بين زوجين هائئين بغیض عند الله بعيد عن الإسلام .

كما جاء من الحديث الذي رواه بريدة وأبو هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « وليس منا من خَبَبَ امرأة على زوجها » . أي خَدَعَ وأفسد .

ولا يحل لامرأة أن تسعى إلى طلاق أختها لتحل محلها .
فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يحل لامرأة أن تسأل طلاق أختها لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَهَا ، وَلَتَنكِحَ فَاِنَّمَا لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا » .

ولتستفرغ ما في صحتها : كناية عن الانفرد بالزوج وأخذ نصيبها الذي يكون لها منه فيتوقر عليها دونها .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « لا تشترط المرأة طلاق أختها » أي لأن ذلك أمر يبغضه الله .

إن الشارع الحكيم مع هذا التحذير كله قدّر أن العشرة بين الزوجين قد تسوء ويتفاقم شرها ويعظم الخطر من دوامها بين الاثنين

فَرَبَّمَا ارْتَكَبْتَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مُحَرَّمَاتٍ لَا يَرْضَاهَا اللَّهُ كَظَلَمِ أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ لِلْآخَرِ ، أَوْ الْقَذْفِ وَالْإِيْذَاءِ ، وَحُدُوثِ الشَّعْبِ بَيْنَ الْأَسْرِ وَنَفْوَهِ أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ نَفْوَاً لَا يَنْفَعُ مَعَهُ نَصِيحَةٌ وَلَا سَعْيٌ بِصُلْحٍ فِي جَوْ مِنْ الْهُدُوءِ وَالْإِخْلَاصِ فَشُرِعَ الطَّلَاقُ لِهَذِهِ الضَّرُورَةِ وَتَلَافِيّاً لِمَا هُوَ أَخْطَرُ : ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ ﴾ .
أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ :

هَذَا هُوَ الطَّلَاقُ فِي أَصْلِهِ وَمَشْرُوعِيَّتِهِ وَمَنْ وَاجِبِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُبَيِّنُوهُ فِي دَائِرَتِهِ الَّتِي حُدِّدَتْ لَهُ ، وَلَا يَجَاوِزُونَ بِهِ حُدُودَهُ وَأَنْ يُنْظَرَ إِلَى الطَّلَاقِ عَلَى أَنَّهُ عِلَاجٌ أَخِيرٌ لِمَرَضٍ لَمْ يَقَوْ الْأَطْبَاءُ النَّاصِحُونَ عَلَى عِلَاجِهِ :
﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١) .

إِنَّ النَّاسَ تَعَدَّوْا فِي الطَّلَاقِ حُدُودَ اللَّهِ : اتَّخَذَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَزْوَاجِ هُزْواً وَلَعِباً ، وَجَعَلُوهُ يَمِيناً يَتَلَاعِبُونَ بِهِ فِي الْأَسْوَاقِ وَفِي غَيْرِ الْأَسْوَاقِ .
وَمِنَ الْأَزْوَاجِ مَنْ يَنْسَاقُ مَعَ الْغَضَبِ أَحْيَاناً وَمَعَ الْهَوَى الْفَاسِدِ أَحْيَاناً فَيُظَنُّ أَنَّ الطَّلَاقَ عِلَامَةٌ الْحَزْمِ وَالْقُوَّةِ وَسَبَبٌ لِلْهَيْبَةِ فَيَنْطَلِقُ بِهِ لِسَانُهُ وَالشَّيْطَانُ مِنْ وَرَائِهِ يُغْرِيهِ وَيُدْفَعُهُ لِتَدْمِيرِ حَيَاتِهِ ثُمَّ النَّدَمُ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَهْزِلُ فَيَجْعَلُ مِنْ لَفْظِ الطَّلَاقِ وَسِيلَةً لِهَزْلِهِ ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَتَدَبَّرَ قَوْلَ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى ﷺ .

« ثَلَاثَةٌ جِدَّهِنَّ جِدٌّ ، وَهَزَلُهُنَّ جِدُّ النِّكَاحِ وَالطَّلَاقُ وَالْمَرَاجَعَةُ » .

يَقُولُ التِّرْمِذِيُّ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرِهِمْ . فَلْيَحْذَرِ الْمُؤْمِنُ هَذَا الْبَابَ وَلَا يَجْعَلِ لِلْهَوَى وَالشَّيْطَانِ سُلْطَاناً عَلَى نَفْسِهِ .

فاتقوا الله — عباد الله — والزموا حدوده ، وسلووه العفو والعافية في الدنيا والآخرة .

* * *

للخطبة الثانية :

لقد هان أمرُ الطلاق على بعض الناس عند غضبهم لأُمورٍ تافهة . فينطقُ بالألفاظِ تُغضبُ الرحمنَ لأنها ليست من سنةِ النبي ﷺ مع ما فيها من تجاوزٍ لحدودِ الله .

وهذا محمود بنُ لبید رضى الله عنه يقول : أخبر رسولُ الله ﷺ عن رجل طلقَ امرأته ثلاثَ تطليقاتٍ جميعاً ، فقام — النبي ﷺ — غضبانَ ثم قال : أَيْلَعَبُ بكتابِ الله عزَّ وجل وأنا بينَ أظهرِكم حتى قام رجلٌ فقال : يا رسولَ الله ، ألا أقْتُلُهُ .

وَمِنْ ذلك : الذى يقول : إنه طَلَّقَهَا مائةً أو ألفاً أو غيرَ ذلك من الأعداد والصَّيغِ التى ليست من شرعِ الله فيُلبَّسَ المرءُ على نفسه تلبيساً يُوقِعُهُ فى الخَيْرَةِ والنَّدَمِ .

هذا فضلاً عن استخدامِ لفظِ الحرامِ وغيرِهِ من الألفاظِ الموهمة التى تُحَيِّرُ صاحبها وتوقع الأسرَةَ فى الضيقِ والألمِ الشديدِ والحرجِ .
أيها الأزواج والزوجات :

الزموا تقوى الله عز وجل ، تناصحوا الله ، احفظوا نعمة الله عليكم ، صُونُوا الأسَرَ عن العبثِ والمزَلِ ، وعن الانفعالاتِ السَّخِيفَةِ التى لا تَلِيْقُ بالمؤمنين والمؤمناتِ .

كُنْ أَيْهَا الزَّوْجُ فى موضعِ المسئوليةِ التى حَمَلَتْهَا فهِى أمانةٌ وَأَنْتَ مسئولٌ عنها ، والزَّوْجُ عهدٌ وستُسألُ عنه .

كوني أيتها الزوجة في المكان الذي اختاره لك الشارع الحكيم مطبعة
تقية قائمة بواجباتها ، راضية بظروف زوجها أيًا كانت لا تأخذك
العصبية وكبرياء الجاهلية فتحملك إلى النفور ومقابلة كلام الزوج عند
الغضب كلمة بكلمة ، أحسنى إليه إذا أساء يكن لك خادماً بعد ذلك
ويرد لك الجميل بأضعافه .

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ
جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ، إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (١) .
قال عبد الله بن مسعود : « طلاقُ السنة : أن يُطْلَقَهَا طاهراً من
غيرِ جماع » .

وعمران بن حصين رضى الله عنه : سُئِلَ عن الرجل يُطْلِقُ امرأته
ثم يَقْعُ بها ولم يُشْهِدْ على طلاقها ولا على رَجْعَتِها فقال :
« طَلَقْتَ لغيرِ سُنَّةٍ ، وَرَاجَعْتَ لغيرِ سُنَّةٍ أَشْهِدُ عَلَى طَلَاقِهَا وَعَلَى
رَجْعَتِهَا وَلَا تَعُدُّ » .

والله عز وجل يقول :
« وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٢) .

(٢) النحل . ٩١ .

(١) الطلاق : ٢ و ٣ .

استوصوا بالنساء خيراً

أما بعد :

فقد قال الله تعالى من سورة النساء :

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (١)

والخطابُ للأزواج وقد جعلَهُمُ اللهُ عزَّ وجلَّ قوامين على النساء ، وجعل الزوجاتِ عَوَانًا في أيديهم . . يأمرهم اللهُ عز وجل فيها بحسن معاشرتهن ، وتطْيِيبِ القولِ لَهُنَّ وبالكسوةِ والرزقِ بالمعروف ، وبأن يُحْسِنَ الرجلُ فِعْلَهُ وَهَيْئَتَهُ لزوجته بِحَسَبِ قُدْرَتِهِ كما يُحِبُّ أَنْ تَكُونَ زوجته له حسنةً الفعلِ طَيِّبَةً القولِ ، جميلةً الهيئَةِ على حدِّ قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (٢) .

أيها المؤمنون :

إن الأسرةُ هي الخليةُ الأولى في بناء المجتمع ، وبصلاحها يتحققُ الخيرُ وقد عَنِ الإسلامِ بِشأنِ الأسرةِ كُلَّ العنايةِ لبناءِ المجتمعِ الصالحِ والأمةِ القويةِ ، القادرةِ على النهوضِ برسالتها ، وأداءِ وظائفها .
وإنما تنهضُ الأسرةُ ، وتُحَقِّقُ غاياتها في بناءِ المجتمعِ ، وسلامته إذا ترابطَ الزوجان ، وتفاهما ، واحترم كُلُّ واحدٍ منهما حقوقَ صاحبه ، وتعاونوا على دعمِ حياتهما ليسودها الأمنُ والاستقرار ، وهذا يَتِمُّ بإيمانِ كُلِّ واحدٍ من الزوجين بِأنَّ الحياةَ الزوجيةَ شِرْكَةٌ لا بدَّ لاستقرارها من صدقِ كُلِّ واحدٍ منهما وَبِرِّهِ وإخلاصِهِ في قيامه بواجبه نحوَ صاحبه .

(١) النساء : ١٩ .

(٢) البقرة : ٢٢٨ .

وقد أوصى النبي ﷺ الرجال بالنساء ، فقال من خطبة حجة الوداع كما في مسلم عن جابر رضى الله عنه : « واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله » . فالرجل مسئول عن صيانة المرأة ، ورعايتها ، وحفظ كرامتها ، وكفاية حاجتها على حسب الاستطاعة إلى جانب حسن خلقه معها .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم » . فالخلق الحسن في معاملة الناس عامة علامة الإيمان الكامل ، وإذا كان هذا هو شأن الخلق الكريم في الصلات العامة بين الناس بعضهم وبعض ، فالأولى أن تقوم الصلة بين الرجل وأهله على لين الجانب ، وصديق المودة ، والرحمة وقد أكد الرسول ﷺ ذلك بقوله : « وخياركم خياركم لنسائهم » .

ولقد كان النبي ﷺ مع أهله طيب العشرة ، حسن المعاملة دائم البشر ، يضحك نساءه ، ويتلطف بهن ، ويدخل السرور على قلوبهن بالكلمة الطيبة ، والمداعبة ، والعدل في المعاملة ، والرفق عند الجفوة .

وقد وجهه ﷺ المؤمنين إلى رعاية الزوجات والرفق بهن ، والإحسان في معاملتهن فقال : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي » ولكي تعيش الأسرة في مآمن من عواصف الشر نبه الإسلام إلى أن الحياة الزوجية السليمة إنما تبنى على الرعاية التي بها يتكافل أهل البيت في معرفة ما لهم وما عليهم : وفي القيام بالتبعات والمسؤوليات : والوفاء بالحقوق والواجبات كما يوجه الإسلام النصح للرجل حتى لا يصبح مصدرًا لتفريق الشمل ، وتقويض البيت وشقوة الأولاد ، ولهذا أمر

الله عز وجل بمعاشرة النساء بالمعروف ، وحذرهم من العواطف المتقلبة . .
ولتندبر قول الحق تبارك وتعالى بعد الأمر بالمعاشرة بالمعروف :
﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا
كَثِيرًا ﴾ (١) .

أى إن شعرت أيها الرجل بالكراهية نحو الزوجة فأمعن النظر ،
واصبر ولا تتعجل بالمفارقة بمجرد هذا الشعور بالنفرة ، فعسى أن يؤول
الأمر بك إلى ما تحب من ذهاب الكراهية ، وتبدلها بالمحبة والتقدير ،
فيكون في ذلك خير كثير منه استدامة الصلحة وتثبيت أركان الأسرة ،
والنعمه بالأولاد .

أيها المؤمنون :

إننا كثيراً ما نرى بعض الأزواج تتغير عواطفهم وتطرأ الكراهية
في نفوسهم نحو زوجاتهم لمجرد عدم ارتياحهم إلى بعض أحوالهن
التي ليس فيها ما يمس الشرف أو الدين ، وانسياقاً وراء هذه المشاعر
المتغيرة يجعلون حياتهم جحيماً ، فيشقون ، ويشقون ، وإلى هؤلاء
يوجه الحبيب المصطفى ﷺ نصيحته الغالية فيقول : « لَا يَفْرَكُ
مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً - يعنى لا يبغضها - إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا ، رَضِيَ مِنْهَا غَيْرَهُ » .
والرسول ﷺ بهذا يدلنا على سبيل الحياة الزوجية المستقرة
ويعلم الأزواج أنه لا توجد امرأة إلا ولها بعض المزايا ، وقد يكون فيها
بعض ما لا يرضى ، ومن أراد أن يلتمس امرأة كاملة من جميع النواحي
فإنما يلتمس المحال ، والعاقلة لا يلتفت إلى ما لا يعجبها ، ويتغاضى عما
لزوجه من مزايا ومحاسن أخرى إن التفت إليها رضيت نفسه وسعدت
حياته .

وقد جاء رجلٌ إلى عمرَ بنِ الخطابِ رضى الله عنه يَسْتَشِيرُهُ في طلاق امرأته ، فقال له عمرُ : لا تَفْعَلْ ، فقال : ولكنى لا أُحِبُّهَا ، فقال له عمرُ : وَيَحَكَ ! أَلَمْ تُبْنَ البيوتُ إِلَّا على الحبِّ ؟ فَأَيْنَ الرعايَةُ ؟ وأَيْنَ التذمُّمُ ؟ (١) أى أن البيوتَ لا تُبْنَى على الحبِّ وحده ، وإنما هى خَلِيقَةٌ أن تُبْنَى على ركنين آخرين ، أحدهما : الرعايَةُ التى تُبْنَى التعاطفُ والتراحمُ فى جوانبها ، وبالرعايَةِ يتحققُ التعاونُ بين أفرادِ الأسرة ، والأمرُ الثانى : التذمُّمُ أى وفاءُ كلٍّ من الطرفين للآخر بِحِفْظِ حقوقه وصيانةِ حرَماته ، والاستحياءِ من إغضابه أو التسببِ فى شقائه ، وتتأكَّدُ هذه الخصالُ باستمرارِ العِشرة ، وتبادلِ الرعايَةِ والوفاءِ ومعرفةِ الحقوقِ والواجباتِ . .

وقد علَّمنا الرسولُ ﷺ أن نوفرَ للزوجةِ الحياةَ الكريمةَ اللائقةَ فى حدودِ القدرةِ بلا إفراطٍ فلا يُقَصِّرَ الزوجُ فى حقِّها ، ولا هو يتابعُ هواها إذا هى أسرفتْ وغالتْ فى مطالبِها ، وإنما يعالجُ أمورَهُ بالرفقِ واللِّينِ . ولنتدبرُ جوابَهُ ﷺ عن سؤالِ معاويةَ بنِ حِثَّةٍ حين قال : يا رسولَ الله ، ما حقُّ زوجةٍ أحَدنا عليه ؟ قال : « أن تُطْعِمَهَا إذا طَعِمْتَ ، وَتَكْسُوَهَا إذا اكْتَسَيْتَ ، ولا تضربَ الوجهَ ولا تُقَبِّحَ ، ولا تَهْجُرَ إِلَّا فى البيتِ » .

فالضربُ على الوجهِ عملٌ قبيحٌ وإهانةٌ لا تُرضى اللهَ لما فيها من بشاعة . والنهى عن التقبيحِ هو نهىٌ عن البداعةِ والسَّفَاهَةِ والسبِّ والشتمِ ، فهذه أمورٌ لا تليقُ بالحياةِ الزوجيةِ ، ولا تليقُ ببيوتِ المؤمنين ، ثم لِنَنْظُرْ إلى الأدبِ فى قولِ النَبِيِّ ﷺ : « ولا تَهْجُرَ إِلَّا فى البيتِ » .

(١) التذمُّمُ : من تَذَمَّ : بمعنى استحيا واستنكف ، وتذمَّ لصاحبه حفظ ذمامه والذمام المهد والأمان والكفالة ، والحق والحرمة .

فألزوجان، لا ينبغي أن يُظهرا خصامهما أمام الأولاد والأهل ولا على ملا من الناس حفاظاً على كرامة الحياة الزوجية ، وإذا حدث الخصام لضرورة كالنشوز - مثلاً - فالهجر يكون في المضجع وسيلةً للتأديب بعد تقديم النصيحة والعظة والتخويف من عقاب الله لأنه حرم على المرأة معصية زوجها ، فإن لم تتعظ هجرها في المضجع تأديباً حتى تثوب إلى رشدها ، ولا يتجاوز ذلك حُجْرَة الزوجية .

والله عز وجل يقول :

﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً ﴾ (١) .

والمراد بالنشوز أن تستعصي المرأة على زوجها ، وتنفر منه ، فإذا بدرت بادرة بذلك يبدأ الرجل بالعظة والتبصير لترقيق القلب والتعريف بالحقوق والواجبات . فإذا لم ينجح في العظة فلانصراف عنها في المضجع في صمت حتى تثوب وإلا فالتأديب بالضرب غير المبرح حين تتأتى أسبابه وحين يكون هو العلاج إذا لم تنفع العظة والهجر . . ويتم ذلك كله مع الحرص على كرامة البيت وفي حدود الاعتدال والوقار .

وعلى الرجل مع حسن خلقه مع زوجته أن يحتمل الأذى منها فيقابل غضبها ، وطيشها بالحلم وسعة الصدر رحمةً بها ، ورقةً لضعفها ، وقد كانت نساء النبي ﷺ تراجعنه الكلام ويصبر عليهن . قال أنس : كان رسول الله ﷺ : أرحم الناس بالنساء والصبيان .

- ٣١١ -

وكان ﷺ يُطَيِّب قُلُوبَهُنَّ ، ويمزحُ معهنَّ كما أكَّد الوصيةَ بِهِنَّ
في آخرِ حياتِه فقال ﷺ :
« الصلاة الصلاة ، وما ملكتُ أيمانُكم ، لا تكلفوهنَّ ما لا يُطيقُون ،
اللَّهُ اللَّهُ في النساءِ ، فإِنَّهُنَّ عَوَانٌ في أيديكم - يعني أسيرات - أَخَذْتُمُوهُنَّ
بِأَمَانَةٍ اللَّهِ ، واستحللْتُم فُرُوجَهُنَّ بكلمَةِ اللَّهِ »
فاتقوا اللَّهَ في النساءِ ، واخشوا غضبه ، واطلبوا رحمته بطاعة أمرِه ،
واجتنابِ نواهيه .

للخطبة الثانية

من معاملة الرسول ﷺ لأهله :

* كان ﷺ جميل العشرة ، يتلطف بنسائه ، ويوسعهن نفقته ويضاحكنهن .

* جرت بينه وبين السيدة عائشة رضي الله عنها كلام حتى أدخلها بينهما أبا بكر رضي الله عنه حكماً ، واستشهد به ، فقال رسول الله ﷺ : تتكلمين أو أتكلم ؟ فقالت : بل تكلم أنت ، ولا تقل إلا حقاً ، فلطمها أبو بكر حتى دمي فوها ، وقال : يا عدوة نفسي ، أو يقول غير الحق ، فاستجارت برسول الله ﷺ ، وقعت خلف ظهره ، فقال له النبي ﷺ : « لم ندعك لهذا ، ولا أردنا منك هذا » .
* وقالت له مرة في كلام غضبت عنده : أنت الذي تزعم أنك رسول الله ؟ فتبسّم رسول الله ﷺ ، واحتمل ذلك حلماً وكرماً .

* وكان يقول لها : إني لأعرف غضبك من رضاك ، قالت : وكيف تعرفه ؟ قال : إذا رضيت ، قلت : لا وإله محمد ، وإذا غضبت قلت : لا وإله إبراهيم ، قالت : صدقت ، وإنما أهجر اسمك .

* وكان ﷺ يصبر عليهن ، ويدخل السرور إلى قلوبهن .

وفي الخبر : أنه ﷺ : كان من أفكهِ الناس مع نسائه .

وفي الخبر : « من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب في بلائه » .

« ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاه الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون » .

القسم السابع

- ٥٠ - إلى متى الغفلة .
- ٥١ - بالشكر تدوم النعم .
- ٥٢ - في الاستغفار بركات الدين والدنيا .
- ٥٣ - ذكر الله يحيي القلوب وتستنزله به الرحمات .
- ٥٥ - الخوف والرجاء .

« عظة للخطبة الثانية »

إلى متى الغفلة

قال الله عز وجل :

« أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ »
 ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ *
 ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (١) .
 أيها المؤمنون :

جاء في صحيح مسلم عن مُطَرِّف عن أبيه قال ، أتيتُ النبي ﷺ وهو يقرأ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ قال : « يقول ابن آدم : مالى مالى ، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفانيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت » .

أى كل عرض زائل ، إلا ما يقدمه الإنسان من عمل صالح يرجو به وجه الله تعالى .

ولفظ الحديث في رواية أبي هريرة : « يقول العبد : مالى مالى ، وإنما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى : أو تصدق فاقتنى ، وما سوى ذلك فذهاب وتاركه للناس » .

فكل شيء تركه الإنسان بعد موته وكل ما نفع به جسمه وهو حي كل ذلك ذاهب إلا الصدقة الخالصة لوجه الله فهي ذخره الذى ينفعه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

ومعنى ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ : شغلتكم المباهاة بكثرة المال ، وكثرة العدد عن طاعة الله حتى تمم ودفنتم في المقابر .

وفيها - أيضاً - معنى الحرص على جمع المال ، وصرف الجهد لتحصيله

وتركيز الفكر حوله ، وانشغال القلب بمصادره وموارده مما قد يؤدي إلى الغفلة عن المصير المحتوم ونسيان الاستعداد لما بعد الموت .

وهذا المعنى نجده في الحديث الشريف الذى رواه أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« لو أن لابن آدم واديا من ذهب لأحب أن يكون له واديان ولن يملأ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب » .

وينبهنا الحبيب المصطفى ﷺ إلى خطر الغفلة عن موقف العبد بين يدى الرب للحساب ، هذه الغفلة التى يكون من أسبابها انصراف قلب الإنسان وحيلته وجهده للتكاثر من الأموال وكنزها ، وتعلق النفس بها ، والبخل بها وعدم إخراج زكاتها ، والتصدق منها . . فيقول ﷺ حين قرأ :

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ قال : « تكاثر الأموال جمعها من غير حقها ، ومنعها من حقها وشدها فى الأوعية » .

فالعقل ينبغى له ألا تسيطر الدنيا على فؤاده ، وألا يكون المال هوى نفسه منها ، فالعمر محدود ، وعمل الإنسان محسوب له أو عليه ، وأنفاسه فى هذه الحياة الدنيا معدودة ولا خلود لبشر ولم يصحب أحداً من ذهبوا قبلنا شيئاً من ماله أو ولده يؤنس له قبره ويزيل عنه وحشته ، ويبدد ظلماته ، وهذه حقيقة نراها ونلمسها ، فلماذا الغفلة عنها إذن حتى نرور القبور فنرى المصير . . ويندم النادم حيث لا ينفع الندم .

مَضَى الدهرُ والأَيَّامُ والذنبُ حاصلٌ وجاءَ رسولُ الموتِ والقلبُ غافلٌ نَعِيمُكَ فى الدُّنْيَا غُرُورٌ وحسرةٌ وعيشُكَ فى الدُّنْيَا مُعَالَ وباطلٌ أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ :

ولنتدبر الحديث الذى رواه مالك بن أنس يقول ، قال رسول الله

ﷺ : « يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد ، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله » .

تفكرتُ في حشري ويومَ قيامتي وإصباحِ خدَي في المقابرِ ثاويًا
فريداً وحيداً بعدَ عزٍّ ورَفْعَةٍ رَهيناً بِجُرْمي والترابِ وسادياً
تفكرتُ في طولِ الحسابِ وعَرْضِهِ وذُلَّ مَقامي حينَ أُعْطِيَ كِتَابِيَا
ولكنَ رَجائي فيكَ رَبِّي وَخالِقي بَأْنِكَ تَغْفِرُ يا إِلَهي خَطَايَا

فطوبى لمن اتعظ بحال غيره واعتبر بمن صار تحت التراب ، وانقطع عن الأهل والأحباب بعد أن كان يصول ويجول وينافس الأصحاب ، ويجمع الأموال ، حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه ، وخرج من الدنيا وليس له منها إلا ما حدده العدل الإلهي في قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (١)

ولما كانت سكنى المقابر مؤقتة ومرحلة تسبق البعث للحساب ثم الجزاء، عبرت عنها الآية الكريمة بالزيارة ﴿ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ أى أهاكم الشكاثر حتى أتاكم الموت فصرتم في المقابر زواراً ترجعون منها إلى منازلكم المعدة لكل أحد منكم بحسب عمله في الجنة أو النار كما يرجع الزائر إلى منزله .

وفي هذا وعيد للمقبل على الدنيا منشغلاً بها قلبه عن المصير المحتوم . ثم جاء الرديع عن هذه الغفلة والوعيد بعد الوعيد الذى يوقظ من غفلة وينبه من منام ويردع النفس عن غيها ويدفع العاقل إلى إيثار عمل الآخرة ، وشكر المنعم الوهاب الرزاق فيبذل من سعيه في سبيل الخير ، ويجعل من ماله نصيباً لنصرة الحق والدعوة إلى دين الله والمحافظة عليه ، هذا مع إكرام اليتيم ورعاية الأرامل وكفاية المحتاج وحمل الضعيف .

ولنتدبر قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ثم كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ *
 كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ .
 نعم . إن الإنسان لو تدبر في أمر نفسه وفكر تفكيراً سديداً في
 مصيره وما له تفكير طالب الحق لعلم أن الدنيا إنما تطلب لغايات شريفة
 ولتكون عوناً على طلب ما عند الله في الآخرة ، لِيَتَّخِذَهَا مَطِيَّةً لِلنَّعِيمِ
 الآخرة فيجعل رزقه منها وسيلة يتقوى بها على طلب العلم والقيام بالعمل ،
 والنهوض بواجب الشكر لله على نعمه ، وطلب ما عند الله من الرحمة ،
 والتجاوز ، والمغفرة والنعم ولتأكد في يقينه أن الاشتغال بالتكاثر
 والتنافس مع الآخرين بالتهالك على حطام الدنيا دون نظر في العواقب
 لعلم أن ذلك سراب وهم وخداع وزيف ، ولما ألهاه هذا التكاثر عن
 طلب الدار الآخرة حتى يصير إلى قبره .

ويا حبذا لو أن العاقل يجعل صورة عذاب الجحيم حاضرة في ذهنه
 لتنبهه إلى ما هو خير له مما تميل إليه نفسه من اللهو بالباطل ، والانصراف
 بالقلب والعقل إلى الدنيا ومتعتها ، يا حبذا لو نفعل ذلك قبل أن نعاين
 الجحيم يوم الدين . فيندم النادمون يوم لا فائدة من الندم .

وقد ورد أن الجحيم للكفار دار ، وللمؤمنين ممر كما قال تعالى :
 ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ (١) ، وقد توعد الله عز وجل برؤية النار
 التي إذا زفرت زفرة خر كل ملك مقرب : وكل نبي مرسل على ركبتيه
 من المهابة والعظمة ومعينة الأهوال .

وفي موقف السؤال والعرض سيُسأل كل إنسان عن شكر ما أنعم
 الله به عليه يُسأل الرجل وتُسأل المرأة عن النعم . من الأمن والصحة
 والفراغ والإدراك بحواس السمع والبصر .

قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (١).
وفى الحديث الذى رواه أبو هريرة وأبو سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول له: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمَالًا وَوَلَدًا». . الحديث .

كما يسأل المرء عن ملاذ المأكول والمشروب، وعن ظلال المساكن واعتدال الخلق، ولذة النوم وعن صحة البدن وطيب النفس.

وقد جاء فى الحديث الذى رواه أبو هريرة قول النبي ﷺ :
« إن أول ما يسأل عنه العبد من النعيم - يعنى يوم القيامة - أن يقال له : « أَلَمْ تُصِحِّحْ لَكَ جِسْمَكَ وَنَرُوكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ ؟ » .

وفى حديث ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« إذا كان يوم القيامة دعا الله بعبدٍ من عباده فيوقفه بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن ماله » والجاه من نعيم الدنيا .

يا أهل الإسلام :

ونعم الله على عباده لا تُعدّ ولا تحصى ، وواجب العبد أن يشكر الله على هذه النعم : يشكره بالعقيدة الصادقة الصحيحة والعمل الصالح ، وإخلاص الطاعة لله ، وكف الجوارح عن معاصى الله ، وإنفاق المال فى وجوهه المشروعة ، وكسبه من حلال .

وكل إنسان سيسأل يوم القيامة عن النعيم ، أما سؤال المؤمن فتبشير بأن يجمع له بين نعيم الدنيا ونيعم الآخرة ، وأما سؤال الجاحد الكافر فتقريع وتوبيخ أن قابل نعيم الدنيا بالكفر والمعاصى .

قال القشيري : والجمع بين الأخبار أن الكل يسألون ولكن سؤال الكفار سؤال توبيخ لأنهم قد تركوا الشكر ، وسؤال المؤمن سؤال تشریف .
لأنه شكر وهذا النعيم فى كل نعمة .

روى أن النبي ﷺ أكل هو وأصحابه تمرًا وشربوا عليه ماء فقال :
« الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين » .

وخاض الناس في مجلس رسول الله ﷺ في ذكر الغنى ، فقال
عليه السلام :

« لا بأس ، بالغنى لمن اتقى الله ، والصحة لمن اتقى الله - خير من
الغنى ، وطيب النفس من النعيم » .

ولنتدبر قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ .

نسأل الله العون على طاعته ، وأن يجعلنا من الشاكرين ، فاتقوا
الله - عباد الله - واشكروا له يزدكم ، واستغفروه يبارك لكم ، وتوبوا
إليه فإنه تواب رحيم .

بِالشُّكْرِ تَدْوِمُ النِّعَمَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ كَمَا خَلَقْتَنَا ، وَرَزَقْتَنَا وَهَدَيْتَنَا وَعَلَّمْتَنَا وَأَنْقَذْتَنَا ، وَفَرَّجْتَ عَنَّا ، لَكَ الْحَمْدُ بِالْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْمَعَاوَةِ ، بِسَطْتَ رِزْقَنَا ، وَأَحْسَنْتَ مُعَاوَاتِنَا ، وَمِنْ كُلِّ - وَاللَّهِ - مَا سَأَلْنَاكَ رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا ، فَكَ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا كَثِيرًا ، لَكَ الْحَمْدُ بِكُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيْنَا ، لَكَ الْحَمْدُ حَتَّى تَرْضَى ، وَلَكَ الْحَمْدُ إِذَا رَضِيتَ .

أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَأَسْتَغْفِرُهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْجُودِ وَالْكَرَمِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ دَعَا إِلَى شُكْرِ الْمُنْعَمِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ .

أَمَّا بَدَدُ : فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ :

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ . . ﴾ (١) .

وَقَالَ الرَّسُولُ الْحَبِيبُ ﷺ « لَا يَرْزُقُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدًا الشُّكْرَ فَيَحْرِمُهُ الزِّيَادَةَ ، لَأنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ لَعِنَ شَاكِرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ » (٢) .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ :

لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا بِنِعَمٍ كَثِيرَةٍ ، وَجَادَ بِخَيْرَاتٍ وَفِيرَةٍ ، أَعْطَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْإِنْسَانَ الْعَقْلَ وَمَيَّزَهُ بِهِ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَ ، أَرْسَلَ لَنَا الرِّسَالَ يَرْشِدُونَهُ لِلْحَقِّ وَخَالِصِ الْإِيمَانِ ، وَمَنْحَ الْإِنْسَانَ الْقُوَّةَ وَالْعَافِيَةَ ، وَصَحَّةَ الْبَدَنِ ، وَسَلَامَةَ الْأَعْضَاءِ ، خَلَقَ لَهُ عَيْنَيْنِ ، وَلِسَانًا

وَشَفَقَتَيْنِ ، وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ ، وَالْإِفْصَاحَ عَنْ قَصْدِهِ بِالْكَلَامِ ، خَلَقَ لَنَا
أَرْضاً تُقِلُّنَا ، وَتُنْبِتُ لَنَا الزَّرْعَ وَالزَيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ ، وَمِنْ
كُلِّ الثَّمَرَاتِ ، وَنُسْتَخْرِجُ مِنْهَا الْمَعَادِنَ ، وَتَجْرِي فِيهَا الْأَنْهَارُ ، وَتَنْبُعُ
الْآبَارُ بِالْمَاءِ الزَّلَالِ ، خَلَقَ لَنَا سَمَاءً تُظِلُّنَا ، فِيهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجْمُ
مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ، تُبَدِّلُنَا بِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ وَالْحَرَارَةِ ، وَفِيهَا جَمَالٌ وَجَلَالٌ ،
وَقُدْرَةٌ وَإِتْقَانٌ .

الله هو الذى أوجدنا ، وأنعم علينا ، وأطعمنا ، وسقانا ، ورزقنا ،
وكسانا ، وأخضع للإنسان أغلب الكائنات ، وسخر لنا الحيوان ،
وفضلنا على كثير من خلقه ، وهدانا للإسلام .

﴿ وَإِنْ تَعْلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (١) .

وقال سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (٢) .

فوجب علينا شكر المنعم سبحانه وتعالى على ما أكرم ، وهو سبحانه الغنى

عن عباده ، وهبهم الخير وهو ليس فى احتياج إليهم .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنَى الْحَمِيدُ ﴾ (٣) .

وقد أمر الله عباده بشكره تعالى ، لِيُؤْمِنُوا بِفَضْلِهِ ، وَيَعْلَمُوا أَنَّ

كُلَّ خَيْرٍ هُوَ مُعْطِيهِ ، وَكُلَّ فَضْلٍ هُوَ مُؤَلِيهِ «وَمَا يَكُنْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ» (٤) .

أمر الله عباده بشكره ليعلموا أَنَّ الْعَبْدَ لَيْسَ بِيَدِهِ أَمْرٌ وَلَا نَهْيٌ ،

وإنما هو سببٌ من الأسباب وَأَنَّ النَّاسَ لَا يَمْلِكُونَ لَأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا

ضَرًّا ، وَلَا حَيَاةً وَلَا مَوْتًا ، وَأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الرِّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ،

يعطى ويمنع ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، ويغنى ويفقر ، فالشكر تقديس

الله وتوحيده ، وإفراده بالعبودية ، وتنزيهه وتمجيده ، ولذلك قرن الله

(٢) البقرة : ٢٩

(٤) النحل : ٥٣ .

(١) إبراهيم : ٣٤

(٣) فاطر : ١٥ .

لشكر بالذكر ، وأمرنا به فقال تعالى :

﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾ (١)

وقال سبحانه :

﴿ فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٢) .

والشكر لا يكفي فيه الثناء باللسان ، والمدح بالقول والكلام ، فالعبد لا يكون شاكرًا لأنعم الله إلا إذا برهن عمله على الإقرار بالنعمة ، ونطقت أفعاله بتقدير المنّة ، لن يكون العبد شاكرًا إلا إذا اشتركت جوارحه في الشكر ، وساهمت أعضاؤه بالتسبيح والحمد ؛ فالشكر صرف النعم فيما خلقت له ، واستعمالها فيما شرعت لأجله ، لتظهر فائدتها وتتم حكمتها ، ويجنى العباد منافعها ، فإن شكرت بقلبك ولسانك وعملك فأنت من الفائزين بقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ . . . وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ .. ﴾ (٣) .

وقال سبحانه : ﴿ . . . وَسَجِّزَى الشَّاكِرِينَ .. ﴾ (٤) .

قال بعض الصالحين : « . . . من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه فمثلته كمثل رجل له كساء ، فأخذ بطرفه ، ولم يلبسه فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر » .

وقال : « كل نعمة لا تقرب من الله فهي بلية . . » .

وروى أن النبي ﷺ قال : « . . . مَنْ صَلَّى الصَّلَاةَ الْخَمْسَ فَقَدْ شَكَرَ اللَّهَ ، وَمَنْ دَعَا لَوَالِدَيْهِ فِي أَذْيَارِهِمَا فَقَدْ شَكَرَهُمَا . . » .

(٢) الأعراف ١٤٤

(٤) آل عمران - ١٤٥

(١) البقرة : ١٥٢

(٣) إبراهيم : ٧ .

يا عباد الله :

إِنَّ الْعَبْدَ الَّذِي يُطِيعُ رَبَّهُ ، وَيَجْتَنِبُ مَعَاصِيَهُ ، وَيَنْتَفِعُ بِالنِّعَمِ فِيهَا خُلِقَتْ لِأَجْلِهِ ، وَيَلْهَجُ لِسَانُهُ بِذِكْرِ مَوْلَاهُ وَحَمْدِهِ إِنَّمَا يُبْرَهُنُ بِذَلِكَ عَنْ فَهْمِهِ لِلنِّعْمَةِ ، وَشُكْرِهِ لِلْمَنَعِ عَزَّ وَجَلَّ .

إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا شَكَرَ النِّعْمَةَ فَقَدْ نَفَعَ نَفْسَهُ ، بِأَنْ وَجَّهَ النِّعْمَةَ وَجْهَ الْخَيْرِ وَالنَّفْعِ ، وَاسْتَعْدَلَهَا فِيهَا يُسَعِّدُهُ ، وَيُسَعِّدُ الْعِبَادَ ، وَبِالشُّكْرِ تَسْتَقِيمُ الْأُمُورُ ، وَتَنْعَدُمُ الشُّرُورُ ، وَيَضْعُفُ الْبَاطِلُ وَالزُّورُ .

قال عز وجل على لسان سليمان عليه السلام :
(. . . قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ . . .) (١) .

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ غَنِيٌّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ لَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ أَطَاعٍ وَلَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَى ، فَمَنْ شَكَرَ نِعْمَةَ رَبِّهِ حَظِيَ بِرِضْوَانِهِ ، وَفَازَ بِرَحْمَتِهِ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

(إِنَّ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ، وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ .) (٢) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :
« . . . أَرْبَعٌ مَنْ أُعْطِيَهُنَّ فَقَدْ أُعْطِيَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ : قَلْبٌ شَاكِرٌ ، وَلِسَانٌ ذَاكِرٌ ، وَبَدَنٌ عَلَى الْمَبَالِءِ صَابِرٌ ، وَزَوْجَةٌ لَا تَبْغِيهِ خَوْنًا فِي نَفْسِهَا وَلَا مَالًا . . . » .

وعن معاذٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى عَلَى رَجُلٍ وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ تَمَامَ النِّعْمَةِ ، فَقَالَ : ابْنُ آدَمَ ، هَلْ تَدْرِي مَا تَمَامُ النِّعْمَةِ . ؟

تقال : يا رسول الله : دعوة دعوتُ بها أرجو الخيرَ بها ، فقال : « إِنَّ
من تمامِ النُّعْمَةِ فوزاً من النار ، ودخولاً إلى الجنةِ » . .
أيها المؤمنون :

إِنَّ نِعْمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى ، فَطُوبَى لِمَنْ عَرَفَ
فَضْلَ رَبِّهِ ، فَوَحَّدَهُ ، وَعَبَدَهُ وَأَطَاعَهُ ، وَشَكَرَهُ ، وَكَفَّ جَوَارِحَهُ عَنْ
مَعَاصِيهِ . .

قال أبو الدرداء : « وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَّا فِي مَطْعَمِهِ
وَمَشْرَبِهِ فَقَدْ قَلَّ عِلْمُهُ وَحُضِرَ عَذَابُهُ . . » .

وقال عبد الله المزني : يا ابن آدمَ إِنَّ أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ قَدْرَ مَا أَنْعَمَ
اللَّهُ عَلَيْكَ فَعَمَّضْ عَيْنَيْكَ . . .

وروى أن داودَ عليه السلامُ قال : « رَبِّ ، أَخْبِرْنِي ، مَا أَذْنَى نِعَمِكَ
عَلَيَّ . ؟ . . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ يَا دَاوُدُ تَنَفَّسْ ، فَتَنَفَّسَ ، فَقَالَ : هَذَا
أَذْنَى نِعْمَتِي عَلَيْكَ . » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ :
« انظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْكُمْ ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ » .
وقال ﷺ : « مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرِّهِ ، مُعَافًى فِي بَدَنِهِ ، عِنْدَهُ
قُوَّةٌ يَوْمَهُ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَائِيرِهَا . . » .

وقال ﷺ : « . . من ابْتَلِيَ فَصَبَرَ ، وَأُعْطِيَ فَشَكَرَ ، وَظَلِمَ
فَغَفَرَ ، وَظَلِمَ فَاسْتَغْفَرَ ، ثُمَّ شَكَرَ ، ثُمَّ سَكَتَ ، قَالُوا : مَا لَهُ يَا رَسُولَ
اللَّهِ ؟ قَالَ : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ . . ﴾ (١) »
فاتقوا الله — عباد الله — وتوبوا إليه لعله يرحمكم .

في الاستغفار بركات الدين والدنيا

قال الله تعالى من سورة النساء :

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (١) .

أيها المؤمنون :

الغفران والمغفرة من الله تعالى أن يصون الربُّ عبده من أن يمسَّه العذاب والاستغفار من العبدِ طلبه ذلك من الله عز وجل .

واللهُ رحيمٌ بعباده كما قال تعالى: ﴿ نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغُفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) ، خلقهم سبحانه وهو يعلمُ ضعفهم ، ففتح لهم بابَ الرجاء في عَفْوِهِ ومَغْفِرَتِهِ ، وأمرهم أن يلجأوا إلى ساحاتِ كَرَمِهِ وجودِهِ طالبين تكفيرَ السيئاتِ ، وسترَ العوراتِ ، وقبولَ التوب .

ومن رحمة الله بعباده شمولُ عَفْوِهِ مرتكبَ المعصية ، كما شملَ عَفْوُهُ الظالمَ نَفْسِهِ بِالْحَادِثِ وشريكه إذا تاب وأقلع واستغفرَ رَبَّهُ من سالفِ ذنوبه وأخلص الإيمانَ لله ، وعزم على توبة نَصُوح ، ولم يثبُت على شريكه أو معاصيه ولم يُصِرَّ على ما هو عليه من خلاف ومعاذلة .

فمن تاب واستغفر تاب الله عليه ، والحقُ تبارك وتعالى يقول في صفات المتقين : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

(٢) الحجر : ٤٩ .

(١) النساء : ١١٠

(٣) آل عمران : ١٣٥ .

فلاستغفار عظيم وثوابه جسيم، وفي بيان ثواب المستغفرين يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (١) .

وما أعظمه من جزاء ! وروى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ - الْعَظِيمَ - الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الرَّحْفِ » .

وروى أبو بكر الصديق رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « عَلَيْكُمْ بِلا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالْإِسْتِغْفَارَ فَأَكْثَرُوا مِنْهَا ، فَإِنْ إبليس قال : أَهْلَكْتُ النَّاسَ بِالذُّنُوبِ وَأَهْلَكُونِي بِلا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالْإِسْتِغْفَارَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ أَهْلَكْتُهُمْ بِالْأَهْوَاءِ فَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ مَهْتَدُونَ » .

وفي المسند عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال : « قَالَ إبليس ، يَا رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا أَزَالُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ ، فَقَالَ اللَّهُ : « وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَلَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي » .

فطوبى لمن عرف أن له رباً غفوراً رحيماً كريماً يقبل عباده إذا أقبلوا إليه ناديين ، وطرقوا بابه باكين مستغفرين ، وقد أمر بذلك نبيه والمؤمنين، فقال : ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُوا لِذَنبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتَوَاتِكُمْ ﴾ (٢) .

والاستغفار إذا كثر من الأمة وصدر عن قلوب موقنة مخلصه دفع عنها ضرراً من النقم والشرور العامة ولنتدبر قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٣) .

(٢) محمد : ١٩ :

(١) آل عمران : ١٣٦ .

(٣) الأنفال : ٣٣ .

فالناس في أمان من العذاب الشامل ما كان نبئتهم بين أظهرهم، وما كان فيهم مستغفرون قلوبهم مخلصه .

ولذا قال ابن عباس : لم يعذب الله أهل قرية حتى يخرج النبي منها والمؤمنون ويلحقوا بحيث أمروا . . . وإن الأنبياء خُتموا بالنبي محمد ﷺ وقد لحق بالرفيق الأعلى وبقى للناس التوبة والاستغفار وإخلاص المحبة لله وصدق الرغبة في طلب البركة وتخليص المهجة من العذاب .
وفي الحديث الذي رواه أنس قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « إن الله يقول : إني لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى عمار بيوتى وإلى المتحابين في وإلى المتجهدين والمستغفرين بالأسحار صرقت عنهم العذاب بهم » .

يا أهل الإيمان :

والمستغفرون محل رعاية الله، وأهل لحفظه ورحمته، وقد أثنى الله عز وجل على عباده المتقين المداومين على الاستغفار خصوصا وقت السحر ففيه يكون الدعاء بالاستغفار أرجى للقبول ولتدبر قوله تعالى :
﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ (١).
وهذا في صفات المتقين الذين هم أهل الكرامة والرحمة والتعظيم الدائم ، وفيهم أيضا يقول عز وجل :

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (٢) .

وفي الحديث : « ينزل ربنا في كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : هل من سائلٍ فأعطيَهُ ؟ هل من ذاع غاستجبَ له ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ » .

وكان النبي ﷺ يوضي أمتَهُ بالاستغفار ويحثها عليه ليتوب الكافر ، ويستغفرَ ربه لما سلف ، وليقلع العاصي ، ويستغفرَ ربه أن يقول للناس :

﴿ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُم مِّنْ نَّذِيرٍ وَبَشِيرٌ * وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْ لَكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ (١) .

فدن ثمرات الاستغفار وبركاته أنه يكون سبباً في أن يُمتنع الله المستغفرين بالمنافع من سعة الرزق ورغد العيش ، ولا يستأصلهم بالعذاب كما فعل بالأُمم التي عاندت وأصرت على الكفر ، ولذا حذر النبي ﷺ من الإصرار على الشرك بعد الحث على الاستغفار ، وقد جاء ذلك في قوله تعالى يأمر نبيه بإنذارهم :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢)

وقد جاء في نصيحة هود عليه السلام قوله لقومه :

﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ (٣) .

فلاستغفار مع الإفلاع عن الذنوب سبب للخصب والنماء وكثرة النسل وزيادة العزة والمنعة . . . وفي دعوة نوح قومه ونصحه لهم نسمع

(٢) فصلت : ٦ .

(١) هود : ٢ و ٣ .

(٣) هود : ٥٢ .

اللَّهُ عز وجل يقول : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ
السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ
وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (١) .

ففي الإيمان رَحْمَةٌ بالعباد وفي الاستغفار بركات الدين والدنيا ، وفي
الحديث « من لزم الاستغفار جعل الله له من كلِّ هَمٍّ فَرَجًا ، ومن كلِّ
ضيقٍ مَخْرَجًا ، ورزقَهُ من حيث لا يحتسب » .

وهذا نبيُّ اللَّهِ صالحٌ عليه السلام يطلب إلى قومه أن يستنزلوا رحمة
اللَّهِ عليهم بالاستغفار فقال لهم :

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ
اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢) .

أَي هَلَّا تَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ مِنَ الشَّرِّ لِكَيْ تُرْحَمُوا . . . وَبَيْنَ لَهُم
أَنَّ اللَّهَ قَرِيبٌ مِنْهُمْ يُجِيبُ مَنْ دَعَاهُ وَلَا يُخَيِّبُ مَنْ رَجَاهُ لِيَفْتَحَ أَمَامَهُمْ
بَابَ الْأَمَلِ إِنْ كَانُوا يَأْسِينُ فقال صالح :

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اغْبُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ
الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ
مُجِيبٌ ﴾ (٣) .

وهذا شعيبٌ عليه السلام يرى قومه على أسوأ الأخلاق مع الشَّرِّ
والإلحاد فيلج في نُصْحِهِم للإقلاع عما هم فيه من عَمَى بصائر وضلال :
وَيُبَشِّرُهُمْ بِأَنَّ رَبَّهُمْ رَحِيمٌ بَعْبَادِهِ وَدُودٌ ، يَرْضَى عَنْ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ .
وَيَكْفُرُهُمْ مَا مَضَى مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ إِذَا أَخْلَصُوا النِّيَّةَ وَالتَّوَجُّهَ إِلَيْهِ ، وَلِتَتَدَبَّرَ
قَوْلَ شُعَيْبٍ لِقَوْمِهِ :

(٢) النمل : ٤٦ .

(١) نوح : ١٠ - ١٢ .

(٣) هود : ٦١ .

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (١) .
 فما أعظم بركات الاستغفار به تُستنزَلُ الرحماتُ وتباركُ الأرزاقُ.
 وتكثرُ الخيراتُ ، ويُعطى اللهُ الأموالَ والبنينَ وَيَغْفِرُ الذنوبَ ، ويمنحُ
 القوةَ والسدادَ والرشادَ .. وفي الحديث : « ما من رجلٍ يذنبُ ذنباً فيتوضأُ
 فيُحْسِنُ الوضوءَ ثم يصلي ركعتين فيستغفرُ الله عز وجل إِلَّا غَفَرَ له » .
 فاتقوا الله واستغفروا يغفر لكم وتوبوا إليه لعله يرحمكم .

* * *

للخطبة الثانية :

روى على بن أبي طالب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ
 بيده ثم قال : « أَلَا أَعْلَمُكَ كلماتٍ تقولهنَّ لو كانت ذنوبُك كمدبِّ
 النمل - أو قال كمدبِّ الذرِّ - لغفرها اللهُ لك على أَنه مغفورٌ لك :
 اللهم لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ عملتُ سوءاً وظلمتُ نفسي فاغفرْ لي
 فإنه لا يغفرُ الذنوبَ إِلَّا أَنْتَ » .

وعن أبي هريرة : « ما رأيتُ أَكْثَرَ استغفاراً مِنْ رسولِ الله ﷺ
 وعن أوس بن شداد أن رسول الله ﷺ قال : « سَيِّدُ الاستغفارِ :
 اللهم أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا على عهدِكَ
 ووعدِكَ ما اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ
 عَلَىَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي ، اغفرْ لي فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » .

مَنْ قالها من النهارِ مُوقِناً بها فمات من يومه قبل أن يُمسي فهو

- ٣٣٢ -

من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو مُوقِنُ بها فماتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ
فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » .

ومن دعائه : صلى الله عليه وسلم :

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ
مَنِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي هَزْلِي وَجِدِّي وَخَطْئِي وَعُصْدِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي » .
وفي آخر الصلاة : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا
أَسْرَرْتُ ، وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ إِلَهِي
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » .

فاتقوا الله عباد الله ، واستغفروه يغفر لكم ، وتوبوا إليه . وسلوه
من فضله يُعْطِكم .

ذِكْرُ اللَّهِ يُخَوِّلُ الْقُلُوبَ وَتُسْتَنْزِلُ بِهِ الرِّحْمَاتُ

قال الله تعالى من سورة البقرة :

﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ واشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُون ﴾ (١)

يا أهل الإيمان :

أمر الله تعالى عباده بأن يذكره ويشكروا له ، كما أمرهم بأن
يُكثِّروا من ذكره وشكره على ما أنعم به عليهم ، يقول عز وجل
من سورة الأحزاب :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ﴾ (٢) .

وأصل الذكر التنبيه بالقلب للمذكور واليقظة له ، وسمى الذكر
باللسان ذكراً لأنه دلالة على الذكر القلبي .

وجاء في تفسير قوله تعالى ﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ ﴾ .

اذكروني بطاعتي ، أذكركم بشواي ، ومغفرتي ، ومعونتي ،

لقوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٣) ، فذكر الله يقتضي
ذكر أمره ونهيه والوقوف عند حدوده ، ولزوم طاعته ، فمن لم يطعه
سبحانه لم يذكره وإن أكثر التسبيح والتهليل وقراءة القرآن ، كما قال
سعيد بن جبير .

وجاء كذلك في تفسيره .

(٢) الأحزاب : ٤١ و ٤٢ .

(١) البقرة : ١٥٢

(٣) الأحزاب : ٧١ .

* فاذكروني بالدُّعاء اذكركم بإعطاء الآلاء والنِّعماء لقوله تعالى :
﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (١) .

* واذكروني بالإحسان اذكركم بالرحمة لقوله سبحانه :
﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢) .

* واذكروني بالاستغفار اذكركم بغفران ذنوبكم والتجاوز عن
سيئاتكم ، لقوله تعالى :

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٣) .

* واذكروني بالصبر اذكركم بأوفى الأجر ، لقوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٤) .

* واذكروني بالتوكل وتفويض أموركم إلى أذكركم بالكفاية ،
لقوله سبحانه :

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (٥) .

فمن فضل الله وإحسانه ورحمته بعباده الذاكرين أنه يمنحهم
الخيرات والكرامات ، ويُحسِنُ إليهم بالثوبات ، وإجابة الدعاء ،
واللطف في القضاء ، وبالهداية ، والكفاية ، والرضوان ، والعفو ،
والغفران جزاء ذكرهم له ، وطاعتهم إياه ، وإنابتهم إليه وإخلاصهم ،
وتفانيهم في محبته ، وصدقهم في العبودية له تعالى .

(٢) الأعراف : ٥٦ .

(٤) الزمر : ١٠ .

(١) غافر : ٦٠ .

(٣) النساء : ١١٠ .

(٥) الطلاق : ٣ .

يا أيها المؤمنون :

إِنَّ الْمُؤْمِنَ مُطَالَبٌ بِأَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ يَذْكُرُهُ فِي خَلْقِهِ وَعِنْدَ اخْتِلَافِهِ بِالنَّاسِ ، لَا يَفْتَرُّ عَنْ تَعَجِيدِ اللَّهِ ، وَتَقْدِيسِهِ ، وَتَسْبِيحِهِ ، وَتَهْلِيلِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِجَمِيعِ مَحَامِدِهِ ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَسْتَحْضِرَ عَظَمَةَ اللَّهِ ، وَسُلْطَانَهُ فِي قَلْبِهِ دَائِمًا ، وَأَنْ يَتَفَكَّرَ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى وَجُودِهِ وَقُدْرَتِهِ الْمَطْلُوقَةِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ ، وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ أُولَى الْأَلْبَابِ بِأَنَّهُمْ : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : لم يفرض الله تعالى فريضةً على عباده إلا جعل لها حدًّا معلومًا ، وَعَذَرَ أَهْلَهَا فِي حَالِ الْعَذْرِ غَيْرَ الذُّكْرِ فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ حَدًّا يَنْتَهِي إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَعْزُرْ أَحَدًا فِي تَرْكِهِ إِلَّا مَغْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ ، فَلِذَلِكَ أَمَرَهُمْ بِهِ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ فَقَالَ تَعَالَى :

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ ﴾ (٢) .
وقال : « اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا » أَيْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَالسَّفَرِ وَالْحَضَرِ ، وَالْغِنَى وَالْفَقْرَ ، وَالْمَرِضَ وَالصَّحَّةَ ، وَفِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ .

وَالسَّاعَةُ الَّتِي تَمُرُّ بِابْنِ آدَمَ لَا يَذْكُرُ فِيهَا رَبَّهُ سِندُمُ عَلَيْهَا يَوْمَ لَا يَنْفَعُ النَّدَمَ .

فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :
« . . . مَا مِنْ سَاعَةٍ تَمُرُّ بِابْنِ آدَمَ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهَا بِخَيْرٍ إِلَّا تَحَسَّرَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وقد حذرنا الله من الغفلة عن ذكره فقال من سورة الأعراف :
﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ
بَالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (١) .
وإن الغفلة عن ذكر الله عز وجل لَوْنُ صِفَاتِ المنافقين ، وقد
ذمَّهم الله لذلك فقال :

﴿ . . وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٢) .

وكان داودُ يخافُ على نفسه من مخالطة الغافلين عن ذكر الله ،
ومن دعائه : « إِلَهِي إِذَا رَأَيْتَنِي أَجَاوِزُ مَجْلِسَ الذَّاكِرِينَ إِلَى مَجْلِسِ
الْغَافِلِينَ فَاصْبِرْ رَجُلِي دُونَهُمْ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ تُنْعِمُ بِهَا عَلَيَّ » .
وإنَّ ذِكْرَ الله عز وجل يشمل ذكرَ عقابه ووعيده وانتقامه فيتيقظُ
الضميرُ وتنمو ملكة المراقبة في النفس ، ويمتلئ القلبُ خشيةً من الله ،
فيكفُّه ذلك عن المعاصي ، ويردُّعه عن الشر .

قال الحسن : الذِّكْرُ ذِكْرَانِ : ذِكْرُ اللهِ عز وجل بين نفسك وبين
الله عز وجل وما أحسنه ، وأعظم أجره ، وأفضل من ذلك ذِكْرُ اللهِ
سبحانه عندما خرم الله عز وجل ، قال الله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ
مُبْصِرُونَ﴾ (٣) .

أى إذا ألمَّ بهم شيءٌ قليل من وسوسة الشيطان بفعل المعاصي أو ترك
الطاعات تذكروا الله وعقابه للعاصيين ، ومثوبته للطائعين ، فإذا هم
مبصرون الحق فيرجعون إلى طاعة الله ، وما يُرضيه تاركين ما يُغضبه
من معاصيه .

(٢) النساء : ١٤٢ .

(١) الأعراف : ٢٠٥ .

(٣) الأعراف : ٢٠١ .

وإذا ذكر المؤمنُ رحمةَ الله وعفوَه ومغفرته وجودَه ، اطمأنَّ قلبُه ، وقوى رجأؤه في عفو الله وقبول التوبة والعمل الصالح ، ولنتدبرُ قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (١) .

وفي الإعراض عن ذكر الله حرمانٌ من هذه الثمرات العظيمة ومن هذا الخير الكثير ، كما أن في ترك الذكر بلاءً عظيمًا وشرًّا جسيمًا ، ولنتدبر قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٢) .

أى من يشتغل بالولد والمال عن إدامة الذكر وطاعة الرب ، فأولئك هم الخاسرون ، وقال تعالى :

﴿ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ (٣) أى عذابا شاقا مؤلما .

فطوبى لمن شغل قلبه ولسانه بذكر الله عز وجل ، فذكر الله من أعظم النعم .

فقد روى أبو ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ما من يوم وليلة إلا ولله عز وجل فيه صدقة يمن بها على من يشاء من عباده وما من الله على عبد بأفضل من أن يلهيه ذكره » .

وذكر الله من أعظم القربات ، ومن أقوى الأسباب الموصلة إلى محبة الله وبالذكر تستدفع الآفات ، وتستنزله الرحمات .

يقول معاذ بن جبل رضي الله عنه : « إن آخر كلامٍ فارقت عليه

(٢) المنافقون : ٩ .

(١) الرعد : ٢٨ .

(٣) الجن : ١٧ .

رسول الله ﷺ أننى قلت: أى الأعمال أحب إلى الله؟ قال: أن تموتَ
ولسانك رطبٌ من ذكرِ الله.» .

وقال معاذ: «ما من عملٍ أنجى من عذابِ الله من ذكرِ الله» والله
عز وجل مع عبده المخلص في الطاعة، المدوام على ذكره يحفظه،
ويرعاه، ويثبتُه وينصرُه، وفي الحديث القدسي:
«أنا مع عبدي ما ذكرني وتحرَّكت شفتاه بي.» .

ومن وصية الحبيب المصطفى ﷺ لأُم سلمة رضي الله عنها:
«... وأكثري من ذكرِ الله، فإنك لا تأتيين الله بشيء أحب إليه
من كثرة ذكره.» .

قال أبو هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله
إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء
قدير كل يوم مائة مرة كانت له عِدَّةٌ عشرِ رقابٍ، وكُتِبَتْ له مائةُ
حسنةٍ ومُحِيت عنه مائةُ سيئةٍ، وكانت له جِرْزًا من الشيطان يومه ذلك
حتى يمسي، ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به إلا أحدٌ عَمِلَ أكثرَ
من ذلك.» .

وقال ﷺ: «الباقيات الصالحاتُ هنَّ: لا إله إلا الله، وسُبْحانَ
الله، والحمد لله، والله أكبرُ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.» .

وفي الحديث: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان،
حبیبتان إلى الرحمن: سُبْحانَ الله وبِحَمْدِهِ، سُبْحانَ الله العظيم.» .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «مثلُ الذي
يذكر ربَّه والذي لا يذكرُ مثلُ الحَيِّ والميتِ.» .

— ۳۳۹ —

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاذْكُرُوهُ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوا لَهُ يَزِدْكُمْ ،
وَتُوبُوا إِلَيْهِ يَتُبْ عَلَيْكُمْ .
طُوبَىٰ لِمَنْ صَدَّقَ يَقِينُهُ وَاسْتَغْرَقَ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ ، وَسَبَّحَ لِسَانُهُ
وَلَهَجَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَشَكَرَهُ وَالنَّشَاءَ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، طُوبَىٰ لَهُ وَحَسَنُ مَّآبٍ . .
وَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَسَلُّوهُ مِنْ فَضْلِهِ يُعْطِكُمْ ، وَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرَ لَكُمْ .

* * *

الدَّعَاءُ سَلَاَحُ الْمُؤْمِنِ

قال الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (١) ..
أى : اذكروا ربكم ، وادعوه ، واسألوه من فضله فإن الله يحب أن
يُسأل .

قال أنس رضى الله عنه ، إن النبي ﷺ قال : « لَيْسَ أَلْأَحَدُكُمْ
رَبُّهُ حَاجَتُهُ كُلُّهَا ، حَتَّى يَسْأَلَهُ شَيْعَ نَعْلِهِ إِذَا انْقَطَعَ » .
أيها المؤمنون :

إن الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السموات والأرض
وليس شيء أكرم على الله من الدعاء ، وليس شيء أنفع منه في تحقيق
المطلوب ، ودفع الضر والشر وتفريج الكرب والهم ، وجلب الخير
والبركة ، وإذا فوض العبد أمره إلى الله وأحسن توكله عليه ، وأخلص
الاتجاه ، وصدقت نيته ، وحضر قلبه ، وألح على الله في دعائه وسأله
متوسلا إليه بأسمائه وصفاته ، موقنا بالإجابة غير يائس ولا شاك
مُقرا بعجز نفسه وفاقته وحاجته إلى ربه فإن الله عز وجل لا يردّه خائبا
ولا يُشمت فيه عدوا ولا حاسدا .

استعان الرسل والصالحون والطيبون والطيبات بالدعاء في أشد
أوقاتهم ، وفي أقسى المِحَنِّ فآزال الله كُرْبَهُمْ ، وحقق لهم الخير
ونجّاهم من الغم ، وآمنهم من الخوف ، وشفاهم من المرض .

فهذا إبراهيم الخليل عليه السلام يجتمع عليه أهل الكفر وهو
الوحيد بينهم يعبد الله ويوحده ، ويوثقونه بالحبال ، ويضرمون له

النار ، ويُلقونه فيها ، فاستعان عليهم بتفويض الأمر لصاحب الأمر ،
وَحَدَّ اللَّهُ وَوَصَفَهُ بِكُلِّ صِفَاتِ الْكَمَالِ ، وَحَمَدَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَأَقْرَبَ لَهُ
بِالْمَلِكِ ، وَنَفَى عَنْهُ الْحَاجَةَ إِلَى الشَّرِيكِ فَقَالَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ
لَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الْمُلْكُ لَا شَرِيكَ لَكَ » وحين استقرَّ في النار قال :
« حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » أى الله يكفينى ما أهتمنى ويتولى أمرى كله ،
وهو وكيلى ونعم الوكيل ، وهذا من أنفع الدعاء حين يصدر من قلب
بواعِ فاهم ، يقول الرسول ﷺ : « إذا وقعتُم في الأمر العظيم فقولوا :
حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » فَوُضَّ لإِبْرَاهِيمَ الْأَمْرُ إِلَى صَاحِبِهِ الَّذِي يَقُولُ
لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ ، فَقَالَ اللَّهُ : « يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ » (١)
فَتَحَوَّلَ الْمَكَانَ حَوْلَهُ إِلَى أَجْمَلِ مَا يَكُونُ مِنَ النَّسِيمِ وَالطَّيِّبِ وَالرَّوْحِ ، يَقُولُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْهَا : « مَا كُنْتُ أَيَّامًا وَلِيَالِي قَطُّ أَطِيبَ عَيْشًا
إِذْ كُنْتُ فِيهَا ، وَوَدِدْتُ أَنْ أَعِيشَ حَيَاتِي كُلَّهَا مِثْلَ عَيْشِي إِذْ كُنْتُ فِيهَا ».

أيها المؤمنون :

ومحنةُ النَّبِيِّ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ قَاسِيَةً شَدِيدَةً فَقَدْ ابْتَلَاهُ
اللَّهُ فِي مَالِهِ فَهَلَكَ كُلُّهُ ، وَكَانَ ذَا ثَرَاءٍ وَغِنًى ، وَابْتُلِيَ فِي الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ
فَمَاتُوا جَمِيعًا حِينَ انْهَدَمَ عَلَيْهِمُ الْبَيْتُ ، وَابْتُلِيَ فِي جِسْمِهِ بِالْأَمْرَاضِ
الْمَوْجِعَةِ الَّتِي نَفَرَتْ مِنْهُ النَّاسُ فَعَاشَ وَحِيدًا مُنْفَرَّدًا تَخْدُمُهُ زَوْجَةُ الْوَفِيَّةِ
الْبَارَةِ الصَّابِرَةِ وَتَسْعَى عَلَى قُوَّتِهِ وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْاِخْتِبَارُ لِهَوَانِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَلَكِنْ لَتَمَحِيطِهِ وَزِيَادَةِ ثَوَابِهِ وَرَفَعِ دَرَجَاتِهِ .

وَالنَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ يَقُولُ : « أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ ، ثُمَّ
الصَّالِحُونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ الْأَمْثَلُ » . وَفِي الْحَدِيثِ : « يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى قَدْرِ
دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِهِ » .

وبلغ النبي أيوب عليه السلام الغاية في الصبر والتسليم لقضاء الله وقدره حتى صار قدوة يُضرب به المثل ، قالت له زوجته : « يا أيوب ، لو دعوت ربك يُفرِّجُ عنك ؟ فقال : « قد عشتُ سبعينَ صحيحاً ، فهل قليلٌ لله أن أضرَّ له سبعين سنةً » .

ثم شعر النبي الصالحُ أيوب عليه السلام أن المرض وصل إلى الحد الذي أعجزه عن النهوض للصلاة وأحسَّ بشماتة الأعداء الذين أشاعوا أن مرضه إنما هو لغضب الله عليه ، وقد سُئل فيما بعد : ما كان أشدَّ عليك في بلائك ؟ قال : شماتة الأعداء . فجأر أيوبُ عليه السلام ، ورفع أكف الضراعة إلى عالم الجهر والسرِّ أرحمَ الراحمين مخبراً عن حاله - والله أعلم به - مُقِرّاً بعجزه قائلاً : « ربِّ إني مسني الضرُّ وأنت أرحمُ الراحمين » قال الله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (١) .

فتوسَّل إلى الله بربوبيته فهو الخالق وهو النافع الضار وهو الشافي ، وأظهر فقره واحتياجه إلى ربه ، وأقر له بصفة الرحمة ، وأنه أرحم الراحمين ولم يشك ولم يعجزْ عليه السلام ، وصلَّى الدعاء من القلب الصافي ، فأجاب الرحمن دعاءه ، وحفظ عبده الصابر ولم يُشمت فيه عدوه فأمره : ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ (٢) وركضَ برجله ونبع الماء ، واغتسل العبد الصابر ، وشرب ، فعاد أنضر وأحسن ما يكون ، وألبسه الله حلة من الجنة ، وأحسن إليه مولاة . بعد تمام الصحة بأن آتاه أهله الذين ماتوا ليسعد بهم قلبه ، وآتاه مثلهم سبع بنين وسبع بنات أنجبتهن الزوجة الصالحة ليكونوا قرة عين لها وله ،

وأرسل الله سبحانه على قدر قواعد داره ، فأمطرت جراداً من ذهب ، فجعل يجمع في ثيابه وكما أن البلاء اختبار ، فالنعمة والغنى اختبار فناده ربه : « يا أيوب ألم أكن أغنيئك عما ترى ؟ قال : بلى يارب ، ولكن لا غنى لى عن بركتك » فهو الصابر الشاكر المقر بحاجته إلى ربه دوماً ، ولنتدبر : « وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين » فاستجبنا لله فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين » (١) .

فعل الله به ذلك رحمة به ، وتذكيراً للعباد في كل زمانه فالله لا يبتلى الصالحين من عباده لهوانهم عليه ، وإنما ليضاعف الثواب لأحبابه ويعلى منازلهم وليكون أيوب قدوة لكل مُبتلى في الصبر والشكر « وذكرى للعابدين » .

وتعالوا نرى يونس بن متى عليه السلام ، فقد اختبره الله عز وجل بالحبس في بطن حوتٍ أمر بالأكل له لحماً ، ولا يشم له عظماً ، فقد أراد الله أن تكون بطنه لعبده الصالح سجناً ، لأن يونس عليه السلام يئس من إيمان أهل قريته ، فأسرع بالخروج منها باجتهاده ، بعد أن أنذرهم بعذاب من الله بعد ثلاثة أيام ظاناً أن الله عز وجل لن يضيع عليه ، أو لن يقضى عليه بعقوبة لمكانته عند ربه ، ولنتدبر قوله الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذُهِبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ (٢) .

فلما آل الأمر إلى قاع البحر في بطن الحوت ، وسمع تسبيح الحصا ، وتسبيح دواب البحر سبح يونس ، وجار إلى ربه : ﴿ فَنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ﴾ (٢) .

وفي هذا الدعاء توسّل إلى الله بتوحيده ، ونزّهه ربّه وقُدّسه ، وأقرّ يونس بذنبه قائلاً : إني ﴿ كنت من الظالمين ﴾ وفوّض الأمر إلى الله وحده فأجاب الله دعاءه ﴿ فاستجبنا له ونجّيناه من الغمّ وكذلك نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وهنا العبرة والعظة لكل مؤمن ، فالله عز وجل ينجي المؤمنين من شدائدهم ، ويكشف عنهم الضر إذا هم وحّدوه وأخلصوا النية لله واتجهوا إليه بقلوب نقية وبنفوس صافية ، يسألونه من فضله : ﴿ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) إى إذا لجأوا إلى ربهم كما لجأ يونس ولتتدبر قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٢) فكان إنقاذه ببركة التوحيد والتسبيح والتفويض ولولا ذلك ما خرج من محبسه .

وقد جاء في الأثر « من دعا بدعاء يونس استُجيبَ له » قال أبو سعيد : يريد به ﴿ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .
قال : عَنْ أَبِي سَعِيدٍ : « اسمُ الله الذي إذا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ، وإذا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ دَعْوَةُ يونسَ بْنِ مَتَّى » .

قال سعيد بن مالك راوى الحديث : قلتُ : يا رسولَ الله : هي ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين قال : « هي ليونس بن مَتَّى خاصة وللْمُؤْمِنِينَ عامة إذا دَعَوْا بِهَا ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) فهو شرط من الله لمن دعاه . .

وهذه آسية ابنة مزاحم امرأة فرعون ، دى مؤمنة صالحة وزوجها

(٢) الصافات : ١٤٣ و ١٤٤ .

(١) الأنبياء : ٨٨

(٣) الأنبياء : ٨٧ و ٨٨ .

حَفَظْتُ عَنَيْدَ ، يريد أن يُكْرِهَهَا عَلَى الْكُفْرِ ، فَشَدَّ لَهَا أَوْتَادًا فِي الشَّمْسِ ،
وَأَمَرَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهَا صَخْرَةٌ عَظِيمَةٌ إِنْ هِيَ لَمْ تَكْفُرْ بِاللَّهِ ، وَتُؤْمِنَ بِفِرْعَوْنَ ،
فَجَاءَتِ الْمَلَائِكَةُ وَأَظْلَلَتْهَا مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ بِأَجْنَحَتِهَا .

وَجَاءَتِ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ تَرْيِدُ الْخَلَاصَ : ﴿ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ
بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ ، وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (١)
فَأَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَهَا وَرَأَتْ بَيْتَهَا فِي الْجَنَّةِ ، فَضَحِكَتْ ، وَاسْتَبَشَرَتْ ، فَلَمَّا
هَمُّوا بِالْقَاءِ الصَّخْرَةَ عَلَيْهَا ، انْتَزَعَ اللَّهُ رُوحَهَا ، وَنَجَّاهَا مِنَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ، وَنَزَلَتِ الصَّخْرَةُ عَلَى جَسَدٍ لَا رُوحَ فِيهِ .

فَمَا أَعْظَمَ رَحْمَةَ اللَّهِ فَعَلَيْكُمْ بِالْدُّعَاءِ وَفِي الْحَدِيثِ :

« سَلُّوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُسَالَ » .

وَاتَّقُوا اللَّهَ — عِبَادَ اللَّهِ — وَادْعُوهُ وَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ يُعْطِكُمْ ، وَاسْتَغْفِرُوهُ
يَغْفِرَ لَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ .

الخوف والرجاء

قال الله تعالى : ﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ 》 (١) .

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى :

« لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي آمِنِينَ وَلَا أَجْمَعُ لَهُ خَوْفِينَ ، إِنْ آمِنَى فِي الدُّنْيَا أَخَفَّتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِنْ خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .
الله عز وجل واسع الرحمة ، عظيم المغفرة حلیم ستار ، عفو لم يؤيس .
عباده من رحمته وعفوه ، وقد فتح باب الرجاء على مصراعيه لكل قلب منيب ، وفؤاد نادم ، ولنتدبر قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ . 》 (٢) .

وقد جاء في حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
« من السعادة أَنْ يُطِيلَ اللَّهُ عُمَرَ المرءِ فِي الطَّاعَةِ وَيَرْزُقَهُ الْإِنَابَةَ - أَيْ
الرجوع إِلَى اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ مع الْإِخْلَاصِ - وَإِنْ مِنْ الشَّقَاوَةِ أَنْ يَعْمَلَ المرءُ
وَيُعْجَبَ بِعَمَلِهِ » .

فتح الله باب القبول لكل تائب ولم يحجب بفضله مغفرته وعفوه
عن النادم . . ولنتدبر قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ 》 (٣) .

(٢) الزمر : ٥٣ و ٥٤ .

(١) الحجر : ٤٩ ، ٥٠ .

(٣) الرعد : ٦ .

قال سعيد بن المسيب : إن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية قال : « لولا عَفْوُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَتَجَاوُزُهُ لَمَا هُنَا أَحَدٌ عَائِشٌ ، وَلَوْلَا عِقَابُهُ وَوَعِيدُهُ وَعَذَابُهُ لَأَتَّكَلَ كُلُّ أَحَدٍ » .

نعم . . . إِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ غَفُورٌ تَوَّابٌ يَقْبَلُ التَّوْبَ وَيَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَبْسِطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ، وَيَبْسِطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ فَضْلًا مِنْهُ سَبْحَانَهُ وَإِحْسَانًا . . . وَهُوَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَرِيعُ الْعِقَابِ ، وَعَذَابُهُ مَوْلِمٌ مُنْتَقِمٌ جَبَّارٌ يُجَازِي بِالْعَدْلِ فَلَا يَنْبَغِي لِعَاقِلٍ أَنْ يَغْفَلَ طَرَفَةً عَيْنٍ عَنْ مَرَاتِبَتِهِ ، وَالْخَوْفِ مِنْهُ . . . يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَسْتَحْضِرَ عَظَمَةَ اللَّهِ دَائِمًا وَيَخْشَاهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ فَعَلِمُهُ مُحِيطٌ ، وَغَضَبُهُ شَدِيدٌ ، يَمَلَأُ قُلُوبَ الْخَائِفِينَ مِنْ غَضَبِهِ أَمْنًا ، وَيُعَوِّضُ النَّادِمِينَ الْآسَفِينَ عَلَى مَا كَانُوا مِنْهُمْ بِمَحْوِ السَّيِّئَاتِ وَغُفْرَانِ الذُّنُوبِ وَقَبُولِ التَّوْبَةِ ، وَرَفْعِ الدَّرَجَاتِ وَلِتَنْتَدِرَ مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْحَدِيثِ الْقَدْسِيِّ :

« يَا عَبْدِي ، لَمْ تَقْنَطْ ؟ »

ثم يقول : عَبْدِي إِنَّ اسْتَقْلَتْنَا أَقْلَنَّاكَ ، وَإِنْ تُبِتَ إِلَيْنَا قَبْلَانَاكَ ، وَإِنْ عَزَمْتَ عَلَى قَصْدِنَا أَذْنَيْنَاكَ ، وَإِنْ اضْطَرَبَ دَلِيلُكَ أَرَيْنَاكَ »

ثم يقول سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

وإِنْ بَكَيْتَ خَشِيَةً أَحْضَرْنَاكَ ، وَإِنْ بَكَيْتَ خَوْفًا أَمَّنَّاكَ ، وَإِنْ بَكَيْتَ أَسَفًا عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْ حَقَّقْنَا عَوْضَنَاكَ » .

فَالْمُؤْمِنُ حَقًّا هُوَ الَّذِي يَخَافُ رَبَّهُ وَيَرْجُو رَحْمَتَهُ وَعَفْوَهُ ، فَالْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ هُوَ اللَّجَامُ الْقَامِعُ عَنِ الْمَعَاصِي وَسَبَبُهُ مَعْرِفَةُ شِدَّةِ عَذَابِ اللَّهِ ، وَيُسَمَّى خَشْيَةً وَرَهْبَةً وَتَقْوَى ، فَالْمُؤْمِنُ يَخَافُ مِنْ ذُنُوبِهِ وَيَخْشَى الْخَاتِمَةَ وَتَرْهَبُهُ سَوَابِغَتَهُ . . . وَالْخَوْفُ يَبْعَثُ الْعَبْدَ عَلَى الْإِنْكَسَارِ وَالتَّوَاضُّعِ .

الخوف والرجاء

قال الله تعالى : ﴿ نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ (١) .

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى :

« لا أجمعُ على عبدٍ أمينٍ ولا أجمعُ له شَوفين ، إن أمني في الدنيا أخفته يوم القيامة ، وإن خافني في الدنيا أمنتُه يوم القيامة » .

الله عز وجل واسع الرحمة ، عظيم المغفرة حلیم ستار ، عفو لم يؤيس . عباده من رحمته وعفوه ، وقد فتح باب الرجاء على مصراعيه لكل قلب منيب ، وفؤاد نادم ، ولنتدبر قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ . ﴾ (٢) .

وقد جاء في حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من السعادة أن يُطيل الله عُمرَ المرء في الطاعة ويرزقه الإنايه - أي الرجوع إلى الله بالتوبة مع الإخلاص - وإن من الشقاوة أن يعمل المرء ويُعجبَ بعمله » .

فتح الله باب القبول لكل تائب ولم يحجب بفضلله مغفرته وعفوه عن النادم . . ولنتدبر قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٣) .

(٢) الزمر : ٥٣ و ٥٤ .

(١) الحجر : ٤٩ ، ٥٠ .

(٣) الرعد : ٦ .

قال سعيد بن المسيب : إن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية : « لولا عفو الله ورحمته وتجاوزه لما هُنَّا أحدًا عيشٌ ، ولولا عقابه ووعيده وعذابه لانتكَل كلُّ أحد » .

نعم . . . إنَّ الله عَفُوٌّ غَفُورٌ تَوَّابٌ يَقْبَلُ التَّوْبَ وَيَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَبْسِطُ يده بالنَّهار لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ، وَيَبْسِطُ يده بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهارِ فَضْلًا مِنْهُ سَبْحَانَهُ وَإِحْسَانًا . . وهو سبحانه وتعالى سريعُ العقاب ، وعذابه مؤلمٌ منتقمٌ جبارٌ يُجَازِي بالعدل فلا ينبغي للعاقل أن يغفلَ طرفَةً عَيْنٍ عن مراقبته ، والخوفُ منه . . . ينبغي للعاقل أن يستحضرَ عظمةَ الله دائماً ويخشاه في السرِّ والعلن فعلمُه مُحِيطٌ ، وغضبه شديدٌ ، يملأُ قلوبَ الخائفين من غضبه أَمْنًا ، ويُعوِّضُ النادمين الآسفين على ما كان منهم بِمَحْوِ السيئاتِ وغفرانِ الذنوبِ وقبولِ التوبة ، ورفعِ الدرجاتِ ولنتدبر ما يقوله الربُّ عز وجل في الحديث القدسي :

« يا عبدى ، لم تَقْنَطْ ؟ »

ثم يقول : عبدى إن استَقْلَنْتُنَا أَقْلَنَّاكَ ، وإن تُبِتَ إِلَيْنَا قَبْلَانَا ، وإن عَزَمْتَ على قَصْدِنَا أَذْنَيْنَاكَ ، وإن اضْطَرَبَ دَلِيلُكَ أَرَيْنَاكَ »

ثم يقول سبحانه وتعالى :

وإن بكيتَ خشيةً أَحْضَرْنَاكَ ، وإن بكيتَ خوفًا أَمَّنَّاكَ ، وإن بكيتَ أَسَفًا على ما فاتَكَ مِنْ حُوقَرْنَا عَوَّضْنَاكَ .

فالمؤمنُ حَقًّا هو الذى يخافُ ربَّه ويرجو رحمته وعفوه ، فالخوفُ من الله هو اللجامُ القامعُ عن المعاصي وسببُه معرفةُ شِدَّةِ عذابِ الله ، ويُسمَّى خشيةً ورهبةً وتَقْوَى ، فالمؤمنُ يخافُ من ذُنُوبِهِ ويخشى الخاتمةَ وترهيبه سوابقه . . . والخوفُ يبعثُ العبدَ على الانكسارِ والتواضعِ .

والعفافِ واتقاء الشبهات والبكاء أو التباكى ... أما الرجاء فبسببه معرفة
«سعة رحمة الله ، ويسمى طمعاً ورغبةً ، وينبغي أن يكون الخوف
والرجاء معتدلين فإن الخوف إذا أفرط قد يجرُّ صاحبه إلى اليأس من
رحمة الله وهو حرام ، وإذا أفرط المرء في الرجاء قد يجره ذلك إلى
الآمن والغرور وهو حرام ، وإن كان جانب الخوف ينبغي أن يغلب
على المرء في شبابه وأيام قوته ونشاطه .

وفي الحديث القدسي : « ما أقلَّ حياءَ من يطمعُ في جنتي بغير عملٍ ،
كيف أجودُ برحمتي على من بخلَ بطاعتي » .

وفي الحديث : « لو يعلمُ المؤمنُ ما عندَ الله من العقوبة ما طمعَ
بجنته أحدٌ ، ولو يعلمُ الكافرُ ما عندَ الله من الرحمة لما قنط من جنته
أحدٌ » .

فالعارفون بالله تسكنُ نفوسُهُم وتطمئنُ قلوبُهُم عندما يُذكر عفو
الله ورحمته وحلمه ومغفرته قال تعالى :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ
الْقُلُوبُ . ﴾ (١) فالقلوبُ المؤمنةُ تسكنُ وتطمئنُ من حيث اليقين بالله ،
وحسن الظن به ، والثقة بوعدِهِ للصالحين والعاملين ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ وإن كان هؤلاء العارفون في الوقت نفسه يخافون
الله ، يخافون سطوته وعقوبته وكُلما ازدادت معرفتهم كلما قوى
خوفُهُم . . . وهؤلاء كما وصفهم الله عز وجل هم المؤمنون حقاً وذلك
بقوة إيمانهم ، ومراعاتهم لربِّهم ، وخوفهم منه كأنهم بين يديه .
يقول الحقُّ تبارك وتعالى :

﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (١) .
 وقال عز وجل ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ،
 وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ
 يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ (٢) .
 وهذان المعنيان وهما : طمأنينة القلب ثقة بما عند الله من الرحمة
 والعفو والتجاوز ، والفرج من عذاب الله عندما يُذكر غضبه وسخطه .
 وانتقامه من العصاة سبحانه وتعالى هذان المعنيان نلحمهما في قوله تعالى :
 ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ
 الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ
 هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴾ (٣) .
 أى تقشعر وتضطرب وتتحرك بالخوف لما في القرآن من الوعيد
 والتخويف ، وتلين وتسكن عنه آيات الرحمة .
 روى العباس رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إذا اقشعرَّ
 جلدُ المؤمن من مخافة الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحاتُّ عن الشجرة
 البالية ورقها » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ما
 اقشعرَّ جلدُ عبدٍ من خشية الله إلا حرّمه الله على النار » .
 وقد وعد الله في كتابه العزيز أهل الخشية والخوف والمراقبة
 بالمغفرة والنعيم الدائم والرحمة الشاملة ولنسمع الله عز وجل يقول :
 ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (٤) .

(٢) الأنفال : ٢ - ٤ .

(٤) المالك : ١٠٢ .

(١) الحج : ٣٤ و ٣٥ .

(٣) الزمر : ٢٣ .

ويقول : ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ (١) .

ويقول : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ (٢) .

ولقد كان في قلب رسول الله ﷺ رقة عظيمة ، فكان أخشى الناس لله وأخوفهم من نقمته ، وكذلك كان أصحابه رضوان الله عليهم .

قال أبو هريرة رضى الله عنه لما نزل قوله تعالى :

﴿ أَقِمْنَ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْبُجُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ (٣) :

قال أهل الصفة : ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ ثم بكوا حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع النبي ﷺ بكاءهم بكى معهم ، فبكينا لبكائه ، فقال ﷺ : « لَا يَلْجُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُصِرٌّ عَلَىٰ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ ، وَلِجَاءَ بَوْمٌ يُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ وَيَرْحَمُهُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » .

والجنة غالية ، والغالى جدير بالتعب والتضحية ، فمن خاف أن يُحرم نعيمها بحلول سخط الله عليه فعليه أن يفرغ إلى الله والناس نائمون ، وأن يبكى أو يتباكى في ذل بين يديه ، والمحرومون غافلون ، يروى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« مَنْ خَافَ أَذْلَجَ ، وَمَنْ أَذْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ » .

وكان الحبيب المصطفى ﷺ أشد الناس خوفاً من نزول نقمة الله على العباد ، وتروى عائشة تقول :

(١) الرحمن : ٤٦ .

(٢) النازعات : ٤٠ ، ٤١ .

(٣) النجم : ٦٠ و ٥٩ .

« وكانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
النَّاسُ إِذَا رَأَوْا الْغَيْمَ فَرِحُوا رَجَاءً أَنْ يَكُونَ مِنْهُ الْمَطَرُ ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَ
غَيْمًا عُرِفَ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهَةُ فَقَالَ : يَا عَائِشَةُ مَا يُؤْمِنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ
عَذَابٌ ، قَدْ عَذَّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ ، فَقَالُوا :
هَذَا عَارِضٌ مُمِيطُنَا »

وكان داود عليه السلام يُعَاتَبُ فِي كَثْرَةِ الْبُكَاءِ ، فيقول : دَعُونِي
أَبْكِي قَبْلَ خُرُوجِ يَوْمِ الْبُكَاءِ ، قَبْلَ تَحْرِيقِ الْعِظَامِ ، وَاشْتِعَالِ الْحَشَا ،
وَقَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ بِي مَلَائِكَةُ غِلَاطٍ شِدَادُ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ
مَا يُؤْمَرُونَ .

دخل عثمان على ابن مسعود يعودُهُ في مرضه الذي مات فيه فقال :
ما تَشْتَكِي ؟ قال : ذُنُوبِي ، قال : فما تَشْتَهِي ؟ قال : رَحْمَةَ رَبِّي .
وعن زيد بن أرقم قال : قال رجل يا رسولَ اللَّهِ ، بِمَ أَتَقَى النَّارَ ؟
قال : « بِدُمُوعِ عَيْنَيْكَ فَإِنْ عَيْنَا بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ لَا تَمْسُهَا النَّارُ أَبَدًا » .
فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاخْشَوْهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ وَتَوْبُوا إِلَيْهِ
عَذْرَةً نَصُوحًا فَالْتَأَثُّبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ .

عظة : للخطبة الثانية :

روى مسلم عن أنس بن مالك أَنَّ النَّاسَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ حَتَّى أَخْفَوْهُ فِي الْمَسْأَلَةِ فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ فَقَالَ : « سَلُونِي ، لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيْنْتُه لَكُمْ مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا » .

فلما سمع الناس ذلك أَرْمَوْا - سَكْتُوا - ورهبوا أَن يكون بين يَدَيْ أَمْرٍ قد حضر ، قال أنس : « فجعلتُ أَلْتَفْتُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَإِذَا كُلُّ إِنْسَانٍ لَافٌ رَأْسَهُ فِي ثَوْبِهِ يَبْكِي » .

وسأل رجل الحسن فقال : يا أبا سعيد ، أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ ؟ فقال له : الإِيمَانُ إِيْمَانَانِ فَإِنْ كُنْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الإِيْمَانِ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ فَأَنَا بِهِ مُؤْمِنٌ ، وَإِنْ كُنْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ - إِلَى قَوْلِهِ - أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ (١) فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَنَا مِنْهُمْ أَمْ لَا ؟ .
وقال معاذ بن جبل : إِنْ الْمُؤْمِنَ لَا يَسْكُنُ رَوْعُهُ حَتَّى يَتْرَكَ جِسْرَ جَهَنَّمَ وَرَآئَهُ . .

عن عائشة رضى الله عنها : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « تُحْشَرُونَ حَفَاةَ عِرَافَةٍ غُرْلًا قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ؟ فَقَالَ : الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكَ .
وفي رواية قال ﷺ : « لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمٌ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ، لَا يَنْظُرُ الرِّجَالُ إِلَى النِّسَاءِ وَلَا النِّسَاءُ إِلَى الرِّجَالِ » .

كشاف الكتاب

النص	الصفحة
تمهيد	٥

القسم الأول

(أ) ادع إلى سبيل ربك ..	٧
« الداعي إلى الله — طريقته في الدعوة — صفاته »	...
— الدعوة باللين والرفق ..	٩
— دعاة عصرنا أولى بذلك ..	٩
— الحكمة والسداد ..	١٠
— آية محكمة والعمل بها إلى يوم القيامة ..	١٠
— السب لغة العاجز المنفر من الحق ..	١١
— توضيح الحق وبيان الباطل غير السب ..	١٢
— الصفات والأمور التي لا بد منها للداعي ..	١٣
(ب) أول خطبة جمعة للنبي محمد (ﷺ) بالمدينة المنورة ..	١٩
(ج) من صدور خطب النبي (ﷺ) ..	٢٢
(د) نصيحة لأهل الدعوة ..	٢٣

القسم الثاني

الدين وأثره في تزكية النفس ..	٢٧
وصية نبوية : (أكثر ما يدخل الناس الجنة) ..	٣٣
للخطبة الثانية ..	٣٨
النفس المطمئنة واللامامة والأماراة ..	٣٩

النص	الصفحة
البعث حق والجزاء حق ..	٤٤
« من عظات الرسول ﷺ » للخطبة الثانية	٥٠
وفى أنفسكم أفلا تبصرون ..	٥١
— « عظة بليغة » للخطبة الثانية .	٥٧
لا يعلم الغيب إلا الله .	٥٨
الإسلام هو صراط الله المستقيم ...	٦٣
للخطبة الثانية	٦٧
آية الكرسي تضمنت التوحيد النقي الخالص	٦٨
احفظوا أيمانكم ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون	٧٤
من أولياء الله ؟ ..	٨٠
منزلة السنة النبوية من القرآن الكريم	٨٥
— « للخطبة الثانية »	٩١
الحياء لا يأتي إلا بخير ...	٩٢

القسم الثالث

الصلوات المكتوبات	٩٩
« للخطبة الثانية »	١٠٤
١ - صلاة الجمعة « فضلها - حكمها - آدابها » .	١٠٦
٢ - « من آداب الجمعة » خطبة أخرى في الجمعة	١١١
أم الكتاب .	١١٥
— « للخطبة الثانية »	١٢٠
الزكاة ركن الإسلام .	١٢٢
شهر الخيرات والبركات	١٢٧
السنن الرواتب	١٣٢

النص	الصفحة
فرض على المستطيع :	١٣٧
بيوت الله ..	١٤١
صيام التطوع :	١٤٧
« الخطبة الثانية »	١٥٢
عيد الفطر .	١٥٤
التطهر والنظافة في حياة المسلمين ..	١٥٨
الصبر والمصابرة والمرابطة والتضحية دعائم أساسية لتحقيق النصر ...	١٦٢

القسم الرابع

الأخوة في الله « حقوقها وواجباتها »	١٧١
الحاسد والحسد مذمومان في العقل والشرع	١٧٧
الامانة من خصال أهل البر والخير	١٨٢
للخطبة الثانية	١٨٦
التعاطف والتراحم :	١٨٨
« الخطبة الثانية »	١٩٤
بر الوالدين وواجبنا نحوهما .	١٩٦
النهمة والتمام دونهما سم الأفاعى	٢٠٠
طوبى لمن طاب كسبه	٢٠٥
الربا وآثاره السيئة	٢٠٩
صلة الرحم	٢١٤
للخطبة الثانية	٢٢٠
طوبى لمفاتيح الخير .	٢٢١
الزنى وآثاره السيئة ..	٢٢٦
الرشوة من مفاتيح الشر	٢٣١
لم شهدتم علينا ؟	٢٣٦

الصفحة	النص
٢٤٠	رعاية اليتيم ومسؤوليتنا عنه .
٢٤٥	للخطبة الثانية
٢٤٦	يا معاذ أحسن خلقتك للناس
٢٥٠	للخطبة الثانية
٢٥١	الخنس أم الكبائر .
٢٥٥	أخلصوا العمل لله ، وأحسنوا إلى من أمر الله بالإحسان إليهم .

القسم الخامس

٢٦٣	عموم رسالة النبي (ﷺ)
٢٦٨	في مولد النبي (ﷺ) « طلع الياية نجم أحمد »
٢٧٤	الصلاة على النبي (ﷺ)
٢٧٩	هجرة النبي (ﷺ)

القسم السادس

٢٨٧	الزواج وبناء الأسرة الصالحة
	للخطبة الثانية
٢٩٤	لكي تدوم العشرة بين الزوجين (واجبات الزوجة) .
٢٩٩	اتقوا الله في الطلاق .
٣٠٤	للخطبة الثانية
٣٠٦	استوصوا بالنساء خيراً
٣١٢	— « للخطبة الثانية »

الصفحة	النص
	القسم السابع
٣١٥	إلى متى الغفلة ؟
٣٢١	بالشكر تدوم النعم .
٣٢٦	فى الاستغفار بركات الدين والدنيا
٣٣١	للخطبة الثانية
٣٣٣	ذكر الله يحيى القلوب وتستنزله الرحمات .
٣٤٠	الدعاء سلاح المؤمن
٣٤٦	الخوف والرجاء ..
٣٥٢	- « عظة للخطبة الثانية »

